كتاب

رفيق التلميذ

تحصيل الحكمة خير من اللآلىء

تأليف

نسيم الحلو

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

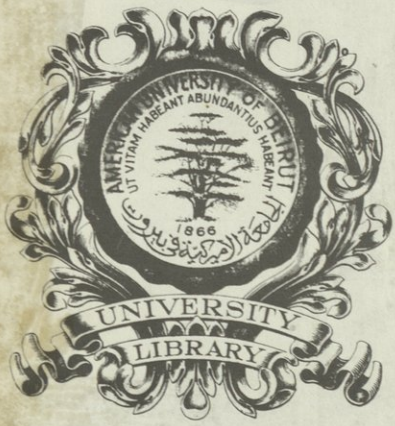

A.U.B. LIBRARY
CA
371.8
H917kA
c.1

كتاب

رفيق التلميذ

تحصيل الحكمة خير من اللآلىء

THE STUDENT'S COMPANION.

تأليف نسيم الحلو

طبعة ثانية منقحة ومضاف اليها فوائد عديدة

طُبع في المطبعة الاميركانية في بيروت ١٩٢١

LIBRARY, S.D.A.

L.45-17819

تقدمة شكر

قد جرت العادة عند بعض المؤلفين ان يقدموا ما يؤلفونهُ لذي مرتبة او مقام عظيم او صاحب علمٍ او فضلٍ عميم اما الاول فليكون الكتاب تحت رعايتهِ وحمايتهِ واما الثاني فتنويهًا بفضلهِ واعلانًا لشكرهِ . والحق يقال انني مع حفظ مقام حضرة السيدة الفاضلة والمحسنة العاملة الشهيرة مسس وود الاميركية المحترمة لم اقصد في تقديم هذا الكتاب لحضرتها سوى ان اجعلهُ اعلان شكر ينطق بفضلها وبيدي ما لها من المساعي الخيريَّة والمبرَّات الجزيلة والخدمات الجليلة في تسهيل طرق تنشئة طلبة العلم (اخص منهم تلاميذ مدرسة الفنون في صيدا من قانونيين ويتامى) على المبادئ الحقة بتثقيف العقول وتهذيب الاخلاق وتقويم الطباع . فانهـا كثَّر الله امثالها فضلاً عما بذلتهُ وتبذلهُ من مالها الخاص بسخاء للغاية الحميدة المنوَّه بها لا تستنكف من ان تعمل بيديها في خدمة اولئك الطلاَّب مع ما تبديهِ من اللطف نحو كل واحد منهم كما لاعزّ

اولادها فكم من يتيم كانت له امًّا شفوقًا وكم من ضعيفٍ قامت على خدمتهِ بحنوّها المعهود . وكم من عوزٍ نخفتهُ من بينها بما لم تلم بهِ شمالها . ولم تحصر خدماتها في طلبة العلم بل انها تناولت كثيرين غيرهم ممن مسّهم الفقر وعضّهم الدهر . وخلاصة ما نجملهُ في وصفها ان ملاك اللطف والشفقة والحنان تمثل في شخصها الكريم . وبما انهُ ليس في وسعنا ان نكافئ جزءًا من معروفها فلا اقل من ان نسدي لها الشكر ونُعلن فضلها على رؤوس الاشهاد . والله نسأل ان يجزيها عنا خير الجزاء انهُ السميع المجيب

مدرسة الفنون (صيدا) نسيم الحلو

مقدّمة

الحمد لله تعالى . وبعد فان كثيرين من التلاميذ يأتون المدارس اغرارًا لا يعرفون كيف يتصرفون في دروسهم وسلوكهم ومعاملاتهم وسائر واجباتهم ولو كانوا من ذوي النباهة والذكاء . فتراهم يدخلون البيوت من غير ابوابها لعدم اختبارهم كيفية السلوك المدرسي . فيحتاجون الى وقت طويل لمعرفة كل ما تهمّهم معرفتهُ من هذا القبيل . على ان روّساء المدارس واساتذتها الكرام لا يبخلون عليهم كل آونة في تقديم النصائح والارشادات المقتضية . ولكن قد يُحرم البعض التقاط هذه الفوائد اما لتأخرهم او لعدم انتباه او لسبب آخر . وعلى الغالب تعطى لهم الارشادات في ما هو امامهم او متى دعت الحال لسبب من الاسباب واحيانًا كثيرة تستدعي الظروف إعادة نفس الكلام وتكريرهُ فيشغل ارباب المدارس اعادتهُ لحسبانهم اياهُ قد صار مبتذلاً .

وبناء عليهِ رأيت ان الحاجة ماسة الى تأليف كتاب يتضمّن بعض ما ينثرهُ الروّساء والاساتذة الافاضل مدار السنة ووضعهِ بين ايدي الطلبة ليروا فيهِ كل ما يحتاجون اليهِ صبرة واحدة .

فعزمت ان انطفل على موائد اهل التأليف فاقوم بهذه الخدمة المهمة ولو بعض القيام . ولا يخطر ببال ان ما لفتته يغني عن متابعة نصائح اصحاب المدارس وارشاداتهم . انما يمكنهم ان يستخدموهُ مستعينين بهِ على بعض ما يقصدونهُ في الكلام ومن ثمَّ يصرفون جلَّ عنايتهم الى العمل الذي هو وحدهُ الكلام الحيّ الفعّال اكثر من بلاغة البلغاء وحكمة الحكماء . ولا يخفى ان المدارس ليست على نسق واحد من حيث النظام والمطالب ولذلك اقتصرت على الاشياء العمومية راجيًا ان سعة خبرة الروَّساء والاساتذة تسدّ كل نقص من هذه الحيثية . وفضلاً عن فائدة استعمال هذا الكتاب في المدارس الداخلية يناسب ادخالهُ الى المدارس الابتدائية واخصّ فائدتهِ فيها للتلاميذ المستعدين للمدارس الداخلية

ولما كنت على ما اعهد اوّل من ولج هذا الباب وسلك هذه الطريق[1] اتخذت ذلك عذرًا لي في التقصير اقدمهُ للمطالع الكريم . وقد كان اعتمادي في تأليفهِ على الاختبار اختبار التلميذ

---

١ قد اطلعت بعد كتابة هذا في المقتطف الاغر على ما يأتي "جاء في المحفوظ من الروايات ان ديونوسيوس القيرواني ارسل ابنهُ الى مدرسة في اثينا وشرع ينشئ مقالة لهُ فيما يجب على التلميذ فعلهُ وما يلزمهُ اجتنابهُ فملأها بالحكم والامثال وقضى بتحبيرها اربع سنوات ولم يكد يفرغ منها حتى انهى الفتى دروسهُ ولم يعد في حاجة اليها" قلت ويا ليت حسن الحظ ساق الينا نسخة من تلك المقالة ان كان لها وجود

والمدرّس وعلى المشاهدة اضف الى ذلك ما وعيتهُ من ارشادات رئيس مدرستنا الفاضل الدكتور جورج فورد الاميركاني واخواني الاساتذة الاكرمين وغيرهم من جلّة الافاضل . وقد اقتبست واوردت في اثناء الكلام على اكثر المواضيع امثلة وحكمًا نظمًا ونثرًا من اقوال اساطين الحكمة واهل العلم والفضل وأشرت ايضًا الى كل مقتبس في مكانهِ . ومذ خطر ببالي الشروع في تأليف هذا الكتاب عزمت ان اسمّيهُ "رفيق التلميذ" ليكون رفيقًا لهُ منذ ابتدائهِ في الدروس الى انتهائهِ منها . وفضلاً عن ذلك افتتحتهُ بتمهيد في "بيان فضل العلم والعلماء" وعقبتهُ بخاتمة تتضمن ملاحظات هامّة للتلميذ المنتهي . وقد اجتهدت من اولهِ الى آخرهِ ان اجعل اسمهُ طبق مسمّاهُ

ولما تمّ تبييضهُ لاول مرّة عرضتهُ على مجمع المرسلين الاميركان الافاضل لينظروا في مناسبة ادخالهِ الى المدارس فاحال المجمع المذكور النظر فيهِ الى لجنة المطبوعات المؤلفة من بعض اعضائهِ وكان اول من شرّفهُ بنظرهِ الكريم استاذنا العلاّمة ابرهيم افندي حوراني فذيلهُ بما دل على كرم اخلاقهِ وبعثهُ كلٌّ من اعضاء اللجنة الافاضل . وغب هذا الاطلاع وافقت اللجنة الموقرة على مناسبتهِ . وبعد ارجاعهِ اوعز اليّ رئيسنا الفاضل الدكتور فورد الذي تكرّم بمراجعتهِ ايضًا ان اضيف اليهِ تحسينات في مواضع لا غنى عنها فعملاً بامرهِ اعدت النظر في الكتاب باكثر امعان واضفت

اليهِ ابوابًا ومباحث وامثلة وشواهد جعلتهُ اكثر فائدة . وقد وكلت الى بعض اصدقائي كتابة بعض المواضيع التي يقصّر اختباري عن استيفاء الكلام فيها . وبهذه المراجعة وادخال تلك التحسينات جاء بحولهِ تعالى اكثر اتقانًا واتم فائدة . وها انا اقدم هذه الطبعة الى ارباب المدارس وسائر اهل العلم والفضل راجيًا ممن يهمهُ النظر في هذا الموضوع ان يتكرّم بملاحظاتهِ في ما يتعلق بحذف او اضافة او تبديل الى غير ذلك مما يجود بهِ فيرسلها اليَّ اما رأسًا او بواسطة المطبعة الاميركانية فاحتفظ بكل ما يصلني لأُعد الطبعة الثانية لتكون بفضل ارباب تلك الملاحظات طبق مرغوبهم . هذا وفي الختام اسدي الشكر الجزيل لكل الذين نشطوني وساعدوني في هذا الكتاب واسأل الله ان يجزيهم عني خير الجزاء وعليهِ وحدهُ اعتمادي في كل الامور "وهو حسبي ونعم الوكيل"

مقدمة الطبعة الثانية

لما نفدت نسخ الطبعة الاولى من هذا الكتاب سألفني ادارة المطبعة الاميركانية العامرة اعادة طبعهِ فسرّني ان خدمتي هذه لم تذهب سدًى اذ اقبل عليهِ الطلبة واجتنوا منهُ بعض الفوائد في حياتهم المدرسية . وقبل الشروع في طبعهِ ثانية اعدت عليهِ نظر الاصلاح فحذفت منهُ بعض الفصول واضفت اليهِ غيرها حتى صار اكثر ملاءمة للغرض المقصود بهِ . فارجو ان يصادف اقبالاً اكثر عند ارباب المدارس وطلبتها والله وليُّ التوفيق

صيدا في ٢٤ حزيران سنة ١٩٢١ نسيم الحلو

تمهيد

في بيان فضل العلم والعلماء

الفصل الاول

فضل العلم في تخفيف الاتعاب وتقليل النفقات وجلب الرفاه

قد كان الناس لاول عهدهم قبل ان تتوفر لديهم الوسائط العلمية ويقوم بينهم افراد ذوو عقول حاذقة تستنبط اشياء جديدة نافعة يتجشمون عرق القربة في سبيل تحصيل اسباب المعاش . فكان على الواحد ان يباشر في الغالب كل ما يحتاج اليه بيديه . ولا يخفى ما يقتضي من الكدح والمشقة في سبيل ذلك فضلاً عن ان ما يصنعونهُ كان يأتي خشنًا غير تام التهذيب وعلاوة على ما اقتضاهُ من النصب كان يأخذ وقتًا طويلاً ومع تعب الانسان وصرف وقتهِ لم يكن يحصّل الاَّ القليل . ولكن لما اشرقت شموس المعارف واضاء نبراس العلم استنارت العقول فخرجت من ظلمات الغباوة ودبَّ فيها مبدأُ الافتكار في طرق تخفيف

الانعاب والاقتصاد بالوقت وتوفير اسباب الغنى ورفاهة المعيشة. كل ذلك حمل الانسان على استنباط طرق تدرأ عنهُ ما يضرُّهُ وتجلب لهُ ما يسرُّهُ وهذا هو مبدأ الاختراع وقد كان طفلاً لاول عهدهِ. ومن ثم اخذ في التقدُّم والنمو باختراع الجديد وتهذيب واكمال القديم. ولما كانت الحاجة ام الاختراع وكلما تقدم الانسان في المدنيَّة كثرت حاجاتهُ انصرفت العقول باكثر قوة الى ايجاد وسائل جديدة نافعة ومريحة وعلى هذا النمط جرت السنون وكثرت القرون. الاَّ ان ذلك لم يكن على نسق مرتب بل قد انحطَّ وقتاً وارتفع آخر وهكذا الى عصرنا الحالي اذ بلغ درجة عظيمة مما يحار لهُ العقل ويذهل الفكر. وغير خافٍ ان العلم هو الذي كان يقود البشر ويهديهم ويدرجهم في هذا السبيل الكؤود وهو الذي كان ينير لهم ليعرفوا اسرار الطبيعة ويدرسوا نواميسها فيستخدمونها لجلب مغنم او دفع مغرم ويمكنك لاول وهلة ان تدرك ذلك خصوصاً اذا نظرت الى بلاد نظير بلادنا. اذهب الى رجل شيخ واسألهُ يخبرك عن اعمال اوائل حياتهِ. خذ طرق الانارة اولاً تسمع منهُ انهم كانوا يستضيئون بسراج من فخار يضعون فيهِ زيت الزيتون ويضعون لهُ فتيلة خشنة ومع كل ما يصرفون في شأنهِ من العناية لا ينبعث منهُ الاَّ نور ضعيف مترجرج يؤذي العيون وعلى هذا السراج كانوا يسمرون ويصرفون ليالي الانس ويقيمون الافراح ويدرسون ويمارسون كل اعمالهم الليلية ولو وضعنا

نظيرهُ الآن في مدارسنا لقام اطباؤُنا ينذروننا بالعمى العاجل . قابل هذا بما تراهُ من مصابيح البنزوليوم الوهاجة وانوار الغاز المتلألئة واشعة الكهربائية التي ضارعت الشمس انارة وبهاء فهذا كلهُ كان بفضل العلم الذي انار عقول المخترعين والمكتشفين . انتقل الى وسائط ايقاد النيران تسمع من شيخك انهم كانوا اذا فقدوا واسطة نقل النار الى حيث يقصدون اضرامها يأخذون زندًا (قداحة) يقدحون بهِ على قطعة من حجر الصوان عليها قطعة صغيرة من الصوفان وبتكرار قدح الزند على حجر الصوَّان يبعث شرار فيحرق قطعة الصوفان ثم يجمعون الى هذه مواد يابسة سريعة الاشتعال وبعد التعب والمحافظة الشديدة وعلى العيون من الدخان المنتشر قد يتوفقون الى اضرام النار . والآن يُغني عن هذا العناء كلهِ عود واحد من عيدان الفصفور (الكبريت) التي استنبطت بفضل العلم والعلماء . واذا سألت عن الطرق وكيفية السير عليها ونقل البضائع من مكان الى آخر ترى كم كانت متعبة وبفضل العلم تمهَّدت وانشئت طرق المركبات والسكك الحديدية والسيارات (الاوتومبيلات) في كثير من اقطار المعمور وبواسطتها صار يمكن قطع المسافات الشاسعة بعناء قليل ووقت قصير ونفقة يسيرة وقد دخلت هذه الاصطلاحات جديدًا الى بلادنا . ومثلها وسائط السفر ونقل البضائع في البحر فهنالك السفن البخارية الضخمة التي تهزأ بعواصف الانواء وتسير الى حيث تشتهي لا حسبما تجري

الرياح وهذا ايضاً من جملة افضال العلم . وبعوزنا الوقت اذا اشرنا الى الطيارات التي لم تزل في اول عهدها فاذا يا ترى تكون الحال حينما يعتاض بها الانسان عن ركوب البحر والبر اذ يتطي غارب الهواء ويسابق طيور السماء . ولا نغض النظر عن تقدُّم فنَّي الطب والجراحة وفائدتها في تخفيف الآلام وشفاء الامراض وتقليل فتكات المنون ودرء الاوبئة الجارفة . والامر العجيب ان هذه المنافع لم تختص بفرد دون آخر او بامة دون غيرها بل انها عامة ومباحة للجميع فيخدم كل الآخرين بينما يرى ان يخدم نفسهُ فالعامل يربح والمشتري ينفق يسيراً ويستفيد كثيراً . اضف الى ما ذُكر نقل الاخبار بواسطة التلغراف ذي الاسلاك الذي طوَّق الكرة الارضية وربط الامم وبلدانها بعضها ببعض وبواسطتهِ صار يمكنك بمثل طرفة عين منابأة من هم في اقاصي المعمور ويدهشك التلغراف اللاسلكي الذي قام بخدمات قصَّر دونها ذو الاسلاك . هذا فضلاً عن تقدم الزراعة واتقانها واختراع ادواتها ومثلها الصنائع بانواعها . ولا نسهو عن الكماليات التي لا تحصى عدًّا مما ترتاح اليهِ نفس الانسان ويجلب لهُ الرفاه والسعادة الى غير ذلك مما يقصر دونهُ الحصر ويفنى الزمان دون استيفائهِ ولقد صدق ده سلفدي اذ قال "العلم والعمل يسودان العالم من الآن فصاعداً"

الفصل الثاني

العلم يخدم الدين

قد قام في كل عصر فريق من اهل الدين في وجه بعض الاكتشافات والاختراعات العلمية ليس عن رداءة قصد وسوء نية بل زعماً منهم ان ما اكتشف او اخترع يناقض المبادىء الدينية المقرّرة . ذلك لانهم فهموا من الدين وفسروا الكتب المنزلة بحسب الماجريات والمعلومات الشائعة في عهدهم . ولا يخفى اننا مع اعتبارنا تلك التفاسير لا نعتقد انها بدرجة ما انزله الله معصومة من الغلط وبعبارة اوضح ان المفسرين الافاضل شرحوها حسبما هو معروف وشائع عند اهل جيلهم وقد بذلوا جهدهم ولا يلامون على التقصير عن ادراك الحقائق العلمية المكتشفة حديثاً . والخلف اخذ هذه التفاسير عن السلف وعلى التوالي وكرور الايام رسخت في الاذهان فحسبوها كأنها منزلة غير قابلة التحوير والتبديل وهذا ما حدا بهم لمناهضة اهل العلم المكتشفين . الاّ انهم بعد التروّي والبحث والمقابلة التزموا ان يوافقوا على عدم مباينة ما اكتشف لمبادئ الدين الصحيح . وعليه لا يأس اذا غيّرنا او عدّلنا التفسير ولكن لا يستطيع انسان ان يقدم على تغيير او حذف او تبديل

حرف واحد او نقطة واحدة مما انزلهُ الله على انبيائهِ ورسلهِ الاطهار

قدَّمنا هذا الى اسيادنا رجال الدين ليروا لزوم مناصرتهم للعلم الصحيح لانهُ حق في ذاتهِ غير مناقض لشيء من مبادئ الدين الصحيح. ان العلم ايها الاسياد هو الذي استنبط ادوات الكتابة وبها دُوِّنت وحُفظت الكتب المقدسة وهو الذي اخترع آلة الطباعة فيسرت تلك الكتب الثمينة وما يتبعها من الكتب الروحية المفيدة . والعلم هو الذي اذا تحلَّى بهِ خدمة الدين اتسعت عقولهم وسمت مداركهم وحسنت مناصدهم واصبحوا قادرين على ادارة ما وُكِل اليهم امرهُ من المهام الخطيرة . وبعدوا عن نتائج الجهل الذميم . وهنا مكان لمعترض . ان الله سبحانهُ وتعالى يهب لخدمتهِ من روحهِ الطاهر فيغنيهم عن العلوم البشرية . وعليهِ اجيب انني لا اسلم بقولك العلوم البشرية لان العلم الصحيح ايضاً من الله . ولله عادة في اعمال عنايتهِ ان يستخدم العلماء كما يستخدم البسطاء انظر انهُ في العهد القديم كان على الغالب الاغلب يختار انبياءهُ من مدارس الانبياء حيث كانوا يتعلمون ويكتسبون ما تيسر لهم وموسى النبي كان من العلماء الاعلام في عصرهِ . والذي اختار الصيادين والعشارين لاعمال مهمة اختار الرسول بولس العالِم لامور اهمّ وقد ابقى لنا هذا الرسول تعاليم من انفس ما أُلِّف . فسواء كنا بسطاء او علماء الله يعطينا المساعدة لنستخدم ما لنا من المواهب احسن استخدام ومن كثرت مواهبهُ وفرت فوائدهُ وكثرة

المواهب متوقفة على وفرة المعرفة بدرس العلوم . عندك شاهد قريب : انظر الى روَّساء الدين في بلادنا اوائل القرن الفارط فانهم قلما كانوا يصرفون العناية في خدمة الشعب وافادته . واما الآن فانك ترى المستنيرين منهم بانوار العلوم قد كرَّسوا معارفهم ومواهبهم لخدمة الله وخير القريب فقاموا بما قاموا بهِ من الاعمال النافعة . فاية حال افضل ؟ الدين مع العلم او بدونهِ ؟ وقد ادرك روَّساء الدين ذلك فحسبوا من الواجبات المهمة نشر المعارف بين رعاياهم وحبذا خدمتهم النافعة هذه

وعليهِ ثبت ان العلم لا يناقض الدين بل هو خادمهُ ومن قام من العلماء فعارضوا الدين لا يفسدون هذه الحقيقة لانهُ في كل عصر كان ينبت مع الخير الشر لكن ضرر الشر لا ينفي منفعة الخير فالمعطلون والملحدون عوَّجوا العلم لمعارضة الدين والمؤمنون وجدوا العلم اعظم ذريعة الى سعادة البشر وخدمة الدين . والسيد المسيح نفسهُ كان حجر عثرة للبعض وقد أتى لسقوط وقيام كثيرين

الفصل الثالث

العلم يفضل الغنى

"العلم انفع للبلاد من الغنى ولا يتجلَّى حق هذا الحكم حق التجلّي الاَّ بثلاثة . الاول النظر في العلم منفردًا عن الغنى . والثاني النظر

في الغنى منفردًا عن العلم . والثالث النظر فيهما مقترنين . فاقول بكل ايجاز واختصار

اذا نظرنا في العلم منفردًا عن الغنى رأيناهُ انهُ علة الاتحاد . والنفع العام لا يقوم بدون الاتحاد فهو لا يقوم بدون العلم . واذا دققنا النظر في العلم منفردًا رأيناهُ خيرًا محضًا . ولا يرد انهُ سبب لتوصُّل الخادعين الى التمكُّن من خداعهم لان العلم الحق عدوّ الخداع وبهِ عينهِ تمزق حجب المكر والحيل . . . واذا نظرنا في الغنى منفردًا عن العلم رأيناهُ داعية الجري في ميادين الشهوات والرذائل والتنافر والتفرُّق بين الاصحاب والاحباب والاخ واخيهِ والولد ووالديهِ ولله در القائل

المال يفرق بين الام والولدِ فذاك ادنى نسيبٍ عند كل يدِ
عهدي بهِ خادمًا كالعبد نملكهُ فما لعيني تراهُ سيّد البلدِ

ولو وُكِل الى الغني وحدهُ خير الوطن لمُزّق كل ممزّق وصارت الالفة والاتحاد والتعاون والتناصر في النفع العام صورَ اذهان لا تتحقق في الاعيان . وكيف يتنازل الغني الجاهل للاتحاد في التناصر للنفع العام وربهُ الغنى اعظم ناصر لديهِ لجلب نفعهِ والذتهِ الشخصية

واذا نظرنا في العلم مقترنًا بالغنى رأينا الغنى خادمًا امينًا نافعًا النفع العظيم وصح بهِ عهد القائل "عهدي بهِ خادمًا كالعبد نملكهُ" وزال ريبهُ ودهشهُ في قولهِ "فما لعيني تراهُ سيد البلدِ" فالغني العالِم

كعبة الآمال واليه تشدّ الرحال . والغني الجاهل عدوّ الخير وعلّة الضير . والنازلة الصماء والداهية الدهياء . واما من فاتهُ العلم واخطاهُ الغنى فذلك السكوت عنهُ في ضيق هذا المقام اولى فنكتفي بالتلميح عن التصريح

فتبين مما تقدم ان العلم بدون الغنى علّة النفع العام وانهُ خير محض وان الغنى لا يقوم الاّ بالعلم وانهُ بدون العلم شرٌّ كبير . فثبت الحكم ان العلم انفع للبلاد من الغنى . ومن هزئ من الجهال الاغنياء بالفقراء العلماء بعد وقوفهِ على ما ذُكِر فاحسن ما يجاوب بهِ قول القائل

رضينا قسمة الخلاّق فينا لنا علم وللجهال مالُ

فليسرّ العلماء ان كنتر لذتهم لا ينفد مهما وفر علمهم . ورشفهم صهباء العلم اجلّ من رشف الماء الزلال فضلاً عن سلافة الجهال . ومسامرتهم صحف العلم والتعليم خير من مسامرة كل سمير ونديم فليقل كل فقير عاقل لكل غني جاهل

سهري لتنقيح العلوم الذُّ لي من حبّ غانية وطيب تلاقِ
وصرير اقلامي على اوراقها احلى من الدوكاه والعشاقِ
والذُّ من نقر الفتاة لدفّها نقري لالقي الرمل عن اوراقِ
وابيت سهران الدجى وتبيتهُ نوماً وتبغي بعد ذاك لحاقي

ولعل ما ذُكر كافٍ لاثبات المطلوب عند من احبّ الانصاف ونهى النفس عن الهوى وودّ نفع الوطن وخير اخوتهِ

البشر. فطوبى لمن قصَّر في المراء المدى . والسلام على من اتبع الهدى (١)

الفصل الرابع

فوائد تعليم البنات

قصدنا نُفرد البحث في هذا الموضوع لانهُ مع عظم اهميتهِ مُهمَل عند كثيرين خصوصًا في بلادنا . ان العلم مفيد للعموم لكن اخصّ فوائدهِ في تهذيب وتثقيف عقول البنات . ان البنات اللواتي تراهنَّ الآن اطفالاً يلعبنَ ويمرحنَ ويسررنَ بحركاتهنَّ اللطيفة ذويهنَّ قد لا تعرف قيمتهنَّ كما يجب . تصوَّر ان هذا العدد الغفير منهنَّ المنتشر في اقطار العالم كافة فانهنَّ سوف يصرنَ امهات الجيل المقبل فعليهنَّ تتوقَّف تنشئة ذلك الجيل . فاذا شئت ان تنشئ جيلاً جاهلاً فعوِّد هولاء البنيات الجهل والغباوة واطمس عقولهنَّ في ظلمات العمى العقلي فانهنَّ يجررنَ لانفسهنَّ وللعالم ويلات لا اخال اعظم الاوبئة والحروب يأتي بمثلها . واذا شئت ان يقوم جيل مصلح مهذَّب فربِّ هذا الروح في هؤلاء الاطفال فانهنَّ ينشأنَ شابات يحملنَ بايديهنَّ مصابيح الحكمة والمعرفة والخبرة

---

(١) لجناب العلامة ابرهيم افندي حوراني (النشرة الاسبوعية)

يُنرن بها على اولادهنّ فيشبّون بركة للعالم. قال بعضهم ان من لم يعرف تأثير الامهات في الاولاد وراثة وما كان لهنّ من الفاعلية في تدريب عظماء الرجال منذ الطفولية يُعدّ في هذا العصر ممّن يجهلون طبائع البشر وسير المشاهير. فان ام ولتر سكوت الشاعر المشهور كانت من اكابر المولعين بالشعر والتصوير وأم نيرون كانت من القاتلات. وام نبوليون الاول كانت شديدة الحول كثيرة الدأب. وام بتريك هنري من ابلغ المتكلمين. وام اللورد باكون من الممتازات بالمواهب العقلية. وام وسلي من اكبر اهل السياسة والتدبير. وام وشنطون من مشاهير محبي الانسانية والحق والنفي وارباب الاخلاق الحسنة. قال بنيامين وست ان قبلة من امي جعلتني مصوّرًا. فانهُ وهو صغير رسم صورة وجه اختهِ وهي في سريرها وكانت الصورة خالية من الاحكام فلما رأتها امهُ توقّعت انهُ يكون مصوّرًا فانحنت عليهِ وقبلتهُ. وقد جُمع كل ما ذُكر في جواب نبوليون الاول. وذلك انهُ قيل لهُ يومًا: ما اعظم ما تحتاج اليهِ فرنسا؟ فقال الامّهات. وهنا نقول اي امة تحتاج الى اعظم من ذلك فقد تبين لك ان الرجال العظام الذين خدموا العالم وساسوا الجمهور نشأوا في احضان الامهات اللواتي هذبتهنّ العلوم الصحيحة وزينتهنّ الآداب الحميدة. قال بعض الفضلاء "متى ربيتم النساء فلا تهتموا بتربية الرجال لان النساء يربينهم طبقًا لتربيتكم اياهنّ ففي تربية النساء تربية الرجال والنساء

معًا" وقال آخر "يكون الرجال كما يكون النساء فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء فعلّموا النساء ما هي العظمة والفضيلة" وقال غيرهُ "انما النجوم زينة السماء وزينة الارض النساء اللواتي ينشّئن رجالاً عظامًا. ولمعروف افندي الرصافي الشاعر الشهير بهذا المعنى قولهُ

فحضن الام مدرسة تسامت ... لتربية البنين او البناتِ
واخلاق الوليد تقاس حسنًا ... باخلاق النساء الوالداتِ
وليس رئيب عالية المزايا ... كمثل رئيب سافلة الصفاتِ

فاذا لم يكن لتعليم البنات سوى هذه الفائدة كفى بها داعيًا للاهتمام بشأنهنّ من هذه الحيثية. وفضلاً عن هذا ان للزوج راحة وهناء عيش مع زوجتهِ المهذبة حتى اذا خشنت طباعهُ هذّبتها وصيّرتهُ بطول أناتها وحكمتها ووداعتها حسن الطباع فالرجل الذي لهُ شراسة الذئب تصير لهُ وداعة الحمل للطف وحكمة الزوجة المهذّبة فكيف بها اذا وجدت ندًّا لها في المعرفة والآداب. ثم ان ادارة امور البيت الداخلية من جهة النفقات والترتيب منوطة بنوع اخصّ بالمرأة فالحكيمة تعرف كيف تقتصد في نفقات بيتها وكأنّ الاقتصاد مبدأٌ طبيعي في جنس النساء بهِ يردد اسراف ازواجهنّ. والسياسة العائلية لا تخلو من اسباب للانقسام ففي بيت المرأة الجاهلة تسمع الصراخ والشتائم وتجد الخصام والانشقاق وناهيك ما بهذا من سوء التأثير في الاولاد وقبيح السمعة عند

الجيران وشقاء المعيشة بين الزوجين. واما اذا كانت الحكمة حميت المرأة المتهذبة فانها وان كانت مظلومة تغضي عن الاساءة وتحمل الضيم وتقابل السيئة بالحسنى لانها ترى ذلك احسن وسيلة لاطفاء شعلة الشر وكسب الزوج الفظّ الطبـــاع الى الوداعة وحسن الاخلاق

ان الشبان الجهلاء ينظرون في اختيار الزوجة الى الفتيات الجميلات الوجوه الرشيقات القوام فقط . وبعضهم يكتفي ان يجد الغنى والجاه. واما الشبان الحكماء المهذّبون فانهم يصرفون انظارهم الى جمال الداخل وغنى الفضائل طهارة القلب وكرم النفس فيؤثرون حلى الفضيلة على حُليّ الفضة والذهب والجواهر الكريمة لان الجمال الخارجي وقتيّ زائل واما جمال النفس فخالد لاتمحوهُ الايام . جاء في الامثال الهندية "ان الجمال بلا فضيلة ثمر حسن لكنهُ لا يؤكل"

فالى الوالدين اسوق رجائي ان يجتهدوا في تعليم بناتهم على الاقل نظير اجتهادهم في تعليم الصبيان . والى كنّ ايتها البنات اسوق نصيحتي ان لا تحتقرنَ ذواتكنّ فانكنّ مهمات في الوجود اجتهدنَ في طلب العلوم وتحصيلها والتحلّي بحليّ الآداب فانها وسيلة لاعتباركنّ ومرقاة في سبيل نوالكنّ الحقوق التي خوّلكنّ اياها الباري تعالى

الفصل الخامس

لذة العلم ومقام العلماء

ان اللذة العقلية تفوق اللذة الجسدية كثيرًا لان الثانية مهما عظمت وسرَّت صاحبها فهي وقتية تزول بعد قليل فضلاً عن ان الجهول قد يتطوَّح بها فتؤدي بهِ الى اتلاف جسمهِ واختلال عملهِ ان كان بالتأنق والنهم في الطعام او بادمان رشف المسكرات او بالتدخين على اختلاف طرقهِ وانواعهِ او بصرف الليالي الطويلة في الملاهي والمراقص والمقامرة . او غير ذلك مما يضني الانسان عقلاً وجسمًا . اما اللذة العقلية الناجمة عن البحث في الحقائق العلمية فهي عظيمة جدًّا بحيث تبلغ اعماق النفس . قال الامام علي "مجلس العلم روضة من رياض الجنة" وقالت مدام ده جنلي الكاتبة الفرنساوية الشهيرة "نشأت بين جماعة دان لهم الزمان ودارت عليهم كؤوس المسرات ولكنني اشهد على رؤوس الملإ ان لذَّة الدرس والمطالعة تفوق كل لذَّة ومهما صفت الايام وتنوَّعت فيها اسباب اللهو والطرب والسرور فلا بدَّ من ان يتلوها ايام كدر تنقبض فيها النفس وتتسلط السوداء واما الايام التي يقضيها الانسان في المطالعة فلا يندم عليها بل يتذكرها فرحا

وحاسبًا انهُ لم يُضعها سدًى بل استفاد فيها فائدةً باقية ". وفضلاً عن ذلك فان اللذة العقلية تستحثهُ الى الاستزادة وتنير عقلهُ وتعدُّهُ لقبول المزيد . فهنالك علماء يبحثون وينقّبون الليالي الطويلة رجاء اجتلاء مسألة من المعضلات العلمية ومتى فتحت لهم اغلاقها وادركوا كنهها حسبوا انهم قد وجدوا ثمن اللآلئ فيطيّرون هذا النبأ السارّ في الآفاق فينتشر بسرعة وكم يتحملون من مشاق واخطار الاسفار البرية والبحرية وينفقون الاموال الوافرة ذاهبين وراء تثبيت حقيقة علمية يرى الجهلاء السعي وراءها من قبيل ارتكاب العبث الذي لا طائل تحتهُ اما اولئك العلماء فانهم يجلون قدر اللذّة والفائدة الناجمة عن توفقهم الى استجلاء تلك الحقيقة . قال بعضهم " العلم مادة العقل ونور القلب وغذاء الروح " فالعالم يعيش في وسط فسيح ينظر الى الموجودات حولهُ بعين مستنيرة فيعرف كيف تسير وما هي النواميس التي تجري بموجبها ويرى حكمة الله في كل موجود . قال بعضهم " ان الدرس المبني على اسس صحيحة يصير مصدرًا للذّة عظيمة ومنشأً لنتائج مجيدة ومصلحًا للسيرة والسريرة " وقال آخر " اعلم ان للعلم عَبقًا وعرفًا ينادي على صاحبهِ . ونورًا وضياءً يشرق عليهِ ويدل عليهِ كتاجر مسكٍ لا يخفى مكانهُ . ولا تجهل بضاعتهُ . وكمن يمشي بمشعل في ليل مدلهمّ . والعالم مع هذا محبوب اين كان وكيف كان لا يجد الاَّ من يميل اليهِ . ويؤثر قربهُ ويأنس بهِ ويرتاح بمذاكرتهِ "

اما مقام العلماء فيكفي انهم قادة الجمهور ومهذبو الامة وعليهم يتوقف الارتقاء في معارج النجاح وبهم يقوم عمران البلاد ونجاح العباد . قال بعض الحكماء "ان العلماء سرج الازمنة . كل عالم سراج زمانهِ يستضيء بهِ اهل عصرهِ" ولذلك يجُلهم الجمهور فيضعهم في مقام رفيع والحكومات ايضاً تعتبرهم فتهدي اليهم الوسامات العالية وتسبغ انعاماتها عليهم وتقيم لهم التماثيل تذكاراً وتنويهاً بفضلهم على الامة والبلاد وتنشيطاً للغير لكي يتمثلوا بهم . ولا نقول ان هذه التماثيل هي التي تخلِّد ذكر العلماء بل ما ينشرونهُ من التعاليم والتآليف فانهـا تذيع صيتهم وتثبت فضلهم الى ما شاء الله من الاجيال قال الشاعر

العلم انفس شيء انت ذاخرهُ من يدرس العلم لم تدرس مفاخرهُ
أقبل على العلم واستقبل مقاصدهُ فاول العلم إقبالٌ وآخرهُ

ويحق للعلماء هذا المقام الرفيع لانهم رفعوا شأن بني جنسهم وانار وا العقول بنبراس علومهم . تحرّوا الحقائق واذاعوها واثبتوها في مؤلفاتهم . نشروا الجرائد والمجلات وتحملوا النصب والعناء لكي يعطونا المعرفة نلتذ ونستفيد بها ونحن على بساط الراحة . كم من العظماء طوت ذكرهم الايام واما العلماء فذكرهم حي لا يموت قال الشاعر

بالعلم والعقل لا بالمال والذهب يزداد رفع الفتى قدراً بلا طلبِ
فالعلم طوق النهى يزهو بهِ شرفاً والجهل قيدٌ لهُ يبليهِ باللَّعَبِ

وقال آخر

العلم مبلغ قومًا ذروة الشرفِ وصاحب العلم محفوظ من التلفِ
العلم يرفع بيتًا لا عماد لهُ والجهلُ يهدمُ بيت العزّ والشرفِ

الفصل السادس

الجاهل عدو نفسهِ

ما تبلغ الاعداء من جاهلٍ ما يبلغ الجاهل من نفسهِ

ليس المصاب ان يكون في جسم الانسان مرض ما بل المصاب ان يوجد المرض والعليل لا يعلم بهِ والطامة الكبرى انهُ اذا اعلمهُ الطبيب بمرضهِ انكر عليهِ قولهُ زاعمًا ان لهُ جسمًا امتن من الفولاذ وعزمًا يفلّ الحديد . هذه حالنا مع الجاهل فالجهل بحد ذاتهِ ليس هو المصاب كلهُ لان الجميع بالطبع جهلاء وقد جُليت عقولهم بدرس المعارف واكتساب الحكمة انما مصابنا بالجاهل كونهُ لا يعرف انهُ جاهل واذا قال لهُ الحكيم انت جاهل اطلب المعرفة حسب نصيحتهُ هذه اهانة فاوسعهُ هزءًا وشتيمة ولله در الشيخ ناصيف اليازجي حيث قال

لا يشعر الجاهل بالجهل كما لا يشعر السكران الاّ ان صحا
وكلما عقل الفتى قلّ اكتفى بهِ كما ظنّ فسرّ وازدهى

ان سقراط الحكيم اليوناني "حين اتاهُ من اله دلفي انهُ اعلم ممَّن سواهُ تحيَّر وتأمل مدة وقال : "ينبغي ان يكون معنى هذا القول اني جاهل عرف جهلهُ وان سائر الناس جهلاء لم يعلموا جهلهم" فحسب معرفة الانسان جهل نفسهِ من نتاج الحكمة الصحيحة

ان الجاهل ضربة لوالديهِ وسائر ذويهِ ضربة لمعاشريهِ ومواطنيهِ. قد يوجد اناس لا يبالون بايذائهم الغير الاَّ انهم يتحاشون مضرَّة نفوسهم والجاهل ليس كذلك بل هو بالاكثر عدو نفسهِ لانهُ لا يعرف كيف يسلك في معاملاتهِ يطرق ابوابًا يظنها انسب ابواب ارتياد الرزق وانها دون غيرها السبيل للحصول على الشرف وعلوّ المنزلة وانهُ بواسطتها يبسط نفوذهُ بين الملإ. لكنهُ بعد حين يرى انهُ كان ينسج شركًا لنفسهِ فلا يفيق الاَّ وقد اصطيد بهِ فسقط في الحفرة التي حفرها

وفي الجهل قبل الموت موتٌ لاهلهِ واجسامهم قبل القبور قبورُ وانَّ امرءًا لم يحيَ بالعلم ميِّتٌ وليس لهُ حتى النشور نشورُ

قال بعضهم "لا شيء اقبح من صورة الجاهل ادبيًّا لان عينيهِ في ظهرهِ ورأسهُ في معدتهِ ولا شيء يضحك كجاهلٍ فانهُ يتقاوى وهو ضعيف ويتظاهر بالمعرفة وهو لا يحسن لفظها ويتكبر وهو احقر الخلق ويتبه بالحلي وافضل حلية لهُ العصا على ظهرهِ"

انظر ان اصحاب الغش والحيل في كل شيء لا يسلك غشهم الاَّ على الجهلاء . فهنالك دجّالون يطوفون البلاد لغشّ العباد حتى انهم يتطرّقون الى المدن ولسوء الحظ ان بضاعتهم رائجة عند الجهلاء اكثر من خبرة نطس الاطباء فيعجلون في تسفير العليل الى مقرهِ الابدي ويقولون لذويهِ لو أَبرأَ الطبيب كل عليل ما مات احد وليس لما قضاهُ الله من مردّ . هذا والقوم يسمعون كلامهُ خاشعين ويحنون رؤُوسهم اجلالاً لهذا الجاهل الكبير . وعليهِ ترى ان الجهلاء أَعلق من سواهم في حبائل اهل الغش المحادعين . ولما كانت الطيور على اشكالها تقع ترى ان الجهلاء لا تطيب لهم غير اقوال ارباب الجهالة فلا يعيرون اقوال الحكماء سمعًا محتقرين الحكمة والادب . واذ كان الانسان يمتاز عن الحيوانات العجم بعقلهِ تراهُ كلما كان عقلهُ طامسًا في ظلمات الجهل والغباوة كان اقرب الى الحيوانات البكم منهُ الى الانسانية . قال بعضهم "العلم هو الذي ميّز الانسان عن سائر الحيوان وهو الذي فرّق بين الطبيعة الملكية والطبيعة البهيمية" وقال آخر "كلما توغل الانسان في الجهل قرب من الوحوش الضارية وكلما تقدم في العلم قرب من الانسانية الكاملة" واعلم ان نير الجهل ثقيل فطوبى لمن القاهُ عن عاتقهِ لان "يومًا واحدًا للعالِم خير من الحياة كلها للجاهل" انظر انهُ حيث يسود الجهل فهنالك الانقسامات والشقاق والمخاصمات والتعديات وفقد الأَمان والسلام وحيث حلّت هذه الموبقات

وقفت الاشغال وحيث وقف دولاب الاعمال افتقرت العيال واحتاجت الى القوت الضروري والخلّة تدعو الى السلّة فيترقب الواحد الفرصة لاختلاس ما لغيرهِ بايّ طريقة امكنتهُ. وكيف تكون الفضيلة في وسط جماعة كهؤلاء ؟ تراها معذّبة منبوذة "الحق سقط في الشارع والاستقامة لا تستطيع الدخول"

لولا الجهالة بين الناس تقسمهم في الدين والرأي احزابًا من القِدَمِ
لما سطت فئة منهم على فئةٍ ولا انحنوا تحت وقر الاثم كالنعمِ

اما اذا اشرقت شمس العلوم فتتبدّد غيوم الجهالة الكثيفة وتتبخّر عفونات الشرور وتنبت بزور الصلاح فيعيش الناس في بحبوحة الراحة والطمأنينة

ما اعظم مصاب من يجهل القراءة فانهُ يفقد نصف لذّة وجودهِ. ومن جهل الكتابة احتاج الى التسوّل بتكليفِ اصحاب المعرفة بقضاء اشغالهِ فيها. ومن اقتصر على معرفة لغتهِ كان في غيرها من اللغات اصمّ ابكم لا يُفهِم ولا يَفهم. ومن جهل الحساب عرّض نفسهُ الى اضاعة كثير من اموالهِ. ومن لم يتعلم الجغرافية جهل مركز وجودهِ ونسبة مكانهِ الى غيرهِ من حيث البعد والجهة الى غير ذلك من ضروب الجهل والغباوة الناتجة عنها. فترى الجاهل العوبة بيد ارباب المعرفة وكفى بذلك حثًّا للوالدين ليرسلوا اولادهم الى المدارس وللاولاد ليدركوا عظم اهمية اكتساب العلوم ويبذلوا وسعهم في سبيل تحصيلها قال الشاعر

العلم يحيي قلوب الميّتين كما يحيي البلاد اذا ما مسّها المطرُ

والعلم يجلو الدجى عن قلب صاحبه

كما يجلّي سواد الظلمة القمرُ

ومن احسن ما قيل في العلم هذان البيتان

ربَّ ميتٍ قد صار في العلم حيًّا ومبقًى قد مات جهلاً وغيًّا

فاقتنوا العلم كي تنالوا خلودًا لا تعدُّوا البقاء في الجهل شيًّا

الفصل السابع

افتقارنا الى المدارس

ان المدارس روضةٌ لأُلي النهى والعلم في افنانهـــا الميلاء

فالى السباق الى ثمارٍ اينعت في دوح هذه الروضة الغنّاء

ما هي الفائدة اذا عرف العليل الداء وليس من طبيب ولا دواء يمكن لو بقي يجهل داءهُ لعاش الايام القصيرة التي له براحة بال . كذلك حالنا بعد ان عرفنا داء الجهل الدفين المتفشي فيما بيننا والاضرار الجمة الناجمة عنهُ ورأينا شدة الاحتياج الى تحصيل العلوم والفوائد العظمى المترتبة عليها . فلكي تحصل الفائدة المقصودة نحتاج الى مدارس ومعلمين . فالمعلمون هم الاطباء الذين يرجى من غيرتهم تطبيب داء الجهل المضرّ والمدارس هي المستشفيات

واولئك الاعلاء . المدارس ينابيع المعرفة منها تتدفق العلوم لإرواء العطاش الى اكتساب الحقائق . المدارس منائر تنير الاماكن التي سادت عليها ظلمات الجهالة . المدارس قلاع حصينة تحافظ على الفضائل والآداب وتدرأ عن الطلبة هجمات جنود الشرّ والعوائد الذميمة . هنالك يتلقنون الحقائق العلمية ويتمرنون على السيرة المستقيمة

ترى اي اهم للوالد ان يبني بيتاً فخيماً موَّثثاً بالرياش الفاخر تاركاً اولادهُ يمرحون في غرف بيتهِ الجميل ويعيثون فساداً فيهِ يتشاتمون ويقذفون بالالفاظ البذية او انهُ يهذبهم في المدارس ويكون في بيت متوسّط

اي افضل ان يلبسهم اجمل الحلل بحيث يصيرون قرة لعيون الناظرين يتبختَرون في ساحات البلدة وهم عارون من لباس الفضيلة والآداب يجهلون ما يحتاجون اليهِ ضرورة من العلوم المهمة او انهُ يلبسهم ثوباً قشيباً من العلوم الصحيحة والآداب الحميدة زينة النفس الخالدة

قال المرحوم المعلم سليم كساب من قصيدة

مواهبنا تنلْ اذا علاهـا ... صداهُ بالبطالة والوساوسْ
وتصدأُ مثل آلاتٍ قوانا ... ولكنَّ التدرُّب خير حارسْ
اذا صدأَت جلوناها بشغلٍ ... بدرسٍ في المكاتب والمدارسْ
يزين جسومنا ادبٌ وعلمٌ ... وتقوى لا الحرائر والاطالسْ

جمال حياتنا يبدو سناهُ باعمال التقى لا بالملابسْ

اي فضل ان يبذل الاب وسعهُ ليلهُ ونهارهُ في اذخار الاموال وامتلاك الاراضين لكي يعدّ لبنيهِ ارثًا جزيلاً مطلقًا لهم العنان ليجروا حسب شهواتهم غير مهتم بتثقيف عقولهم بالعلوم ولا مكترث بإرسالهم الى المدارس او انهُ يهيئهم ليشبُّوا رجالاً قادرين على تحصيل حاجياتهم لهم عقول ثاقبة وآداب رائعة وصفات حميدة . فكان الاولى بهِ ان يهتمّ بهذا اولاً وبعدئذٍ ان كان الارث فخير والاَّ فالاجتهاد والامانة والمعرفة تُغني عنهُ . كم من ولد جهول ربي في العز والدلال وورث اموالاً طائلة ولانهُ لم يتهذب بالعلوم والآداب تبع طرق الغواية وبذّر اموالهُ بعيش مسرف فافتقر واتلف عقلهُ وجسمهُ وضميرهُ . ولقد صدق من قال "الادب خير ميراث"

يميل البعض الى توسيع وتوفير اسباب الكسب ورواج الاعمال في بلدهِ بتشييد المعامل وجلب البضائع وتكثير الصنائع ذلك لكي تتدفق الاموال بغزارة عليهِ وعلى مواطنيهِ . مع رؤيتنا لزوم هذا نرى أما كان اولى بالاهتمام واحرى بالتقديم تشييد مدرسة او مدارس حسب الاحتياج في ذلك المركز . المعامل تشتغل في مواد جامدة عديمة الحياة واما المدارس فانها تشتغل في عقول سامية تربي جواهر كريمة تنمي القوى العقلية وتحوّل اعمال الانسان نحو الخير وخدمة القريب . قال الفاضل دانيال وبستر "ان

حفرنا في الرخام فسيفنى وان اشتغلنا في النحاس فسيمحوهُ الزمان وان بنينا الهياكل فستتحوّل الى غبار . لكننا اذا عملنا في الانفس الخالدة وشرّبناها المبادئ القويمة مع خوف الله ومحبة القريب فانما نحفر على تلك الصفائح ما لا يزال مشرقًا مدى الدهور "

نحن نفتقر الى اطباء يعالجون امراضنا لكن افتقارنا الى معلمين يثقفون عقول اولادنا اعظم . نحتاج الى صناع يهيئون لنا ما يلزم من المصنوعات لكن احتياجنا الى مدرّسين يشتغلون في تهذيب بنينا اكبر . يلزمنا تجار نأخذ منهم ما نحتاج اليهِ في حينهِ ولكن حاجتنا الى المهذبين اشدّ . هذه امور ضرورية ومهمة انما لزوم المدارس اهمّ من كل مهمّ

وعليهِ قد ادركت الشعوب المتمدنة الحاجة الماسة الى المدارس فبذلت الاموال الطائلة في تشييدها . ويمكنك ان تحكم على درجة تقدُّم وتمدُّن امة من انتشار العلوم والمدارس فيها وهذا حكم مُبرَم لا يقبل مراجعة واستئنافًا . والحمد لله ان بلادنا قد أفاقت من غفلتها وشعرت بافتقارها الى المدارس واخذت تسعى في سبيل اكتساب المعارف

واذا رأيت من الهلال نموّهُ ايقنتَ ان سيصير بدرًا كاملاً

الباب الاول

قبل دخول المدرسة

الفصل الاول

نحن والتعليم

اذا قابلت حالة بلادنا العلمية الحاضرة بما كانت عليهِ قبل اواسط القرن الفارط تري بونًا شاسعًا حال كوننا لم نبلغ الغاية المطلوب من تحصيل العلوم وما هو موجود منحصر في اماكن خصوصية بافراد معدودين . اما في النصف الاول من القرن الغابر فكاد العلم يكون معدومًا ومن بلغ بحسن توفيقهِ معرفة قراءة الكتب المطبوعة حُسب عالمًا او الكتب المخطوطة عُدَّ علاَّمة عصرهِ او تمكن من الكتابة وبعض الانشاء اعتبرهُ الجمهور سيد العارفين على حين ان من نالوا هذه الرتبة يعدُّون على الانامل . ولكن لما بزغت شمس العلم وارسلت اشعتها الى افقنا الشرقي ازهرت المعرفة في حقول العقل المهملة اذ تيسرت لها اسباب النمو اي إزهار فجُليت تلك الاذهان من صدإ الجهالة وهبَّت من سبات الخمول وشرع

الطلاب يتسابقون في مضمار العلوم ولا تسابق الخيل الجياد في ميدان الطراد

حوّل نظرك عن بلادنا نحو الاقطار الغربية تَرَ البنايات الشامخة والقصور الفخيمة التي ضمّت شبان القدم لتُرضعهم البان المعرفة وتغذّي عقولهم باثمار اسرار العلوم . على ان نظام التعليم في تلك البلاد مختلف ففي بعضها مع اجتهادها وغيرتها في نشر لواء المعرفة وتسهيل طرق اكتسابها يطلقون للعموم حرية التعلّم حتى اذا شاء البعض اهمالهُ لا يؤاخذ مدنيًّا على ذلك . اما في البعض الآخر فالتعليم الزاميٌّ كل ربّ عائلة مُجبَر من قبل النظام المدني ان يهذّب اولادهُ في المدارس حتى انهُ أُحصي عدد تلامذة المدارس في بعض البلدان فبلغ نحو ربع السكان . والحكومات تيسّر لهُ ذلك بتوسيع وتسهيل وسائط التحصيل وتوفير المدارس حتى لا يبقى هنالك عذر لمعتذر

فحبّذا العلم وحبّذا تحصيلهُ من اي فئة وباي طريقة كانت الزاميّة او اختيارية ونرجو ان ترقى بلادنا الى درجة اولئك من اعتبار العلوم وتسهيل طرق تحصيلها . اما حدّ التعليم فاليك هو

قال الفاضل صاحب دائرة المعارف "التعليم عبارة عن تقوية القوى الادبية والعقلية والطبيعية وتهذيبها فيشمل جميع الوسائط المؤدية الى هذه الغاية في شخص منذ طفوليتهِ فصاعدًا وجميع الوسائط المبلغة الى ذلك من مدارس وغيرها"

الفصل الثاني

درجات المدارس وايتها نختار

سبق لنا الكلام عن افتقارنا الى المدارس . وهنا نذكر درجاتها بوصفٍ وجيز مبتدئين من

المدرسة البيتية : لا اجترئ ان اقول ان هذا النوع من المدارس غير معلوم فيما بيننا مخافة ان انجس حق الفئة القليلة المحافظة عليهِ . ولكن هذه المدارس في بلاد الغرب شائعة كل الشيوع . وهي المدرسة الاساسية التي عليها يتوقف التهذيب الادبي والعلمي لان ما يعلق في ذهن الولد من صغر سنهِ يغرس في عقلهِ ويعسر حمله على الاقلاع عنهُ . فهنيئًا للبيت الذي ضمَّ امًّا متهذبة غيورًا على مستقبل اولادها تخصص من وقتها الثمين قسمًا لتعليم بنيهـــا تلك الام الحكيمة التي لا تغلب محبتها الوالدية فتمنعها من العناية اللازمة والتأديب المقتضي لاولادها بل تهيئ انجالها الى مستقبل سعيد ليشبُّوا قرَّة لعينيها وبركة لدولتهم ووطنهم

" قال القسيس بنيامين سميث انهُ امتحن اولاد البيت الملكي في لندن بكتاب اصول الايمان فاظهروا نجابة وسرعة خاطر في

الاستظهار والفهم فاثنى عليهم وقال ان معلمتكم بذلت العناية في تعليمكم ونجاحكم فيجدر لها المديح على ذلك . فقالوا بصوتٍ واحد نعم ان معلمتنا تستفرغ المجهود في تعليمنا العلوم ولكن التي علمتنا اصول الايمان امنا (اي الملكة ڤكتوريا) فالام المهذبة التي تعتذر بضيق وقتها واشغالها فلا تعلّم اولادها لتفتدِ بالام الامبراطورة التي كانت تشغلها مهام اعظم الممالك . وقد خصصت الام بالذكر لان اشتغال الاب خارج البيت لا يمكنهُ من اتقان العناية بهذه الخدمة على انهُ لا يستغني عن مد يد المساعدة كلما مكنتهُ الفرصة

المدرسة الابتدائية : قد صرت ايها الولد العزيز في سن انت فيهِ لا تشبعك المدرسة البيتية لان امك الحنون تشغلها امور البيت فلا تستطيع ان تملأ كل احتياجاتك الى المعرفة ولذلك صار من المقتضي ان يأخذك والدك الى المدرسة الابتدائية . وهنا استأذن الوالد الشفوق ان يسمح لي في ابداء هذه الملاحظة : انهُ من الغلط الذي يجب تجنبهُ ارسال بعض الوالدين اولادهم الى المدرسة الابتدائية وهم دون السابعة من العمر وقد يكون غالبًا الباعث على ذلك التخلص من جلبتهم وحركاتهم في البيت ومهما كان السبب فانهُ معلوم صحيًا ان حصر واجتهاد قوى الحدث العقلية يؤثران فيهِ تأثيرًا سيئًا خصوصًا اذا كان من الاولاد النجباء . قال احد الاطباء المشهورين في معالجة الامراض العصبية انهُ

رأى ولدًا له من العمر خمس سنوات فقط لكنهُ كان قد تعلم القراءة جيدًا وقرأ مجلدًا كبيرًا في التاريخ . وكان يقرأ الجرائد كما يقرأها ابوهُ ويحادث الكبار في موضوعها كأنهُ واحد منهم . ولكن لم يطل عليهِ الامر حتى صار يمشي وهو نائم ثم اصابهُ نوع من الجنون والفالج . قال الطبيب المذكور والارجح عندي انهُ سيبقى مختل العقل ما دام حيًّا . وسبب ذلك اجهاد قواهُ العقلية قبل ان بلغ دماغهُ درجة كافية من النمو وانماء دماغهِ قبل وقتهِ فلينتبه الوالدون

اما متى بلغ الولد السنة السابعة فذلك هو السن المناسب لوضعهِ في المدرسة الابتدائية . ويأسف اقول ان هذه المدارس غير موجودة في بلادنا الاَّ في بعض الاماكن . ولكن حيث توجد المدرسة البيتية لا اعتقد الاَّ انها موجودة . هنا لا يوجد حنان الام وان يكن معلمك شفوقًا فلا تأمل ان تبلغ الشفقة فيهِ مبلغها في الام هذا امر طبيعي ولا تبخس المعلم حقهُ اذا صرَّحنا بهِ . وعليهِ لا تطمع في التدلل بل عليك ان تمتثل كل اشارة في مدرستك الجديدة . قد تغرَّبت عن البيت بضع ساعاتٍ ولكنك لا تزال تاكل وتنام فيهِ . ربما تضايق من الحصر وتودّ التملص وانت لا تزكن بعد قيمة ما تحصلهُ في المدرسة الفصاص يؤلمك فلا تسيئهُ لنفسك . كثيرون لا تصير لهم وسائط لاكتساب العلم في سوى هذا النوع من المدارس وربما تكون واحدًا من اولئك الكثيرين فابذل جهدك في تحصيل

ما انت في غاية الاحتياج اليه اعني ان تقرأ جيدًا وتكتب وتحسب وتعرف اصول الجغرافية . اضف الى ذلك المبادئ الدينية الجوهرية والقواعد اللغوية الاصولية وغيرها مما لا غنى عنه لكل شخص . واذا عاد حسن الحظ فوفق لك الدخول الى مدرسة أعلى كان خيرًا و بركة

المدرسة المتوسطة : يوجد نوع من المدارس ارقى من الابتدائية ولكنه ادنى من العالية وهو ما دعوناهُ المدارس المتوسطة. في هذه المدارس تدرّس فروع اكثر العلوم وتتيسر فيها مواد وادوات تساعد على فهم الدروس . يعلم فيها اكثر من استاذ واحد يكون الترتيب اكمل والنظام اتم . وقد ينبغ فيها بعض الافراد. وهي قد تكون داخلية وقد تكون خارجية فهذه المدرسة تقتضي عناية اكثر وتيقظًا وانتباهًا . الوسائط وافرة فعليك ايها التلميذ باغتنام الوقت اياك ان تضيع الفرصة

المدرسة العالية : لا يقال في هذه اكثر مما قيل في سابقتها سوى انها اكثر اتقانًا واوفر وسائط فتعدّ رجالاً اكفاء للقيام بامور مهمة حال كون التلميذ لا يتدرج ضرورة اليها من المدرسة المتوسطة بل قد ينتقل اليها احيانًا من المدرسة الابتدائية رأسًا . وقد وفر هذا النوع من المدارس في بلادنا ولكنها في الغالب متجمعة في اماكن قريب بعضها من بعض لانها طائفية متناظرة وحبذا المناظرة

في تشييد بيوت العلم . ولكن كانت الفائدة منها اوفر للوطن واتم لو تفرّقت وتآخت في الخدمة العمومية

المدرسة الكلية : لم تحرَم بلادنا والحمد لله من المدارس الكلية . واول ما شيِّد منها الكلية السورية الانجيلية انشأها الاميركان في مدينة بيروت وتلتها كلية القديس يوسف انشأها اليسوعيون في المدينة نفسها . وقد خرّجت هاتان المدرستان شبانًا نجباء كثيرين . يدرِّس في هذه المدارس اساتذة خصوصيون كل استاذ مخصص لفرع معيَّن من العلوم يتضلع فيهِ ويلقّنهُ تلاميذهُ . اما المعدّات المدرسية والتمرينات العملية فيها فتكاد تكون تامّة . ولسوء حظ لغتنا العربية ان المدارس الكلية عندنا تدرّس العلوم بلغة اربابها الاجنبية على ان الفائدة من اكتساب اللغة الاجنبية وامتلاك ناصيتها امر مسلَّم بهِ ولكن لا احد ينكر خسران لغتنا في التآليف العلمية التي كانت قد صارت غنية فيها لو درّست العلوم في العربية . وعلى كُلّ (شحاذ ومشارط لايكون) فليس لنا الاَّ ان نسدي امتناننا الكلّي الى من سعوا بتشييد تلك البيوت العلمية الخيرية . ونرجو ان يقوم من الوطنيين من يحذون حذو اولئك الافاضل فينشئون نظيرها مدارس وطنية محضة

المدرسة الجامعة : هذه أعلى درجة من سائر المدارس وقد سارت الكلية السورية الانجيلية سيرًا حثيثًا فبلغت هذه الدرجة . وهي تتضمن فروع العلم كافة . وفيها يتخرج العلماء الاعلام والروَّساء

العظام فالكتبة وارباب التآليف واصحاب المجلات اكثرهم يتهذبون في هذه المدارس واولاد الامراء يخرطون في سلك التلمذة لها خاضعين لقوانينها . وقيام وثبات هذه المدارس باختلاف درجاتها يقتضي نفقات باهظة واوقاف كثيرة

واما ان يتيح لك حسن الحظ فتدخل احدى هذه المدارس المشهورة فذلك ما ارجوهُ لك لكن لا تشغل افكارك الآن فيها بل حوّل نظرك الى ما هو امامك . وعليهِ اوّل ما يهمك السؤال عنهُ هو هذا : اية المدرس تختار بعد تركك مدرستك الابتدائية ؟

ربما اول ما خطر في بالك مدرسة طائفتك ولا الومك على ذلك لكن اذا وُجد ما هو اشهر وافيد منها فلا يسُقك التعصُّب الى رفض المفيد وتفضيل ما هو دونهُ عليهِ . واول ما تسأل عنهُ آداب المدرسة ونشاط وامانة مدرسيها والتلاميذ الذين تخرجوا فيها فهم وسيرتهم عنوان حيّ لمدرستهم . وبعد ان يقرّ الرأي على مدرسة معلومة اطلب نظامها وادرسهُ واعرف قوانينها وكل ما يمكنك معرفتهُ عنها لكي لا تدخل المدرسة اعمى بل كمن هو مختبر وعارف . ونحن ندعو لك بالتوفيق والنجاح

الفصل الثالث

استعداد التلميذ

بقي عليك ان توفقت الى اختيار المدرسة المناسبة ان تهيئ ما يلزمك لان مطاليب البيت شيء ومطاليب المدرسة شيء آخر . وقبل ان اشير عليك في امر الاستعدادات المادية اطلب منك ان تقف هنيهة وتتأمل في ما انت عازم عليه . ان طريقك ربما كانت مفروشة اشواكًا موٴلمة ومُحاطة بصعوبات جمة مثل احتمال فراق الاهل والمعيشة في الغربة ونحو ذلك . فالعلم واكتساب المعرفة ليسا من الامتعة التي تجدها في السوق فتشتريها وتعود سريعًا الى ما بين اهلك بل تقتضي فوق الكدّ والنصب السنين الطوال والمثابرة على الاجتهاد . وربما وجدت في المدرسة اشياء كثيرة مباينة لذوقك الذي ألفتهُ . ورغبتك الزائدة الآن في الذهاب الى المدرسة لابد من ان تخمد بعد وصولك اليها بايام قليلة فتعرض لك تجربة عظيمة قد سقط فيها كثيرون قبلك وهي هجر المدرسة والعودة الى البيت باية طريقة كانت . فاستعد قبل ذهابك لمصادمة كل صعوبة وللثبات ازاء كل تجربة . نعم

ان عدم الذهاب الى المدرسة خسارة ولكن رجوعك منها بدون استفادة خسارة فوق خسارة . وعليهِ رأيت ان امحضك النصيحة منذ الآن واريك ان اول استعدادك عزم ثابت راسخ ان تبقى في المدرسة الى نهاية السنة المدرسية وان تعاود الدرس سنة بعد اخرى حتى تنتهي او تنتقل الى مدرسة أعلى

اما ما يلزمك ان تصطحبهُ معك من الامتعة والثياب فليس لي ان احصر ذلك او احدّهُ لانك اذا كنت من ذوي الغنى فخذ معك ما يروقك ولكني اشير عليك ان لا تُفرط في ذلك لئلا تشغل افكارك بالقشور الخارجية فترى نفسك احسن من بعض التلاميذ رفقائك فيكون من ذلك تأثير غير حميد في اخلاقك وان كنت فقيرًا فلا تحمّل نفسك فوق استطاعتك لان تحصيل العلم لا يتوقف على جودة الثياب والامتعة

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤهُ
خلقٌ وجيبُ قميصهِ مرقوعُ

فالاشياء الضرورية التي لا غنى عنها هي ان يكون لك بضع (بدلات) ثياب تغيرها عند اللزوم ومنها واحدة او اكثر ممتازة تلبسها في الحفلات الرسمية كما وانهُ يناسب ان يكون معك (بدلة) واحدة او اثنتان مناسبتان للشغل ان كنت في مدرسة صناعية مع الاحذية اللازمة . ومما لا غنى عنهُ ايضًا فراش ومخدّة

ولحاف وشرشفان وملحفتان وبيتا مخدّة ومناشف ومناديل (محارم) ومشط وشعريات (فرشات) للشعر والثياب والاحذية . وهل يوجد في المدرسة التي انت ذاهب اليها خزائن خصوصية للتلاميذ او يطلب منك ان تشتري صندوقًا ذلك تعرفهُ بالاستفسار عن تلك المدرسة على ان كل ما ذكرتهُ هو عرض دون فرض لان لكل مدرسة نظامًا تقتضي مراعاتهُ من طلبتها فعوّل على نظام مدرستك من هذا القبيل . وفوق ذلك خذ معك دراهم بعضها لشراء الكتب المدرسية وبعضها يبقى لسدّ ما تحتاج اليهِ من وقت الى آخر

ومما هو من الاهمية بمكان ان تتكل قبل كل شيء على مساعدة الله وعنايتهِ وتأخذ رضى والديك واعدًا اياهما وعدَ حرٍّ بالمحافظة على وصاياهما والقيام بالواجبات المطلوبة لكي تريح ادعينهما ولا تنسَ ان قلبيهما ذاهبان معك

الفصل الرابع

مع السلامة

قد ازفت ساعة الفراق ودنت غصة البعاد رُزمت الامتعة وحضر زاد السفر . الاهل مشتغلون باعداد وتحضير ما يلزم . امك اخذت مكانًا منزويًا حتى تطلق عبرات الفراق لكي لا تراها

فتورثك الغم في غربتك . عيناها مغرورقتان بالدموع وقلبها يلتهب وكل حاسّاتها ادعية الى الله لكي يوفقك في غربتك وتعود اليها سالمًا . الاب متجلد اكثر من الام وهو يبش في وجهك . ويوصيك ان تكون فتًى منتبهًا قادرًا ان تعتني بنفسك . الاخوة والاخوات وسائر الاهل والمعارف اجتمعوا معًا وهم يقولون بفم واحد . مع السلامة يا عزيز : الرب يكون معك ويوفق امورك : انت الام من مخبإها ومدّت ذراعيها : تعال يا حشاشة قلبي وزوّدني قبلات من وجنتيك الحلوتين — اخذت الوالدة ابنها بين ذراعيها وهنالك اعطت النفس مداها وطفقت تقبلهُ — تقبلهُ ولا ترتوي من تقبيلهِ — شجّعها بكلماتك — اطمأني يا والدتي — ليرتح بالك يا امي زودني بادعيتكما الصالحة

سار الركب غابت البلدة عن النظر صرت بعيدًا عن الوالدَين عليك ان تتشجع وتتجلّد كن كفوءًا لكل ما يعرض لك . انتبه لنفسك . تيقظ لاحظ امتعتك لئلاَّ يفقد منها شيء

انتهى السفر — أُلقيت عصا الترحال اذ وصلت الى البلدة المقصودة — هذه مدرستك — افرع الباب — اتى الخادم وفتح لكم — ادخلوا اهلاً وسهلاً

الباب الثاني

بداءة المدرسة

الفصل الاول

اهلاً وسهلاً

قد صرت ضمن بيتك الجديد . انظر . ان كل شيء فيه يبسم لك الحديقة تشير اليك . ابواب المنازل مفتوحة تؤمّل بقدومك . الرئيس والمعلمون يمدُّون لك يد القبول بالمسرّة . وبالاجمال يمكنني ان اقول كل شيء ضمن المدرسة قد صار لك . البناء والحديقة وساحة اللعب الرئيس والمعلمون . لولاك ولولا رفقاؤك التلاميذ لم يكن شيء من كل ما ذُكر . فاذًا يصح قولنا ان كل شيء لك . ولكن لا يبطرك ذلك فتحال نفسك سيد الجميع نعم ان الكل لك ان كنت انت للكل لان لك نسبة

وعليك واجبات نحو كل مَن في المدرسة فاذا نمت هذه النسبة وقمت بكل الواجبات كان الجميع لك والاَّ عُكس الامر صار عليك الجميع وهذا لا ارجوهُ لك

بعد ان تلقي عصا السفر وتدخل امتعتك الى دار المدرسة يتألب حولك التلامذة من جدد نظيرك وقدماء ان كان قد سبقك احد . ولا بد قبل كل شيء من مقابلة رئيس المدرسة فتبدي نحوهُ كل احترام ولياقة لانك مسلَّم من والديك الى عنايتهِ فهو يسهر عليك ويهتم بخيرك . وفي اثناء هذه المقابلة يصرح لك بالقبول ويُسلمك الى من يناط بهم تدبيرك فيتعين لك سرير منامتك حيث تضع امتعتك . فرتب فراشك وكل ما لك اتم ترتيب لكي تُرى ولو في ساعة تعبك وانهماكك محافظًا على ذلك . هذه اول ليلة لك في المدرسة ارجو بعد تعب السفر ان تنام مرتاحًا وتشبع نومًا . واما اذا أرقت لكثرة تفكرك بالمنزل الجديد ارشدك الى التأمل في ما هو لخيرك لكي لا تصرف افكارك نحو بيتك واهلك وبعادك فتتكدَّر لهذا التغير . وما اسوقهُ اليك ليكون موضوع تأملك هو ان تضع نصب عينيك — ان الشرَّ خارجًا والصلاح داخلاً — واعني بهذا انك بعد اجتيازك عتبة المدرسة الى داخلها انبذ وراء ظهرك كل ما هو شرٌّ وأدخل معك كل ما هو خير . ولا اقصد بذلك انك بالطبع ولد شرير لا اريد ان انسب اليك ذلك بل ان تعاهد نفسك وتعزم عزمًا

ثابتًا ان لا يبدو منك شيء مزعج لراحتك او راحة المدرسة فتبذل جهدك باستمداد مساعدة الله ان تكون آلة خير للصلاح

ولا بد من امتحانك لتعيين الصف الذي يمكنك السير فيه. وتعيين الصف مفهوم انهُ لا يكون بحسب السن او مقام الاهل او حسن الصفات بل بحسب استعدادك في ما درستهُ قبل مجيئك الى المدرسة حتى اذا كنت متقدمًا في احدى المسائل ولكنك متأخر في غيرها لا توَّهل بذلك الى صف متقدّم بل تأخذ الدروس التي تجهلها ذلك لكي لا تفوتك فائدة ما انت جاهلهُ واتباعًا لسير الصفوف القانوني . وهنا انصح لك ان لا تجتهد لتُري نفسك اكثر مما انت او ان يبدو منك اقل تحيُّل لارضاء ممتحنيك . وبعد الامتحان الكافي يصرّح لك بالصف المناسب فاقبلهُ برضًى ولا يخطر لك ببال انهُ دون قدرك واستحقاقك حتى اذا فرضنا انك تعرف من نفسك فوق ما بدا منك في الامتحان فلا بأس ارضَ بما تعين لك واظهر امتيازك في التسميع اليومي وباختبارهم اياك لابد من ان ينتبهوا فيرقوك الى صف اعلى وفي ذلك فخرٌ لك

لم يبقَ في هذا الفصل سوى ملاحظة واحدة وهي ان تعرف انك بدخولك المدرسة قد امتزت عن كثيرين من الاولاد المحرومين هذه النعمة التي حصلت عليها . فاظهر في تصرفك واجتهادك انك تستحقها والاَّ فتكون قد شغلت مركزًا كان

غيرك اولى منك بهِ . فكم من ولد يلتهب غيرة على تحصيل العلوم والظروف تعاكسهُ . الفقر يحيط بهِ فيضطرّ الى تحصيل القوت الضروري بعرق جبينهِ . يتوق الى رؤية كتاب في يدِ ليدرسهُ . يُروى ان البابا ادريانوس السادس لما كان صغيرًا لم يكن بمكنتهِ ان يبتاع مصباحًا ليدرس على ضوئهِ في الليل فكان يدرس على ضوء المصابيح المعلقة في الازقة . ومثلهُ يروى عن ابي النصر الفارابي فانهُ كان يسهر الليل للمطالعة والتصنيف ويستضيء بقنديل الحارس . ايضًا الدكتور لفنستون كان في حداثتهِ يشتغل في معمل قطن بالقرب من كلاسكو وكان يشتري بقسم من اجرتهِ مع احتياجهِ كتبًا للدرس وكان يأخذ كتبهُ معهُ الى المعمل ويضع الكتاب امامهُ وهو آخذ في عملهِ

فالبابا ادريانوس والدكتور لفنستون في حداثتهما كانا يحسدانك على هذه الوسائط الميسورة لك لتحصيل المعرفة فاعرف قيمتها واستفد منها

الفصل الثاني

اشياء جديدة واوقات محدودة

ربما تكون هذه اول مرّة تركت فيها البيت ولذلك ترى اشياء كثيرة جديدة في عينيك . فترى المدرسة بغرفها الموضوعة

على هيئة تناسب المدارس لا بيوت السكن غير ما ألفتهُ من هيئة بيتكم . اسرَّة كثيرة في غرفة واحدة . كثيرون ينامون معًا في تلك الغرفة . قاعة الاجتماع العمومي للدرس مكان اوسع مما لك عادة ان تنظر في بيتكم . غرفة الطعام تدهشك اذ ترى جمهورًا كبيرًا مجتمعًا للاكل معًا (طقطقة) الملاعق تسمع لها صدى المكان فتستغرب الحال بادئ ذي بدء . ساحة اللعب ربما لا تستغربها اذ كنت ترى نظيرها في بلدتكم . وجوه كثيرة لم تألفها سابقًا

وما هو جديد في عينيك ان لكل عمل في المدرسة وقتًا للدرس وللعب للطعام وللتنزُّه للنوم وللقيام من النوم للتسميع ولغيرهِ . وبدون هذا الترتيب لا تستطيع المدارس ان تسير بواجباتها . انت مقيد بنظام . مدبّروك يحبونك ولكن للمحبة حدًّا فلا تتعدَّى حفظ النظام . ربما لا تستحسن اول الامر ارتباطك وتقييدك بنظامات مدققة كهذه ولكن اعلم ان نجاحك ونجاح المدرسة متوقفان على حفظ هذا النظام ليس الاَّ . ولو كان موكولاً اليك مدرسة ما رأيت احسن مما انت فيهِ . ومتى مرَّ عليك وقت والِفتَ هذه الاشياء الجديدة تستحسنها وترى فائدتها

الفصل الثالث

الحنين الى البيت

هنا موضع التجربة التي المعنا اليهـا سابقًا اعني الشوق الى البيت . اذ تتمثل لك الجنة وملائكتها في البيت وان لا مكان نظير البيت . فيتراءى لك ان كل ما في المدرسة آلات لتعذيبك . جوارحك تحنّ الى بلدتك مسقط رأسك الى البيت الذي ربيت فيهِ . فتتنهد وتحسر اذ ترى ذاتك مأسورًا متعبًا لا تألف راحة دون عودتك الى البيت . هنا تنسى العلم ولذتهُ تغفل عن المستقبل الحسن المترتب عليهِ ولا يخطر ببالك سوى امك وابيك واخوتك ورفقائك الذين ربيت واياهم فتندم على مفارقتهم ولات ساعة مندم . تتوق من كل قلبك الى الرجوع من حيث اتيت لو امكنك الامر . تريد ان تحافظ على اسمك وتبقى ولكن حاسّاتك تعود فتتغلب عليك . لسان حالك يقول نعم ان الرجوع عار ولكنهُ هو المشتهى . ومتى قنعتَ او أُقنعتَ ورضيتَ البقاء تأخذ تعدكم يومًا بعد الى الفرصة حين يمكنك ان تعود بشرف الى بيتكم فترى اشهرًا واسابيع وايامًا طويلة كأن لا نهاية لها . عقارب الساعة تتمثل لك عقارب تلسعك لبطء حركتها في

سيرها . واذ ترى ان عدّ الايام لا يشفي غليلاً يُعيد الوجد عليك الكرّة حتى تُرى غائبًا في جسم حاضر تطير على اجنحة التصور فترى ذراعَي امك تطوقانك وقت النوم وهي لا تفارق سريرك الاَّ بعدما تستغرق في الرقاد . انامل الحنان تمسح دموعك . يد المحبة تطعمك . فتتأوّه من قلب جريح . أُمي آه اين انتِ يا أُمي وتنشد قول الشاعر

لا تغترب عن وطنٍ واذكر تصاريف النوى
أَما ترى الغصن اذا ما فارق الاصل ذوى

اعلم انك اذا اطلقت لحاسانك العنان في الافتكار بهذه الامور تكون قد سلَّمت نفسك الى اليأس واضررت بصالحك وبمستقبل حياتك . فعليك ان تتغلب على هذه الافكار بالصبر والتجلد . نعم لا لوم عليك اذا اشتقت الى اهلك والاَّ حُسبت عقوقًا ولكن كل اللوم عليك حتى من نفس من انت مشتاق اليهم اذا دامت حاسات الوجد آخذة اوقاتك الثمينة اللازمة لاتمام الواجب المدرسي الذي تغربت لاجلهِ . فكفكف دموعك وهدّئ روعك وتيقن ان ساعة الكدر لا تدوم وانك اذا رجعت الى البيت لا تلبث ان تتلاشى اشواقك الزائدة اليهِ واحلام المسرّات التي تصورتها فيهِ وتأخذ تندم في حين لا ينفعك الندم قال الشاعر

نيل المعالي وحبّ الاهلِ والوطنِ
ضدّانِ ما اجتمعا للمرءِ في قَرَنِ
ان كنت تطلب عزًّا فادّرع تعبًا
او فارضَ بالذلِّ واختر راحة البدنِ

واظن ان الذي يجعل القنوط مستوليًا عليك هو تصوُّرك ايام المدرسة كلها من نوع ساعتك الحاضرة . فانفِ هذا الوهم من رأسك واعلم انهُ سوف تأتيك اوقات سرور تحسب نفسك فيها في مركز نحسد عليهِ وتشكر الله على وجودك في المدرسة . ان الوقت كالسحاب يمرّ سراعًا فاغتنمهُ ولا تضعهُ . بما لا طائل تحتهُ . واعظم عامل لإذهاب هذه التصوُّرات الانصباب الكلي على القيام بواجباتك

قال بعض الحكماء من يستعمل وقتهُ كما يجب لا يتولاّهُ الضجر " وقال آخر من يلذّ باعمالهِ يجد الوقت قصيرًا جدًّا ومن يتألّم باعمالهِ يجد اليوم شهرًا والشهر قرنًا "

فخلِّ الوطن والبيت حتى يأتي وقتها من ذاتهِ وتمثل بقول ابي تمّام

وطول مقام المرءِ في الحيِّ مخلقٌ
لديباجتيهِ فاغترب تتجدّدِ
فاني رأيت الشمس زيدت محبةً
الى الناس اذ ليست عليهم بسرمدِ

الفصل الرابع

المبدأ الحسن

ان الخطة التي يتبعها التلميذ في حياتهِ الجديدة في المدرسة اوّل دخولهِ اليها يرجَّح ان تكون عنوان مستقبلهِ ومثال حياتهِ المدرسية في بقية السنة والسنين التي تتلوها . انهُ قبل ان يشرَع في بناء فخيم او عمل آخر عظيم يرسمون هندستهُ وبعد ان يعوّلوا على الرسم الاكثر مناسبة يأخذون في العمل على كيفية مطابقة لذلك الرسم . وعليهِ يكون جمال ما قُصد صنعهُ متوقفًا على جمال الرسم ولذلك يتفننونهُ ما امكن الاتقان . كذلك بداءة امرك في المدرسة فمقتضى ان تختار لنفسك احسن خطّة واقوم منهاج تسير فيهِ ولا تباشر امرًا تحتاج الى الاعتذار عنهُ . فاذا وطنت نفسك على هذا المبدإ الحسن قلنا انك تلميذ ناجح وان التعب عليك والنفقات التي يتحملها اهلك لا تضيع . واول ما اوصيك بهِ تقوى الله وعمل مرضاتهِ والتحفظ كل التحفظ في السيرة المستقيمة ولتكن الفضيلة عنوان اعمالك وقاعدة ترجع اليها في كل امورك . اما في

دروسك فاذا بدأت بها برخاوة وعدم اكتراث خشينا ان هذا الاهمال برافقك الى آخر السنة وآخر مدة وجودك في المدرسة وآخر حياتك وهنالك الطامة الكبرى . ان المبدأ الحسن صعبة مراعاتهُ ولكن من تمرَّن فيهِ مدة وجدهُ لذيذاً ورأى تعبهُ راحة. فابذل وسعك من اول يوم تدخل فيهِ المدرسة لكي لا تُرى عليك آثار الخمول والتقصير فتُحتقَر ومتى عُرفت كذلك يصعب عليك في المستقبل ان تنتزع منهُ السمعة عنك الاَّ بجد ووقت طويل

وما قلناهُ في سلوكك ودروسك نقولهُ في سائر واجباتك المدرسية التي ليس هنا محل تفصيلها وقد ذكرنا ما ذكرناهُ اجمالاً وسيأتي استيفاء ذلك في الابواب التالية ان شاء الله

الباب الثالث

العلم والدين

الفصل الاول

اهمية الدين واتفاقهُ مع العلم

طالب العلم اذ تشرق على ذهنهِ بعض الاشعة من شموس المعارف يصير يتأمل في الاشياء قبل ان يبتَّ الحكم بشأنها فينفي من مخيلتهِ ما براهُ من الاوهام المتفشية بين عامة الناس البسطاء. وحبذا صنيعهُ اذا وقف عند هذا الحد ولكنهُ قد يتخطاهُ الى الاعتقادات الدينية حين يرى عقلهُ عاجزًا عن ادراك كنهها فيريد ان يأتي بها الى محكمة عقلهِ للحكم بصحتها او بطلانها. انا لا أُنكر انهُ قد اندسَّ في عادات بعض المذاهب اوهام اضافية من اصول الدين وبعضها مخالف لحقيقتهِ ولحكم العقل معًا. واظن وجود مثل هذه الاوهام جعل الطالب الذي لم ينضج العلم في ذهنهِ ان يغفل عن التمييز بين الغث والسمين من امور الدين فلأنهُ رأى بعض تلك الاوهام عم حكمهُ فسقط في تجربة امتهان

الاديان كافة . زد على ذلك انهُ صار ينتش في كل ما يبحث عن انتقاد معتقدات الاديان . ولا يخلو كل عصر من اناس يتعاملون على تصرُّف بعض ارباب الدين ثم يتطرقون الى الدين نفسهِ ولهم في ذلك تآليف ليست بقليلة . فصاحبنا ينصرف عن درس اصول الدين لمعرفة صحتهِ الى مطالعة انتقاداتهِ للتفتيش عن سلاح لمحاربتهِ بهِ . أضف الى ذلك النخعة العلمية لانهُ حين يرى بعض المقاومين للدين من اهل العلم والشهرة يتوهم انهُ باحتذاء مثالهم يعلق عليهِ شيء من شهرتهم فيمسي والحالة هذه اشدَّ تحاملاً منهم على مناوأة الدين وأهلهِ

على ان مثل هولاء يصرّحون بلزوم التمسك باهداب الفضائل والآداب ويوجبون السير بموجبها . ولكنهُ خفي عنهم انهُ حين تثور شهوة الانسان فيطمح الى العلاء او يطمح فيما لغيرهِ او يروم النقمة ممن يقف في سبيل مقاصدهِ او يميل بكليتهِ الى التمتع بلذّات الجسد لا يعود لكلمة فضيلة وآداب سلطة عليهِ ويكون جلّ ما يخشاهُ الفضيحة امام الناس فاذا أمِن ذلك يطلق لنفسهِ العنان في مضمار الغواية . هذا بخلاف ما لو كان صاحب دين مخلص الايمان وقد أُشرب لبَّهُ حبَّ الصلاح والعيشة التقوية فانهُ يرى من نفسهِ لهُ زاجراً ويعرف ان عين الخالق العليم تلاحظهُ تحت استار الظلام وفي خفايا مخادع القلب فيرتدع عن الاستسلام الى الشر . وهذا ما جعل بعضهم يقول " اذا فرضنا

عدم وجود الدين فعلى الذين يرغبون في صلاح الهيئة الاجتماعية ان يخترعوا دينًا لاجل الحصول على ذلك الصلاح"

والعقل المخلص يحكم بعدم المنافاة بين العلم الصحيح والدين الصحيح وها انا مورد لك بعض اقوال العلماء والمشاهير في اتفاق الاثنين

قال المستر غلادستون "اذا قيل من اعلم الناس اليوم في الطبيعيات . قال العارفون الاستاذ ستوكس في كمبريدج والسر وليم طمسن في غلاسكو وكلاهما مسيحيان ومؤمنان . واذا قيل من اعلم الناس في البيولوجيا . قال علماء ذلك العلم هو الاستاذ البارع ريتشرد اون المشهور بدرس اللاهوت الطبيعي وهو من مشاهير المؤمنين" . وقال الاستاذ فراداي "اني لم استطع ان ارى منافاة بين الدين والعلم ولكني بعد البحث العلمي الطويل رأيت بحرًا عظيمًا لا يمكن العقل البشري ان يدرك قرارهُ"

اما ما تراهُ من امتهان الدين عند البعض فما هو الاَّ لسبب تقصيرهم عن ادراك حقائق العلم قال الفيلسوف باكون "نعم ان الفلسفة القليلة تميل بذهن الانسان الى التعطيل لكن التعمق في الفلسفة يجذب الاذهان الى الدين" اضف الى ذلك جهلهم الكلي للحقائق الدينية . هذا اذا استثنينا ما ورد منها في اعتراضات الكفرة المارقين من الدين. قال الدكتور الفاضل يوحنا ورتبات في خطبة لهُ "وان نفرًا قليلين ممن يدَّعون العلم ضلُّوا عن الهدى

وانكروا الواجب تعالى فالوحي والبعث وتهافتوا الى غير ذلك من الموبقات . وعجبت لاولئك كيف هاموا في اودية الضلال وعموا عن انوار الحق اليقين لادلة اوهى من بيت العنكبوت وقد استقريت كل تلك الادلة فلم ارَ فيها ما يحمل على ظن ما يتفنوهُ وطنطنوا بهِ في المشارق والمغارب فلم اعتقد من الوقوف على حججهم سوى ان اسمى المعطلين ادنى الجهال وسيد الكافرين عبد الاوهام "

وقد توجد مبادئ علمية مسلَّم بها من الجمهور حال كون كيفيتها غير مدركة . فاذا صح ان نتساهل بهذه فلماذا يعسر علينا ان نسلّم ببعض حقائق الدين واسرارهِ التي شاءت حكمة الله ان تجعل عقولنا قاصرة عن ادراكها . قال الفيلسوف اسحق نيوتن " ان اقوال الكتاب المقدس الفلسفة العظمى . واني اجد ادلّة على صدقها اكثر من الادلة على صدق احسن التواريخ العالمية "

كيفية المرء ليس المرء يدركها ... فكيف كيفية الجبار بالقدَمِ
هو الذي انشأ الاشياء مبتدعًا ... فكيف يدركهُ مستحدث النَّسَمِ

وقال الامام الغزالي

انتَ لا تعرف ذاتك ولا ... تدري من انت ولا كيف الوصول
لا ولا تدري صفات ركّبت ... فيك حارت في خفاياها العقول
اين منك الروح في جوهرها ... هل تراها او ترى كيف تحول
انت اكل الخبز لا تعرفهُ ... كيف يجري فيك ام كيف يحول

فاذا كانت طواياك التي بين جنبيك بها انت جهول
كيف تدري من على العرش استوى
فتعالى ربنا عما نقول

ان العالم المدرك الذي نهى نفسهُ عن الهوى اذا تأمل في الطبيعة رأى اصبع الله في كل موجود قال احد الفلكيين " ان الذي يدرس علم الفلك ويطّلع على حقائقهِ ولا يؤمن بالله فهو بدون شك مجنون " لان القصد مفروء في ذلك الانتظام والارتباط المدقق باقصح عبارة . يروى عن نبوليون الاول حين كان في مصر ان القائد كليبر وجماعة من القواد دخلوا خيمتهُ فادّى بهم الكلام الى المناقشة في اثبات وجود الباري تعالى . وكان الكفر ناشرًا بنودهُ في تلك الايام واكثر روَساء الجيش الفرنساوي منكرين الوحي ومعطلين . فنبوليون لم يتكلم حينئذٍ الاَّ قليلاً ولكن حين خرج القواد من خيمتهِ اشار لهم الى نجوم السماء وقال : ايها السادة لقد اقمتم ادلة كثيرة وتفوهتم ببلاغة لكن اريد ان تقولوا لي من صنع هذه العوالم التي تضيء فوقنا بهذا المجد العظيم ؟ فلم يجبهُ احد بكلمة وانصرفوا صامتين " قال المرنم بوحي الله " السموات تحدّث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديهِ "

فانت ايها الطالب لم تزل مبتدئًا في اقتباس المعرفة اياك ان يغشّك اولو الافكار الرديئة ويفسدوا عقلك بكتاباتهم على لوح قلبك الشكوك في الدين زاعمين انهُ لا ينطبق على الاكتشافات

العلمية والحقائق الثابتة . لا تكن سريع التسليم لان للشيطان اناسًا لهم حكمة ملائكة النور ليخدعوا عقول السلماء . واعلم ان الذي اعطانا كتابهُ الكريم منزلاً اياهُ بواسطة انبيائهِ ورسلهِ الاطهار اعطانا كتابًا آخر غير مكتوب بحبر وورق بل مرسوم على صفحات الطبيعة الاثنان منهُ تعالى وغير ممكن ان يناقض احدهما الآخر . وما يرى من شبه الاختلاس ليس الاَّ من قصور مداركنا وكبرياء قلوبنا وما عجزنا عن تطبيقهِ لا بد من ان العلم نفسهُ يرينا الحل الحقيقي لهُ

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالاخبار من لم تزوّدِ

الفصل الثاني

الدروس الدينية

ان المدارس في بلادنا لم تزل لهذا العهد مدارس طائفية لكل طائفة بعض المدارس اجنبية كانت ام وطنية . وعليهِ اخذت كل مدرسة في تدريس طلبتهـا بعض المبادئ الدينية على اختلاف بين مقلّلة ومكثّرة . وقرن الدروس الدينية بالعلمية مفيد للغاية الاَّ اذا اقتصر الدرس الديني على الطعن والافتراء على سائر المذاهب المخالفة لعقائد اصحاب المدرسة . ولكن اذا كان القصد بهِ

تلقين التلامذة الحقائق الدينية الجوهرية أتى بفائدة كبيرة

لما قدم ناظر المعارف للامبراطور نبوليون نظام مدرسة للبنات في فرنسا رأى نبوليون ان من جملة القوانين عدم ادخال الدرس الديني فشطب على هذه القوانين لعلمهِ ان لا غنى للاحداث عن التهذيب الديني لتقويم سيرتهم وصلاح حياتهم

انت في مدرسة تدرس مثائل دينية فلا تحقر تلك المثائل حاسبًا ان الدين لا دخل لهُ في المدارس وانهُ محصور ضمن جدران المعابد وفي صدور القسوس والمشائخ . فاننا اذا افرغنا المدارس من التهذيب الديني نكون كمن يربي عقارب تلسعهُ او كمن يفك قيود الشيطان ليعيث فسادًا في الكون . قال بعض الحكماء "هذِّب ابنك بالعلم بلا دين تجنهُ من امهر الشياطين" وقال المستر روزفلت احد رؤساء جمهورية الولايات المتحدة من خطاب لهُ في الكتاب المقدس "نعم علينا ان نهذّب العقل ولكن تهذيب العقل لا يكفي ما لم يقترن بالتعليم الروحي الذي يقود العقل الى سواء السبيل . انهُ امر مهمّ وضروري الحصول على جسم سليم . وبالحري امر مهمّ وضروري ايضًا الحصول على العقل السليم على انهُ بالاحرى امر اكثر ضرورة من كليهما الحصول على التهذيب الروحي الذي بدونهِ لا يُصلح الجسم السليم ولا العقل السليم الصفات البشرية . فان المسيحيّة هي العامل الفعّال في ميدان الحياة الطويل في الافراد وفي الجماهير على السواء" لذلك

اشير عليك ان تجتهد في تحصيل العلوم الدينية اذا لم اقل اكثر لااقلّ من اجتهادك في غيرها من المسائل العلمية . وعلى فرض ان المدرسة التي انت فيها تباين عقائدها عقائد مذهبك لايهمك الامر انت غير ملتزم ان تعتقد بما لا تراهُ صحيحًا واذا لم تستفد منها تقوى: تكتسب علمًا "والعلم بالشيء ولا الجهل به" لانقل ان هذه الدروس هينة سهل تحصيلها انا قادر ان ادرسها الذاتي بعد خروجي من المدرسة لانهُ ليس في الدين اسرار واكتشافات . ان قولاً كهذا يدل على عدم اعتبارك لتلك الدروس كما يجب لانها تقتضي تأملاً ومراجعة اكثر مما يقتضيهِ غيرها من الدروس

توجد مدارس مخصصة لتدريس العلوم الدينية وهي ما تعرف بالمدارس اللاهوتية او الاكليريكية فيها يتخرج الذين يستعدُّون للخدم الدينية المقدسة. على انها لا تغني عن ادخال بعض الدروس الدينية الهامة الى المدارس العلمية لان ليس الكل يطلبون مدارس اللاهوت

الفصل الثالث

الاحترام وقت العبادة وحياة التقوى

بزغت شمس الاحد ورنت اجراس كنائس المسيحيين تدعو العباد الى اقامة الصلاة. نهضت صباحًا من فراشك وهيأت نفسك

فلبست ابهى حلة عندك وذهبت مع رفقائك التلاميذ الى معبد المدرسة او الى الكنيسة العمومية . دخلتم مصطفين بترتيب ونظام اذا كان لا يليق التشويش في ذهابكم ومجيئكم اعتياديًّا فبالاحرى لا يليق ذلك في امر العبادة . وقفتم او جلستم على المقاعد حيث عُيّنت لكم ومع كلٍّ منكم الكتب المقتضي وجودها في ذلك الاجتماع اذا تساهلت معك في كل شيء من واجباتك كتلميذ ارجو ان تعبرني اذنًا مصغية في امر العبادة

اول ما احذّرك منهُ الرياء في الدين فانهُ هو المعنى الاصلي لكلمة منافق وكفى بهذه الصفة حطًّا لمتّبعها . ولو كان في عدم التديُّن خير لقلت انهُ خير من التدين الرياني وبعد هذا التحذير اقول ادخل بوقار كما الى بيت الله واجلس او قف بهدوء حسب اصطلاح الكنيسة التي انت تعبد فيها وصلِّ صلاة مختصرة في ضميرك . ربما تكون هذه الكنيسة لطائفة ليست هي طائفتك لا بأس انت قد عرفت ذلك قبل مجيئك الى المدرسة ورضيتهُ ومهما كانت الطائفة فان اصحابها لا يعبدون غير الاله الذي تعبدهُ انت فاحترم وجودهُ وتيقن انهُ فاحص افكارك ومراعٍ حركاتك وكل ما يبدو منك خصوصًا في هذا الاجتماع . فلا تزاحم رفقاءك ولا تطلب احسن مكان لنفسك . بشّ بوجوه الغرباء الذين يكونون بجانبك وقدّم من كتبك لهم . اشترك في نيتك بصلاة المصلي وارفع قلبك بصوت الحمد والتسبيح . استوعب ما يفوه بهِ الواعظ واستفد

منهُ ما تستطيع استفادتهُ . قدّم ما يلهمك قلبك اليهِ من العطاء لعمل الخير . لا تنظر الى ساعتك من وقت الى آخر كمن هو متضجر من طول الوقت . اظهر في هيأة جلوسك ووقوفك علامات الوقار كمن هو في حضرة الله العظيم . لا تلتفت الى الوراء لترى الداخلين بعدك الى الكنيسة ولا تشغل فكرك في الالتفات نحو السيدات . فان في ذلك خفة وامتهاناً للحضرة الموقرة . لا تومئ براسك ولا تُشر بيدك ولا تغمز بحاجبيك احداً في الكنيسة ولو من رفقائك التلاميذ لانك في حضرة الله فاكرم وجودهُ لا تشغل افكارك هيئة خادم الدين وجودة منطقهِ وحسن انساق كلامهِ وسبك جملهِ وزيّ ثيابهِ كل ذلك امور لا طائل تحتها . بل انظر الى روحهِ التقويّ الذي بهِ يسكب نفسهُ امام الله . لا تتكئ على شيء في العبادة ولا ترشّ ماء بارداً في وجه خادم الدين لئلا تطفئ غيرتهُ وتخمد حرارتهُ . وحين تنتهي الصلاة البث قليلاً هادئاً وصلِّ صلاة مختصرة واخرج كما دخلت بخشوع ووقار . لا تنتقل سريعاً الى الحديث والجدال العالمين لئلا تذهب بتأثير الصلاة وروح العبادة ثم لا تغفل عن الصلاة الانفرادية قبل النوم وحين النهوض منهُ وفي كل امر مهمّ تشرع بهِ لان الصلاة مفتاح الاعمال وقد اشتهر بها رجال الله الافاضل . واجتهد ان تجعل حياة التقوى نصب عينيك فتسلك مرضياً لله مفيداً لاخوانك نقياً ورعاً امينا بركة للذين هم حولك

الفصل الخامس

لا تحتقر انسانًا لمخالفتهِ مذهبك

يربو وينشأُ الانسان على مذهب والديهِ او من اعتنى بتربيتهِ غيرهما ويشبُّ متمسكًا بذلك المذهب نابذًا ما عداهُ من المذاهب. هذا مبدأ طبيعي مألوف . وما اريد ان تغرسهُ في ذهنك ليس ان أُرشدك الى اي المذاهب هو الاصحّ ذلك أَكِلُهُ الى فحص ضميرك مع خالقك الذي سوف تعطيهِ حسابًا عن كل ما فعلتهُ . بل قصدي ان احملك لكي لا تحتقر المخالفين مذهبك . ما ذنب هذا الشخص الذي وُلد ونشأ في مذهبهِ الذي ترفضهُ انت . يمكن لو ربيت في مذهبهِ لكنت نظيرهُ فاعذرهُ على شدة تمسكهِ في مبادئهِ وانظر الى اخلاقهِ وطباعهِ فان كانت حميدة فاحبهُ واكرمهُ وفضّلهُ على كثيرين من اهل مذهبك ممن هم فاسدو السيرة والسريرة فقد آن لاهل العلم ان يطرحوا التعصب جانبًا ويتآزروا حاسبين انفسهم اخوانًا اولاد وطن واحد لهم غاية واحدة . تظللهم راية دولة واحدة . قال بعض الحكماء " لو اتحد الناس ومزّقوا نير التعصّب لتبدّلت مصاعب الدنيا بالراحة والمسرّات " فلا تجبر انسانًا ان يتمذهب بمذهبك الاّ اذا انتقاهُ لنفسهِ مختارًا بملء الحرية . قال

الامبراطور نقولا الثاني قيصر روسيا السابق "انا مسيحي ولكنني لا أجيز اضطهاد من لم يؤمن ايماني"

وقال محيي الدين بن العربي الفيلسوف الاسلامي

لقد كنت قبل اليوم انكر صاحبي
اذا لم يكن ديني الى دينه دائي
وقد صار قلبي قابلاً كل صورةٍ
فمرعى لغزلانٍ ودير لرهبانِ
وبيت لنيرانٍ وكعبة طائف
والواح توراةٍ ومصحف قرآنِ
أدين بدين الحب أنّى توجهت
ركائبه فالحبُّ ديني وايماني

الباب الرابع

الصحة في المدرسة

قيل ان "العلم علمان علم الابدان وعلم الاديان" فقدّم الاول بالذكر لتوقف الثاني عليهِ لانهُ اذا كان الجسد ضعيفًا لا يمكن الانسان من القيام بما يجب عليهِ من الخدمة لله ولقريبهِ . ومعلوم ان الثاني اهمّ بالذات . فاذا كانت الحال هكذا مع الدين فكم بالحري مع العقل لان اقل اختلال في جهاز الدماغ يسبب خللاً في ادراك العقل" والمطلوب ما قالهُ الفيلسوف اللاتيني منذ زمان اي العقل السليم في الجسد السليم لان الجسد وعاء ومسكن للعقل بل القوى العقلية متعلقة كل التعلق بالجسد . ولهذا قدّمنا الكلام في الصحة عليهِ في الدروس مراعين الاهمية في الترتيب . ولما كانت كل مدرسة تعيّن لملاحظة صحة تلامذتها ومعالجتهم طبيبًا خصوصيًا كان ذلك مساعدًا اكبر لك اذ باتباع ارشاداتهِ تتمكن من معرفة النافع من المضر فتعمل بالاول وتجتنب الثاني . ونحن نذكر اهم ما انت معرض لهُ كتلميذ مدرسة واول ما نذكرهُ

الفصل الاول

حفظ العيون

ان تلامذة المدارس معرّضون نوعاً لسقم العيون فخذ نصيحة مختبر ولا افتخر بهذا الاختبار كما يتوهم البعض ان سقم العيون برهان الجهاد في الدرس وكثرة التحصيل فاني احسبهُ نوعًا من قلة الحكمة في وقاية هذا العضو اللطيف المهمّ . فان الذي يبالغ في اتقان العمل بآلة خصوصية ومن شدة حرصهِ على المهارة بها يكسرها وليس لهُ غيرها لا يجني نفعاً من مهارتهِ . وهذه بعض النصائح تتعلق بحفظ العيون

(١) متى قمت من النوم احذر ان تبدأ بالدرس قليلاً كان ام كثيرًا قبل ان تغسل عينيك جيدًا

(٢) لا تدرس على نور ضعيف وتجنب بنوع اخصّ "ساعة العميان" وهي ما بعد الغروب الى العتمة

(٣) لا تكثر من الكتابة ليلاً وأبقِ ما خطّطهُ دقيق الى درس الصباح

(٤) لا تجعل نظرك منحرفًا نحو الكتاب

(٥) لا تطالع ولا تدرس وانت مضنًى من التعب او في حالة النقه من المرض

(٦) لاتدرس وانت مضطجع او متّكئ

(٧) لاتحدّق في الاشياء القريبة زمانًا طويلاً في جلسة واحدة بل أرِح عينيك قليلاً كل برهة

(٨) إتّقِ كل وضع ينشأ عنهُ احتقان الدم في الرأس او الوجه

(٩) اجتناب المسكرات والتبغ

(١٠) ينبغي ان تراعي التقدُّم الجسدي مع التقدُّم العقلي لان ضعف عضلات البصر كثيرًا ما ينشأ عن نقص القوَّة البدنية

قال الفاضل الدكتور بوحنا ورتبات "من العوائد المضرَّة خصلة تقريب العينين الى ما يقرأ او يُكتب فانها كثيرًا ما تنتهي الى الخلل المعروف بقصر البصر (ميوپيا) والحاجة الى الزجاجات المقوِّية . والاولى الحذر من الاسباب التي تؤدي اليها ثم عدم استعمالها الاَّ عند الحاجة الشديدة اليها بحكم الطبيب . وكثيرًا ما تكون النتيجة مما سبق احمرار العينين والتدميع فلا بد حينئذٍ من راحتها والانكفاف عن القراءة مدَّة الى ان يزول التهيُّج العيني"

وعلى الاجمال حالما تشعر بتعب في عينيك اعرض نفسك على طبيب المدرسة واعمل حسب اشارته

الفصل الثاني

النظافة الجسدية

قال علماء الصحة "ان في الجلد ما لا يُحصى من المسامّ وهي منافذ العرق والمواد الهالكة واذا وسخ الجلد سُدّت فاعترى الانسان امراض مختلفة" وفوق مضرّة هذه النفايات بسدّها المسامّ الجلدية تعود فتمتص الى داخل الجسم ثانية للضرر ليس الّا. ولدفع هذه الاضرار عليك بازالتها وذلك يتم بغسل الجسد من وقت الى آخر. هذا من جهة المواد المُفرَزَة من داخل الجسم. وعدا هذا ان بعض الاعضاء كالوجه والرقبة واليدين معرضة لقبول الاوساخ الخارجية ولذلك يقتضي ملاحظة نظافتها بنوع خصوصي فداوم على غسلها كلما دعت الحال. وقد عُدّت النظافة من الايمان وفي الديانة اليهودية وبعض الاديان غيرها تُحسب من جملة الفروض الدينية

فاغسل جسمك كلهُ كلما مكنتك الفرصة غسلاً جيدًا ويقتضي ان تنشفهُ تمامًا بعد الغسل. واذا لم يتيسر لك غسل كامل جسدك فلا اقل من غسل رأسك ورجليك. يوجد بعض الاولاد لم يعتادوا الاعتناء بانفسهم فيهملون امر النظافة في المدرسة حيث هم على نوع

مستقلّون في خدمة ذواتهم فترى الاوساخ متلبدة على اجسامهم ومن لواحقها ما تشمئزّ من ذكرهِ النفوس وهو القمل في الرأس وعلى الثياب . ومتى عُرف تلميذ هذه حالهُ تجنّبهُ رفقاؤهُ وأنفوا من مخالطتهِ هذا فضلاً عن العار الذي يلبسهُ . فتحفظ لنفسك وابذل اقصى مجهودك لتسلم من عار كهذا . اما الرجلان فكنت لا اريد ان اذكر عنهما شيئًا ولكن توجد عادة قبيحة عند البعض دعتني الى التنويه بامر نظافتهما خصوصًا ايام الصيف وحرّهِ اذ ينزعون احذيتهم من ارجلهم استجلابًا للراحة والانشراح غاضّين النظر عما يسبّبونهُ من الانزعاج لمن يجاورهم نظرًا للرائحة الكريهة المنبعثة من اوساخ ارجلهم . وقد كانوا يغنوننا عن التصريح بهذه الملاحظة لو احتملوا اقل عناء بغسل وتنظيف ارجلهم

اما اليدان والوجه فاللياقة الادبية عدا الواجب الصحي تستدعي غسلها اكثر من كل عضو في الجسد . ومما هو مشترك بين الرياضة والنظافة الاستحمام بالماء البارد ومن افضل طرقهِ السباحة التي هي لذيذة ومفيدة معًا قال بعضهم " ومن فوائد هذا الاستحمام سرعة دورة الدم وانخفاض حرارة البدن ونظافة البشرة فانفتاح مسامّها والشعور بالراحة والمسرّة والرياضة النافعة فانهُ يحدث منهُ اهتزاز عصبي يعقبهُ رد فعل واحسن ما يكون ذلك بالغطس او بالصبّ سواء كان في البيت ام في النهر ام في الحياض . واما الوقوف في وسط الماء والارتعاد من البرد فمن شر المضارّ فانهُ

يضرّ بالصحة ولا يشعر معهُ بلذة فالذي لا يجسر ان يغوص او يغطس وجب ان يصبّ عليهِ الماء بلا انقطاع الاَّ عند التنفُّس . والاستحمام في البحر خير من كل استحمام غيرهِ للاصحاء او ارباب الصحة المعتدلة" فابذل قصارى جهدك لكي تعرف ان تسبح . قال بعض الامراء لمعلم ابنهِ "علِّمهُ السباحة قبل الكتابة فانهُ يجد من يكتب لهُ ولا يجد من يسبح لهُ" . وتعلُّم السباحة يقتضي بعض الجراءة ولكن تحفظ جدًّا من التهوُّر فلا تلقِ بنفسك الى التهلكة فتغرق خاسرًا حياتك وانت ذاهب وراء تحسين صحتك . انتبه لكل اشارة من الناظر الذي يرافقكم الى السباحة واعمل بها سريعًا . ومتى صعدت من الماء فنشِّف جسدك جيدًا واحذر الهواء البارد لئلا تعود بالمضرة بدل المنفعة

اخيرًا اقول ان المحافظ على النظافة فضلاً عن استفادتهِ صحيًّا يشعر بلذَّة لا يذوقها من اعتاد عدم النظافة . ولنختم الكلام بما قالهُ الدكتور دومولين للاطباء المجتمعين حول سريرهِ وهو مُحتَضَر "ايها الافاضل اني انصرف من هذا العالم واترك بعدي ثلاثة اطباء من امهر النطس" فاخذ كلٌّ منهم يظن نفسهُ واحدًا من اولئك الثلاثة فسألوهُ عن اسمائهم فقال "ان اولئك الثلاثة النظافة والرياضة والاقتصاد" ...

وسيأتي الكلام على آداب النظافة في باب "الآداب المدرسية" ان شاء الله

الفصل الثالث

الرياضة البدنية

قال بعضهم " الرياضة العضلية تعجل دورة الدم وتزيد عمل القلب والرئتين وتشدّد الاعصاب وتنبه الشهية وتصلح القوى الهاضمة وتعطي قوة حيثما جرى الدم "

قد كنت في بلدتكم قبل ان تأتي الى المدرسة تلعب مع رفقائك وتشتغل بعض الشغل وفي ذلك كلهِ رياضة لجسمك . اما الآن وقد حُجزت في المدرسة فصرت مفتقرًا اكثر الى ممارسة الرياضة . وحيث توجد مدارس صناعية تكون رياضة في بعض الصنائع التي تستدعي حركة الجسم. ومهما كانت الحال فلا غنًى عن ترويضك بطرق منها لعب الجمناستيك . قال صاحب دائرة المعارف الفاضل في الجمناستيك " هو فن من فنون علم الابدان يُقصد بهِ تمرين الجسم على حركات منتظمة تنجز عنها الحركة الفطرية . وهو من اجلّ الفنون التي بها ينال الجسم تمام صحتهِ ونموّ قوتهِ ومتانة اعضائهِ وسهولة اعمالهِ وبهِ قوام نشاطهِ وثباتهِ في المشقات " وتوجد العاب اخرى غير قانونية يمكنك بواسطتها ترويض جسمك. فاذا اهملت ذلك واخذت كتابك اوقات الفرص المتخللة ساعات

الدرس والتسميع ربما تقوي عقلك ولكنك تضعف جسمك . واخيرًا يضعف عقلك وجسمك معًا . فكن معتدلاً في دروسك مع امتلاكك الصحة ولا تكن ممتازًا بحذاقة عقلك وانت ضئيل في صحتك . امراض كثيرة تستولي على التلاميذ في المدارس ناتجة عن اهمالهم امر الرياضة وهم يظنون انفسهم رابحين وما ربحهم الاَّ نظير من يشتري متاعًا بعشرة غروش ثم يبيعهُ بستة غروش ويقول قد ربحت في تجارتي " فادرس وقت الدرس والعب وقت اللعب " كثيرًا ما كنت انصح للتلاميذ الذين يثابرون كتبهم حين يخرجون الى التنزُّه والرياضة خارج المدرسة لكي يغتنموا ذلك الوقت الجميل للرياضة لا للدَّرس

ومما يقتضي تجنبهُ في الرياضة الحركة بعنف شديد والتعرض حين التعب الزائد لمجرى الهواء البارد وابقاء الثياب الملامسة الجسد وقد تبللت بالعرق فهذه ينبغي تبديلها حالاً والاَّ سببت ضررًا

ربما تكون تلميذًا كبيرًا بالنسبة الى رفقائك واللعب حسب المألوف من شأن الصغار فتخجل ان تلعب معهم . ان اصحاب الذوق المتمدنين لا يخجلون بما هو مفيد للجسم وليس فيهِ شيء منكر . فانت تغشّ نفسك وتؤذي صحتك اذا لزمت المدو دائمًا . قال الدكتور ولبم فان ديك من مقالة لهُ في المقتطف الاغرّ عن صحة تلاميذ المدارس ما يأتي " ان الصغار يلعبون العابًا مختلفة اذا تركوا وشأنهم والعابهم من احسن انواع الرياضة . واذا اريد

ترويضهم على الجمناستيك وجب ان لا تطول مدة الترويض اكثر من عشر دقائق وان زادت فربع ساعة. اما الشبان والصبايا الذين لا يلعبون فيقتضي ان يجبروا على ترويض اجسامهم رياضة قانونية . وافضلها المشي في الخلاء نحو ساعتين كل يوم واذا تعذّر المشي بسبب الشتاء او سبب آخر فالجمناستيك المعتدل في مكان هواؤهُ نقي"

انظر ذلك التلميذ كيف هو مجدول العضل مستقيم الجسم مورّد الوجنتين برّاق العينين. هذا لانهُ بروّض جسمهُ بقدر ما يحتاج اليهِ من الرياضة . حوّل نظرك الى ذلك التلميذ وانظر كيف هو نحيف الجسم اصفر الوجه محنوقف الظهر منحطّ القوى. ذلك لانهُ اهمل تحريك جسمهِ بالرياضة الكافية . وعمل الرياضة الرئيسي استجلاب السوائل التي بها قوام الحياة الى اعضاء الحركة واخراج مقدار وافر من متلفات الجسم الى ظاهر سطحهِ وبمعاونة النظافة تتم الفائدة

وقبل ختام الكلام عن الرياضة اوجّه الى التلميذات بيان "خطر الطفر على الحبل" قال الدكتور بيك الجرّاح "ان تلك اللعبة من اول اسباب عرج البنات وانهُ ازال عظام ارجل بنتين لان تلك العظام كانت قد مانت بما لحقها من تلك اللعبة القبيحة . قال هذا الدكتور وكثيرًا ما يحدث مثل ذلك مع ان الضرّ ينزل غالبًا بالعمود الفقري وانهُ لا يمرُّ شهر لا يؤتى الى مستشفاهُ

بالمصابات بمثل ذلك من كثرة اهتزاز عظامهنّ بتلك اللعبة . فهو ينصح للوالدين والمعلمات والمعلمين ان ينهوا البنات عن تلك اللعبة الثقالة في كل وقت وحال

الفصل الرابع

سلامة الجسم وطهارة القلب

ومن مقوّمات الصحة ايضاً استقامة الجسد في الوقوف والجلوس في الدرس والرياضة والطعام وكل عمل لان عضلات الجسم تعمل باستقامتهِ بحرية وقوّة. تلامذة المدارس معرضون كثيراً للانحناء على مكاتب الدرس واذ يعتادون ذلك يصير فيهم ملكة مستمرّة فيرتاحون الى هذه العادة المضنية وهم يجهلون ما ينجم عنها من الاضرار. ولكي أُريك احدى نتائج هذه الملكة اورد لك قول الدكتور ونسون في رسالة تلاها في الندوة الصحية . "ان اوّل علل السل فقدان الرئة مرونتها فاذا دخل اليها الهواء لم تتمكن من دفعهِ كما تقتضي الصحة لادخال هواء جديد . ومن اسباب ذلك الفقدان الانحناء على الصدر او عدم الوضع غير الموافق في اثناء الكتابة او الدرس او غيرها من الاعمال . فعلى الوالدين والمعلمين ان ينتبهوا للاولاد ويعوّدوهم الوضع المناسب لصحة الرئتين وليس هذا من قبيل التهويل فانهُ حقيقة طبية مثبتة . فعلى الاقل اترك

عادة الانحناء لان مرض السل المميت احدى نتائجها . قال الفاضل الدكتور يوحنا ورتبات في "قواعد حفظ الصحة" "ما يأتي" "ومن العوائد المضرّة الجلوس امام المكتبة للدرس والكتابة والتلميذ او الكاتب منحنٍ الى المقدم لان ذلك يضيق التجويف الصدريّ ويتعرض للتنفس ودورة الدم ويسبّب الخفقان . وهو يضغط المعدة ايضًا ويسبب ضعفًا في عملها ينتهي الى سوء الهضم والخلل في الصحة العامة . ومن مضاره ايضًا انهُ يحدث تشويشًا في شكل الصدر والظهر بحيث يصير الانسان احدب . ولذلك كان من الواجب على التلاميذ والكتاب ان يتجنبوا هذه العادة وان يجلسوا امام مكاتبهم منتصبين بحيث يكون كلٌّ من الصدر والظهر والرأس مرتفعًا قويمًا لا منحنيًا" واستقامة الجسم في العمل ضرورية لإتقانهِ وفي الدرس لعدم انحراف النظر وفي الطعام لاتمام المضغ والازدراد على الفانون المفيد وفي التكلم لمساعدة اعضاء الصوت وفي المشي لحسن الحركة

بقي لي معك كلمة غير متعلقة باستقامة الجسد بل باستقامة القلب والسيرة . ان الانحراف عن جادّة الطهارة والعفّة والآداب الحميدة يؤدي بصحتك ويهرمك وانت فتى . فاشفق على نفسك وحافظ على طهارة قلبك منزّهًا عينيك عن كل شرٍّ ودنس تسلم من اشراك الشرير وسهامهِ الملتهبة

الفصل الخامس

الطعام

قال بعضهم "اعظم منافع الطعام اثنتان . الاولى تكوين اعضاء الجسم والتعويض عما يتلف منها . والثانية توليد الحرارة لتدفئة الجسم وتمكين العضلات من عملها" وعليهِ فانك ترى البنيان والتخريب عاملين دائمين في الجسم اي ان بعضهُ يحلل ويخرج بالمتلفات المفرزة فيعوَّض منهُ ما يستخلص من تغذية الطعام . فالسرّ في الطعام مقدار المتمثل منهُ غذاء لا مجرَّد لذَّتهِ . قال كنفوشيوس الفيلسوف الصيني "لا تأكل لما تجدهُ من اللذة في الطعام بل كُلْ لتقوى وتحفظ الحياة التي وُهبت لك من السماء" . والمدرسة تراعي بقدر الامكان نوع الطعام المناسب للتلاميذ فاطرح عن عاتقك الاهتمام بذلك . تقدم معنا ان استقامة الجسم في الجلوس وقت تناول الطعام ضرورية ومما هو مفيد ايضًا مضغهُ جيدًا وعدم التسرُّع في تناولهِ الامر الذي يجهد الغدد اللعابية وحينئذٍ تلتجئ الى الافراط في شرب الماء . إنهَ اهلك عن ان يبعثوا لك الاطعمة من البيت فانها في الغالب تكون تجربة لتلبُّك المعدة في حين تكون مشتغلة بهضم طعام سابق . واعلم ان المعدة بيت الداء وكم لقمة جلبت نقمة وسلبت نعمة . قال بعض الادباء "النهم شؤم"

وقال بعض الحكماء "اكبر الدواء تقدير الغذاء" وقال الشاعر

فكم من لقمةٍ منعت اخاها بلذّة ساعةٍ اكلات دهرِ

وكمية التغذية لا تتوقف على كثرة ما أُكِل بل على مقدار ما هُضِم كما اشرنا الى ذلك فاذا دخل المعدة فوق ما تستطيع هضمهُ قصّرت في وظيفتها وفسد اكثر الطعام وكان المتمثل منهُ غذاء يسيرًا جدًّا . قال سنيكا الفيلسوف "اعظم عارٍ في الاكل على الانسان الذي يجهل مساحة معدتهِ" وقال السر وليم تمبل "اذا دُعينا الى الطعام بعد ان تكتفي الطبيعة منهُ كنا كمن يُدعى الى النفرس والفالج وما شاكلهما من الادواء فلا شيء من اطايب الطعام بطيّب او مفيد بعد الشبع المعتدل ولا رفيق على المائدة مثل الاعتدال" لا تكن منقبض النفس اثناء تناول الطعام ولا متهيجًا بانفعال نفسانيّ فان ذلك يعيق عمل الهضم ولا تنتقل نوًّا من الطعام الى رياضة عنيفة بل البث هادئًا وقتًا حتى تتمكن المعدة من الجري في وظيفتها كما وانهُ يقتضي ملاحظة ذلك قبل الطعام . الاكل قبل النوم يسبب احلامًا مزعجة ولا تتمكن المعدة من هضمهِ بسهولة فلا تغتنم الفرصة القصيرة قبل النوم لتحشو معدتك فيها . وكما انهُ يجب التدقيق في ادخال الطعام الى المعدة كذلك الامر في افراغها . وسيأتي الكلام على "آداب المائدة" في باب "الآداب المدرسية" ان شاء الله

الفصل السادس

النوم

ان الجهاد العقلي يقتضي الاستراحة التي يقتضيها الجهاد الجسدي. نعم ان التوقف وقتًا ما عن العمل ينتج راحة ولكن تمام الراحة يكون بواسطة النوم اذ تستكن كل قوى الجسم من جسدية وعقلية. والنوم في المدرسة له وقت معين وساعات معدودة كما ان للنهوض منه وقتًا معروفًا. فاغتنم وقت النوم وارقد في فراشك وكل دقيقة تضيعها منه هي خسارة لا تعوّض. يوجد بعض التلاميذ يجتهدون لكي يختلسوا من اوقات النوم للمحادثة السرية مع من يجاورهم او للتفكر بامور اخرى مسببة للأرق واكثرهم رغبة واقلهم حكمة ينسلون خفيةً من فراشهم الى حيث يمكنهم مراجعة دروسهم على نور ضعيف. بكيفية مضرّة بعيونهم وسائر جسمهم. قال الفاضل الدكتور يوحنا ورتبات "كما ان الآلات الميكانيكية كالآلة البخارية والمركبة اذا دام عملها بلا انقطاع ولا اصلاح تتعطل عن العمل كذلك الجسد لا يقوم بوظائفه الاّ اذا كان له اوقات دورية لاصلاح ما يقع فيه من الخلل. وهذا الخلل على ثلاثة انواع الاوّل دثور الانسجة الذي يستردّ بالطعام والثاني الدعور بالتعب

الذي يزول بالراحة والثالث الاعياء العقلي والعصبي الذي لا يزول الاَّ بالنوم . وبناء على ذلك كان للراحة والنوم علاقة شديدة بالصحة بحيث انهُ اذا دام عمل الجسد بلا راحة او ذهبت الليالي كان ذلك لا محالة سبباً للمرض

تدثَّر بغطاء فراشك لان مدة النوم تنخفض حرارة الجسم الاعتيادية فاقل برد يؤذيهِ والحرّ الذي تشعر بهِ اوَّل ليالي الصيف وانت مستيقظ يعقبهُ برد قارس اواخر الليل وانت نائم خصوصاً اذا كنت بجانب نافذة يأتيك منها الهواء الخارجيّ . دع الهواء النقي يتخلَّل غرفة النوم اثناء النهار ومقداراً كافياً منهُ اثناء الليل . عرِّض فراشك للهواء بعد نهوضك من النوم ولا تعجَّل الى ترتيبهِ قبل ذلك

اما وضع الجسم وقت النوم " فيجب ان يعتزل الاستلقاء اي النوم على القفا او الظهر فان الانسان وان شعر فيهِ بالراحة في اول الامر لحظةً منهُ ضرر في آخرهِ فانهُ يضعف القلب والاوعية الدموية ويسبب بعض الامراض الدماغية ويجذب فيهِ الدم الى مؤخر الراس فيحصل من ذلك احلام مزعجة وكثرة الغطيط لمن اعتاد ذلك .... فالافضل النوم على الجانب الايمن لانهُ يسهل في ذلك الموضع انجلاب الطعام من المعدة الى الامعاء "

الفصل السابع

تنفس الهواء النقي

انَّ مكث التلاميذ معًا وقتًا طويلاً في غرف الدرس والتسميع والمنامة والطعام مما يحدث فسادًا في هواء المكان الذي يجتمعون فيهِ فيحتاجون الى الخروج منهُ لتنفس الهواء النقي . قال احد مهرة الاطباء المشهورين بمعالجة امراض الرئة " ان نقص التنفس يُرِض المجاري الهوائية في الرئتين ونصح للمصابين بذلك ان يملأوا الرئتين هواء عدة مرات كل يوم وذلك ان يملأ المريض كل صدرهِ هواء بالتنفس وهو يرفع كتفيهِ ويميل بهما الى خلفهِ حتى يبلغ الحد الذي لا يمكنهُ عندهُ ان يدخل زيادة من الهواء الى صدرهِ ثم يحبس ذلك الهواء ما امكنهُ في صدرهِ ثم يخرجهُ شيئًا فشيئًا وهو يعطف كتفيهِ الى الامام ويضغط صدرهُ قليلاً ويبقى فمهُ مغلقًا فاذا بقي يفعل ذلك ست مرات او اكثر كل يوم زادت بهِ القوة الحيوية وحسنت صحتهُ . قلت ولا ينبغي ان تصبر حتى تبلى بمرض المجاري الهوائية لتمارس هذه الطريقة المفيدة . بل عليك ان تباشرها كلما خرجت من مكان ازدحمتم فيهِ وقتًا طويلاً ففائدة النتيجة غير مقتصرة على دفع المرض بل تتناول الوقاية منهُ ايضًا . توجد عادة مضرَّة في امر التنفس وهي ان

البعض ينامون ووجوههم مغطاة تحت اللحاف فيطلقون الهواء الفاسد ثم يدخلونهُ ثانية الى صدورهم لعدم وجود منفذ لخروجهِ ودخول الهواء النقي فتجنب هذه العادة . والعضو الخصوصي للتنفُّس انما هو الانف وهو مجهز بما يدفع اضرار المواد الدقيقة المدخلة بالتنفس فلا تستعض عنهُ بالفم

ثم ان تنقية الدم الفاسد وتحويل كيلوس الطعام في الرئتين الى دم نقي متوقفان على فعل الهواء النقي وكميتهِ المدخلة الى الرئتين بالتنفس . فالجماعة المزدحمة في مكان واحد قليل النوافذ يقذفون من رئاتهم الحامض الكربونيك المضرّ فيشبع هواء ذلك المكان بعد وقت قليل من هذا السم القتال وبتكرار تنفسهِ يعود الى الرئتين فيؤذي بدون ان يشعر متنفسهُ بذلك ولكن اذا دخل ذلك المكان انسان من الخارج شعر بكراهية وضيق نفس وود الخروج حالاً . ولدفع مضرّة كهذهِ يقتضي فتح النوافذ والكوى باسرها واطلاق الهواء النقي في مكان الاجتماع . وفي الفرص التي تتخلل اوقات الدرس والتسميع ليخرج التلاميذ جميعًا ولا يبقى احد وليكن آخر من يخرج من ذلك المكان الاستاذ . هذا نقولهُ عن غرف الدرس والنوم بنوع خصوصي حيث يمكث التلاميذ معًا وقتًا طويلاً ولكن يحذَر في غُرَف النوم التعرُّض لبرد الليل والذي يكون سريرهُ بجانب نافذة ليتجنب مجرى الهواء فانهُ يؤذيهِ فيقتضي ان نراعي هذه ولا نترك تلك

الفصل الثامن

حالة المرض

مهما بالغ الانسان في التحفظ لا يستطيع الفرار من استيلاء المرض عليهِ احيانًا فاذا بليت بانحراف في صحتك فأعلم حالاً من أُنيط بهِ امر الصحة فيعرضك على طبيب المدرسة فيأخذ هذا يفحصك مستفسرًا عمَّا تشعر بهِ واعراضهِ واسبابهِ فقل للطبيب كل شيء بدون اخفاء والاَّ

اذا انت لم تعلم طبيبك كلَّ ما
يسوءك ابعدتَ الدواءَ عن السقمِ

فاذا كانت الحال طفيفة لا تستدعي النوم في الفراش يرجعك الى اتمام واجباتك بعد ان يعطيك الملاحظات المقتضاة والاَّ يأمرك بالنوم . وان كان المرض معديًا يفرزونك عن سائر التلاميذ في غرفة خصوصية وابنا وُضعت فكن مرتاح الفكر غير قلق البال عاملاً بمشورة الطبيب مطيعًا لهُ تمام الطاعة في اخذ العلاج وتناول الطعام بقطع النظر عن اللذَّة والكراهة

من كان يأكل ما اشتهى ويرى مخالفة الطبيب
سيرى مضرَّة ما أتى بطرًا ويندم عن قريب

واياك ان ترسل افكارك حينئذٍ الى اهلك او تحسب مرضك اعظم مما هو فتتزعج وتغتمّ فان ذلك يؤثر تأثيرًا مضرًّا في صحتك واذ ذاك تساعد العلة على انهاك جسمك . مات احد الاطباء الجرمانيين فوجدوا في بعض اوراقهِ ورقة فيها الكلام الآتي "علمت مما اختبرتهُ من معالجة المرضى اكثر من اربعين سنة ان نحو ثلث الامراض التي دُعيت لمعالجتها لم تكن سوى صور اوهام . وتحققت ان كثيرين من اصحاب تلك الامراض الوهمية عاشوا عمرًا اطول من عمر مَن لم يظهر فيهم أثر لشيء من الامراض" وقيل ان طبيبًا دخل على مريض فقال لهُ "انا وانت والعلة ثلاثة فان اعتنني عليها بالقبول مني صرنا اثنين وانفردت العلة فقوينا عليها" وعليهِ كن مطمئنًا بشوشًا مسلمًا امورك لمن بيدهِ نسمة كل حيّ

حينما اضعف اقوى بالذي يحيي ويشفي
ان فادي الخلق عوني قادرٌ برئي لضعفي

ولا تتضجر بحضور الطبيب خصوصًا من مرارة العلاج وكراهة الطعام فلا تحسب الطبيب خادمًا لك بل اكرمهُ واشكر لهُ معروفهُ لانهُ مهما اخذ من الاجرة فهي يسيرة بالنسبة الى العناية والشفاء . واشكر ايضًا الذين يقومون بخدمتك ويعتنون بك . فراحة البال والتسليم والصبر والعمل بمشورة الطبيب امور لا بدَّ منها في حالة المرض

يوجد بعض التلاميذ كسالى يتمارضون تخلصاً من عناء الدرس والواجبات فهؤلاء ربما لا يظهر خداعهم اولاً لكنهم لا يلبثون ان يُعرَفوا فيحتقروا فاحذر الانخراط في سلكهم

الفصل التاسع

شذرات صحيّة

ضيق اللباس : يعيق عمل اعضاء الدوران بضغطه على الجسم ويؤثّر تأثيرًا مضرًّا في اعمال اخرى (فالقبّة) الضيقة تؤذي العنق والحنجرة . وشدّ المنطقة بزيادة على الحقوين يضني المعدة . وضيق الحذاء يؤلم الرجلين ويؤذيها . وزيّ بعض التلميذات بتضييق خصورهنّ بواسطة المشدّ آفة لصدورهنّ . جاء في جريدة المحروسة الغرّاء ان وزير معارف رومانيا اصدر مؤخرًا امرًا بمنع بنات المدارس والمعلمات من لبس المشدّ ومن لبسنه حلّ بهـــا اشدّ العقاب المدرسيّ . وعقبت هذا الكلام بقولها فاية سيدة تريد بعد هذا ان تكون معلمة او طالبة في مدرسة ذلك الوزير

الانتقال الفجائي : لا تنتقل من مكان حارّ الى مكان بارد فجأة ولا من الظلام الحالك الى النور الساطع كذلك . ولا

من الحركة العنيفة الى السكون التام ايضاً فان ذلك ونظائرهُ مدعاة للضرر

استعمال اللوح والقلم والكتاب : عوّد ذاتك ان لا تضع القلم الرصاصي في فمك لترطيبهُ بلعابك تسهيلاً للكتابة بهِ فان في ذلك ضرراً وعلى الخصوص اذا استعرتهُ او أعرتهُ غيرك فانهُ فضلاً عن الضرر الذاتي يخشى ان ينقل مرضاً من شخص الى آخر. جاء في مجلة الجامعة الغراء " ان مأمور الصحة في سان باولو (ميناسونا) اصدر امراً بمنع التلاميذ من ان يعيروا بعضهم بعضاً أقلام الرصاص التي يستعملونها للكتابة لانهُ اذا كان احدهم مصاباً بالدفتيريا او باي مرض كان واعار قلمهُ الى رفيقهِ انصل مرضهُ بهِ حين بلّهِ القلم بلعابهِ للكتابة "

وبهذه المناسبة نذكر عادة البصق على الالواح الحجرية لمحي ما كُتب عليها فاللياقة تقتضي هجرها . واما اعتياد البعض محي الكتابة بترطيب اللوح باللسان مباشرةً فانهُ علاوة على مخالفتهِ للياقة فيهِ ضرر صحي خصوصاً اذا كان اللوح لغيرك . ولكي تتحاشى ذلك اربط بلوحك قطعة صغيرة من اسفنج او قماش مناسب ورطبها قليلاً بالماء قبل دخولك الى الصف لاجل استخدامها عوض اللعاب للمحي . ولنذكر ايضاً عادة اخرى وهي التفتيش عن مكان في الكتاب بترطيب الابهام ليعلق بالورق فتُقلب ورقة ورقة ففي هذه ايضاً يُخشى على التوالي ان يُنقل من بعض الكتب

شيء مضر الى الفم فضلاً عن ان اوراق الكتاب تنسخ وتُدعك . والاحسن الاخذ بالانامل بحافات الاوراق العليا وفتحها قليلاً بحيث يُرى العنوان فقط وهكذا على التوالي حتى تجد ما تطلبهُ فتفتحهُ فتحًا كاملاً

المسكرات : خلاصة ما يقال في المسكر انهُ يتلف الدين والعقل والآداب والصحة والمال . قال المستر غلادستون في مجلس العموم " اننا نتعب ونتألم سنة فسنة من امر المسكرات اكثر مما نتعب ونتألم من الحرب . وقد نقاسي مثل ذلك من الاوبئة والمجاعات . وهذه المصائب الثلاث من شر نوازل هذه الارض " وقال المستر جون كوِن المشهور بالبلاغة وحسن البيان "ضع في احدى كفتي الميزان المسكر وكل منافعهِ وضع في الكفة الاخرى كل ما ينتج من شريهِ من خسران الماديات والادبيات والارزاء الشخصية والامية والمعاصي والتعديات والكبائر والفقر وصراخ اليتامى ونوح الارامل وذهاب العقل . وانظر اي الكفتين ارجح " وانت بوجودك في المدرسة بعيد عن هذه التجربة الجهنمية ربِّ في نفسك روح الكره لها وتجنب السقوط في اشراكها

التدخين : يكفي ان يقال فيهِ انهُ مفرغ الجيب ومضرّ بالصحة وان بَخَر فم اسيرهِ كهوّة تنبعث منها الروائح الكريهة . قال الفاضل الدكتور بوحنا ورتبات " تدخين التبغ معيب للاحداث وقد تحقق من المراقبة انهُ يتعرّض لنموهم وكثيرًا

ما يسبب صفرة او لونًا ترابيًا في وجوههم" واما البالغون فان كان ضررهُ فيهم اقل منهُ في الاحداث ففي الغالب يفرطون في استعمالهِ فيكون حينئذٍ مضرًّا بلا ريب لانهُ يضعف شهوة الطعام وقوّة الهضم وبسبب الخفقان القلبي ولذلك كان الاولى ان لا تألف هذه العادة وفضلاً عن ضررهِ الصحي فانهُ قد يسبب احتراقًا هائلاً

الباب الخامس

الدرس والمطالعة

الفصل الاول

اهمّيّة الدرس

قال ابو الطيب المتنبي الشاعر المشهور

وشغلي الدرسُ والتبحر في العلم طلابي وحبذا الطلب

الدرس بيت القصيد من حياة التلميذ المدرسية . وهو الغاية الجوهرية للوالدين في ارسالهم بنيهم الى المدارس . نعم ان لواحق الدرس مثل التهذيب الادبي ونحوهِ ليس اقل منهُ اهمية ولكنهُ مما يمكن تحصيلهُ حيث العيال المتهذّبة . وبهِ سميت المعاهد العلمية مدرسة وعليهِ تتوقف اعمالها ونظاماتها . ولاجلهِ تُحتمل الاتعاب وتبذَل النفقات الطائلة في التأليف والترجمة والطباعة واختيار المدرّسين المدرّبين في تلقين الحقائق للطلبة . ولولاهُ لم تكن

المعدات الكثيرة التي يهتم بتهيئتها ارباب المدارس . وبسببه تغرّبت عن اهلك الذين لم يتهيأ لهم ادخالك الى المدرسة الاّ بعناء يُذكر وتحمل نفقات جمة . فلا تتهاون به مستخفًا بمطالبه لان المدرسة ليست ملهًى لترويح النفس . ولا فندقًا لصرف الفصل المدرسي . ولا معرضًا لعلم الاخلاق لدرس عوائد وطباع اشخاص مختلفين . ولا ملجأً لاهل البأساء يقضون فيها الوقت بالتنعم تخلصًا من شقاء المعيشة التي كانوا فيها . ولا مرسحًا لتمثّل فيه دورًا من اطوار حياتك . ولا ميدان مباراة لتظهر نفسك بطلاً من ابطال الزمان تسود فيه بسطوتك على الاقران . بل هي مكان عمل . جهاد . درس . درس . درس . تحصيل معرفة . تثقيف عقول

ومن طلب العلوم بغير درسٍ سيدركها اذا شاب الغراب

وهنا لا مندوحة لتُري استعدادك الفطري ونباهتك وذكاء عقلك وحرصك على اتمام الواجب . نعم ان مراعاة هذا الباب تقتضي شق النفس ولكن الغاية المجلّى لا تحصل الاّ بمثل ذلك . قال المثل "من لم يركب الاهوال لم ينل الرغائب . ومن لم يحتمل الم التعلّم لم يذق لذّة التعليم" وقال الشاعر

تريد بن ادراك المعالي رخيصةً ولا بدّ دون الشهد من إبر النحلِ

وقال آخر

يا من يسامي العلى عفوًا بلا تعبِ
هيهاتِ نيلُ العلى عفوًا بلا تعبِ

عليك بالجدِّ اني لم اجد احدًا
حوى نصيب العلى من غير ما نصبِ

وقال غيرهُ

ومن طلب العلى من غير كدٍّ اضاع العمر في طلب المحالِ

الفصل الثاني

التحصيل المدرسي والدرس الذاتي

يوجد بعض افراد عصاميين نبغوا بين قومهم وطبقت شهرتهم الآفاق ورجع اليهم في معضلات الامور وخدموا خدمات جليلة وهم مع كل هذا لم يثقفوا في المدارس العالية ولا وطئت اقدامهم عتبتها لمثل هذا المقصد . بينما نرى من متخرجي المدارس "قومًا لا يكادون يفقهون قولاً" مع انهم قضوا في اشهر المدارس السنين الطوال وتلقنوا العلوم من امهر المدرّسين : اننا نسلّم بالامرين ولكن باعتبار وجود الشواذ لكل قاعدة من القواعد الاساسية . فان الذين اجهدوا عقولهم وتجشموا عرق القربة واحيوا الليالي في الدرس الذاتي هم افراد يعدُّون على الانامل فضلاً عن انهم مهما بلغوا يبقى فيهم نقص باعتبارات كثيرة علمية لانهم تلقفوا الحقائق مثلما هيّأت لهم عقولهم لم يروا امثلة كافية ولم يمارسوا

تمرينات ضرورية في بعض العلوم الطبيعية وغاية ما امكنهم تحصيله الامور النظرية . على اننا لا نجسهم حقهم فهم اهل لكل اكرام وكل تلميذ مدرسة بعد انتهائه من مدرسته اذا لم يحذُ حذوهم توقف او ابتدأ في الخسارة العلمية . اما الذين درسوا على افراد من العلماء مسترشدين ومهتدين بهم الى التحصيل فلا ندخلهم مع من ذكر وانهم من فريق اهل المدارس

وعليه اذا اخذت كتابك وشرعت في الدرس ورأيت نفسك قد فهمت اكثر مقاصده نظن انك بالمراجعة والروية قادر على تحصيل كل ما فيه . وتستخرج من هذا الوهم نتيجة وهي ان لا لزوم لوجودك في المدرسة وان في امكانك الاستغناء عنها . هَبْكَ غير مغشوش في ما أرتأيته بل انت مستعد لانجاز كل ما وعدت به نفسك ترى من يكفل انك تبقى مواظبًا على الدرس . وهل تتيسر لك الوسائط من ترتيب الوقت والمحافظة على الهدى المطلوب ؟ وهل تستطيع التغلب على طبعك حين تشعر بالملل والسآمة التي لا بدَّ من استيلائها عليك ؟ لان العقل يكلُّ ويعيي من الدرس كما يعيي الجسد من العمل . فقانون المدرسة مثل سوط يسوق الطلبة في ظروف كهذه لمداومة الجد . واعلم انك اذا استسلمت الى التراخي ولو مرَّة واحدة في استقلالك هذا تعرّض نفسك لمثل ذلك مرارًا واخيرًا للترك والفشل . قال موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي " أُوصيك ألاَّ تأخذ العلوم

من الكتب وان وثقتَ من نفسك بقوّة الفهم. وعليك بالاستاذين في كل علم تطلب اكتسابهُ "على انني لا اريد ان اخمد من همتك اذا لم يتهيأ لك دخول المدرسة فان لك في حال مثل هذه اعظم الفخر بالدرس الذاتي. بل قصدي نفي وهم بعض التلاميذ الذين لا يدركون الاهمية العظمى المترتبة على وجودهم في المدرسة فيتفخمون كبرياء زاعمين انهم قادرون على التحصيل بأنفسهم خارج المدرسة فيختارون هجرها حال كون ابوابها مفتوحة لهم

الفصل الثالث

كيفية الدرس وتحصيل المعرفة

ان كل ما قدّمناهُ لك نحسبهُ تمهيدًا لما سنذكرهُ. والآن قد ابتدأَ العمل فاستقبلهُ بعزم ثابت وهمة عالية وتدبرهُ احسن تدبر. المعلّم عيّن لك المثالة وبسطها امامك ولكنك لا تدرك كل غوامضها ولو اصغيت كل الاصغاء الى شرح المعلم لان عقلك لم يستعد لذلك. يجوز لك ان تراجع وتستفسر قدر ما تريد ومع كل ذلك ترى انك قد عرفت شيئًا وغابت عنك اشياء. ولكن لا تدع رؤيتك هذا النقص في نفسك تخمد من همتك لان هذه حال كثيرين غيرك. دُقّ الجرس. انتهى وقت التسميع وجاء

وقت الدرس . افتح كتابك وانت رائق . وافكارك منزهة عن كل ما يشغل عقلك متجنباً كل ما يصرفك عن موضوع درسك. قال الفيلسوف كبلر "ان تمعني في دروسي يجعلني اواصل التفكر في مواضيعها الى ان اغوص في لججها بكل قوى عقلي" هكذا يجب ان توجه كل قوى عقلك الى موضوع درسك واشرع فيه متكلاً على من وهب لك العقل لاكتساب المعرفة . لا تحسب الدرس حين تستقبلهُ حملاً ثقيلاً وُضع لتعذيبك وقاتل افكارك بل كشيء مفيد ضروري ولو مهما كان صعبًا

الدرس رأس العلم فاحرص عليهِ
فكلُّ ذي علمٍ فقيرٌ اليهِ
من ضيَّع الدرسَ يُرى هاذيًا
عند اعتبار الناس ما في يديهِ

واعلم ان الكآبة والضجر يجعلان كل عمل صعبًا مملاً بخلاف السرور فانهُ يبعث في النفس قوةً ونشاطًا قال بعضهم "ان السرور زيت النفس يسهل حركتها ويزيد لدونتها وبهِ تحلل المصاعب ويزيد الرجاء وتستغنم الفرص"

ربما تكون مثالتك احدى القواعد الاساسية المطلوب منك استظهارها. فاحسب ان السر ليس في حفظ الالفاظ لانك اذا حفظتها حفظًا تامًا وتلوتها عن ظهر قلبك بدون ترك حرف منها لا تكون قد حصلت المقصود ان لم تكن قد ادركت معناها.

لان الالفاظ قشور ظاهرة واللب اللذيذ المغذّي العقول انما هو المعاني المودَعة والمدلول عليها بتلك الالفاظ . ولهذا اشير عليك ان تستوعب وتفهم المعنى اولاً غير تارك جملة قبل ان تدرك المقصود منها ثم تربطها بما بعدها وهكذا الى آخر المثالة . ومتى رأيت من ذاتك انك قد ادركت المعنى فابدأ بالاستظهار فانهُ حينئذٍ يكون مفيدًا فضلاً عن سهولتهِ . تدرَّب في فهم المعنى ولو اقتضى ذلك وقتًا طويلاً . قال افلاطون الحكيم "لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويدهُ فان الناس لا يسألون في كم فرغ . وانما ينظرون الى اتقانهِ وجودة صنعتهِ" على ان بعض الدروس سهلة الفهم لا تقتضي عناء كثيرًا . ويحسن ان نورد هنا تعريف بعضهم للفهم والذكاء والبلادة قال "الفهم العلم بمعنى الشيء عند سماعهِ . والذكاء سرعة الفهم . والبلادة جمود الذهن"

واما اذا كان المطلوب مجرَّد الدرس المعنويّ فهيّئ في ذاكرتك بعد تحصيل المثالة النسق الذي تتلوها بهِ امام المعلّم لكي لا تقدّم ما حقهُ التأخير او تأتي الامر بالعكس فتضلّ سواء السبيل واياك ان تؤخّر درسًا وفي مكنتك تحصيلهُ الآن لان في التأخير خسارة الوقت الذي تضيعهُ فضلاً عن ان الصعوبة تزداد بالتأجيل . ولذلك يحسن ان تعين لذاتك لكل مثالة وقتًا مثبتًا قانونًا مطردًا جاريًا بموجبهِ دائمًا

في الصباح سهل ادراك المعنى والحفظ الوقتي ولكنك كما

تحفظ بسرعة تنسى بسرعة فاعتمد بالاكثر على درس المساء . ولا تدع ذلك الوقت ينتهي قبل ان تنظر في كل مثائلك وتفهمها ولو لم تحصلها تماماً. واجعل وقت الصباح للمراجعة لتثبيت ما قد حصلتهُ مساء في ذاكرتك . كثيرًا ما تتعجب وقت وقوفك امام المعلم للتسميع اذ ترى نفسك غير قادر على تلاوة المثالة كما هي مطلوبة منك . غير مستعدّ للاجابة على اسئلة استاذك . واذا اعتذرت بقولك كنت اعرفها والآن خانتني الذاكرة فقد لا يقبل عذرك والسبب في ذلك اقتصارك على درس الصباح واهمالك الدرس مساء

لا تستنكف من السؤال في الاوقات الجائزة لك عن معنى مثالتك لانك

اذا كنت لا تدري ولم تَنكُ بالذي
يسائل من يدري فكيف اذًا تدري

سئل احد فلاسفة الفرس كيف توصلت الى كل هذه المعارف؟ فقال "انني كنت لا اخجل ان اسأل عما لا اعرفهُ" قال الشاعر

شفاءُ داءِ العيِّ حسنُ السؤال فاسأل تنل علمًا ولا تبال
واطلب فالاستحياء والكبر من موانع العلم فما ان ينال

كما وانك لا تبخل على الغير بإجابة سؤالاتهم قدر ما تعرف بدون ادعاء ولا كبرياء . قسم الخليل بن احمد احوال الناس فيما علموهُ او جهلوهُ اربعة اقسام متقابلة لا يخلو انسان منها فقال :

"الرجال اربعة رجلٌ يدري ويدري انهُ يدري فذلك عالم فاسألوهُ . ورجل يدري ولا يدري انهُ يدري فذلك ناسٍ فذكّروهُ . ورجل لا يدري ويدري انهُ لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوهُ . ورجل لا يدري ولا يدري انهُ لا يدري فذلك جاهل فارفضوهُ"

ومما هو مفيد جدًّا في ترسيخ الحقائق في عقلك مذاكرة رفقائك في موضوع الدرس . قال بعضهم "البحث الكامل منبع العلم والمراجعة الكثيرة ملكة الحفظ قال الشاعر"

وأطل في العلم مذاكرةً فحياة العلم مذاكرتهْ

وانشد الحقيقة اينما كانت ومهما تحملت في سبيل ذلك حتى تجدها

زاحم ألبي العلم حتى تعتدَّ منهم حقيقهْ
ولا يردّك عجزٌ عن أخذ أعلى طريقهْ
فانَّ من جدَّ يعطى فيما يحبُّ لحوقهْ

ولا تسأم او تخجل من التصريح بقولك لا . لم افهم . حذارِ من قولك نعم وانت لا تعلم . ان لفظة نعم حرف جواب لطيف ولكنها قد تكون محض الكذب

لا يكن همك الوحيد في الدرس الحصول على علامة عالية بل اكتساب الفائدة . نعم يجب ان تسعى ليكون لك اعلى علامة اذا كنت بالواقع اعلى تلميذ في الصف . ما اسخف عقل التلميذ الذي يتوق الى العلامة الحسنة ولا يهمهُ تحصيل المعرفة . اذا

وجدت علامتك اقل مما ظننت انك تستحق فلا تخجل بذلك لانك ربما تكون مغشوشًا في نفسك بل ثابر على مضاعفة الاجتهاد . المعرفة في عقلك لا في دفتر المعلم. والخسارة كل الخسارة اذا كانت معرفتك في دفتر المدرسة لا في عقلك لانك لا تخرج من المدرسة الاَّ بعقلك الفارغ . وما قلناهُ في امر العلامات قس عليهِ منح الجوائز والامتيازات للمتقدمين من التلاميذ فالغاية الجوهرية منها جميعها الترغيب والحث على الاجتهاد في الواجبات. واذا كان لك ذلك فلا تبالِ حصَّلت الجائزة ام لم تحصّلها . هذا يدركهُ التلميذ العاقل الفطين فكن ذلك التلميذ

ايضًا لا تعتمد على كتبك فتتهامل في الدرس لانها ملكك وهي معك دائمًا ولذلك يمكنك معاودة الدرس فيها فلا تجهد نفسك في الحفظ . قال بعضهم "لا يكفي الاقتصار على الكتب ومعرفة مواضيعها والرجوع اليها عند الاحتياج لان من كان علمهُ في كتابهِ كان خطأُهُ اكثر من صوابهِ . بل على العالم العامل ان يستصحب علمهُ في كل ابن وآن والاَّ فلا يعدُّ عالمًا قال الشاعر

علمي معي حيثما يممتُ ينفعني
قلبي وعاءٌ لهُ لا بطن صندوقي
ان كنت في البيت كان العلم فيهِ معي
اوكنت في السوق كان العلم في السوقِ

وقال آخر

ليس في الكتب والدفاتر علمٌ انما العلم في صدور الرجال

وقال آخر

العلمُ ما انت في الحمام تُحضِرهُ
وما سوى ذلك التكليف والكمدُ

وقال غيرهُ

عليك بالحفظ دون الجمع في الكتب
فانَّ للكتب آفاتٍ تفرقها
الماء يغرقها والنار تحرقها
والفار يخرقها واللص يسرقها

الفصل الرابع

المطالعة

درس المثائل مطلوب من التلميذ وجوبًا فعليهِ ان يقوم بهِ وبوَّاخذ على تقصيرهِ فيهِ وهو يساق بهذا الوجوب مختارًا او مضطرًا ولا مفرَّ لهُ منهُ . اما امر المطالعة فاختياري غير محتَّم قبل القانون المدرسي على احد وجلُّ ما تبديهِ ادارة المدرسة بشأنهِ الحث والترغيب وتسهيل طرقهِ . يوجد مكتبة للمدرسة

كبيرة كانت ام صغيرة تحتوي على كتب بمواضيع ولغات مختلفة وهي مشتركة بعدة جرائد ومجلات من دينية وسياسية وعلمية وادبية . ومباح لكل تلميذ دخول المكتبة في اوقات معينة للدرس والمطالعة في ايّ كتاب اختارهُ وما عليهِ الاّ ان يطلبهُ من مدير المكتبة حتى اذا احب كتاباً واراد استعارتهُ يرخّص لهُ بأخذهِ حسب شروط المكتبة الى اجل محدود . ومن اهم تلك الشروط ان يحافظ كل المحافظة على نظافة الكتاب المستعار وسلامتهِ من الاتلاف وترجيعهِ في الوقت المعين والاّ غُرّم حسب قانون المكتبة

مع عظم اعتباري لامر المطالعة اشير عليك ان لا تدعها تأخذ الوقت اللازم لدرس المثائل القانونية . وبعبارة اوضح اذا راقك كتاب والتذذت بموضوعهِ فلا تذهلك رغبتك فيهِ فتنسى درس مثائلك في الاوقات المخصصة لها لان الوقت في المدرسة كما اسلفنا الاشارة مقسم بعضهُ للدرس وبعضهُ للمطالعة وهكذا للرياضة والنوم الخ . فلا تحوّل وقتاً من فرع الى فرع آخر والاّ ارتبكت واضعت فائدة ذلك التقسيم . سقت اليك هذه الملاحظة على فرض انك مغرم بالمطالعة تهفو اليها من كل قلبك . واما اذا عكس الامر فعليّ ان ابين لك الفوائد الناجمة عنها قال الشاعر

أعزُّ مكانٍ في الدُّنى سرجُ سابحٍ
وخيرُ جليس في الزمانِ كتابُ

فالكتاب إلْف لطيف وديع حليم لا يملُّك ولو ملتهُ يرشدك ويعلمك ولا يطلب منك اجرًا سوى مطالعتهِ بامعان " وقلَّ من يقرأ سيرة بعض الرجال الافاضل الاَّ ويشعر كانَّ حياة جديدة قد دخلت عقلهُ وقلبهُ وكثيرًا ما يحدث ان سيرًا كهذه تنبِّه القوى الخاملة فينتبه الانسان الى ذاتهِ ويرى ان فيهِ موهبة لبعض الامور وهو غير شاعر بها " ومن غريب ما يروى عن رغبة الصينيين في المطالعة ان كل صحيفة صينية تصدِّر بهذه العبارة " اذخر كل ورقة تجد عليها شيئًا مطبوعًا " قيل ومن المستحيل ان يتغافل الصيني عن هذه العبارة بل يعمل بمقتضى مفهومها بكل سرور وبناء عليهِ يجمعون ما يرثُّ ويبلى من الاوراق المكتوبة ويحرصون عليها كل الحرص . ولو افتكر المطالع بما اقتضى وصول الكتاب اليدِ لعرف شيئًا من قيمتهِ . ولم يبخسهُ حقهُ . فان صاحبهُ عانى مشاقَّ تأليفهِ وجمعهِ ونسخهِ مرارًا عديدة ونفقة طبعهِ وتجليدهِ . نعم ربما يكون قد ربح منهُ (وقليل هم الرابحون في بلادنا من هذه البضاعة) ولكن هذا لا ينفي كونهُ قد تمَّ بتعب جزيل . قال منتسكيو لاحد اصحابهِ " انك تقرأ هذا الكتاب في ساعات قلائل ولكنني اؤكد لك انني قد تعبت في تأليفهِ تعبًا شيَّب رأسي "

نعم ان الكتب متفاوتة في الجودة والفائدة وانت الآن لا تدرك ذلك تمامًا ولكن لا خوف عليك وانت في المدرسة لان ادارتها اخذت على نفسها ان تنتقي جيد الكتب والجرائد لتضعها

بين ايدي تلامذتها . الاَّ انها مع ذلك لا تستطيع ان تمنع التلاميذ من شراء كتب لانفسهم . وهنا احذّرك من خسارة المال واعظم من ذلك اضاعة الوقت واعظم من كليهما فقد الآداب والفضيلة باقتناء كتب سفيهة قبيحة المغزى . هي طلية جدًّا ولذيذة للطبع الفاسد فلا تُصَدْ باحبولتها فانها فخُّ ابليس ينصبهُ باعة الكتب الذين يبيعون الفضيلة ببضعة دراهم . والمرء قد يتشرَّب مبدأً من يقرأُ عنهم فيقتدي بهم كما انهُ يتمثل بمن يعاشرهم . قال بعض الافاضل "ألا ترى ان الكتب والجرائد قد انشحنت من كل سخيف وركيك لكي توافق ذوق الانسان . حتى متى لا ينتبه الناس من رقادهم بل من جنونهم هذا حتى متى يميلون الى الهزل والسخافة والركاكة وما لا طائل تحتهُ وما لا يصدّقهُ عاقل ولا جاهل ألا يعلمون ان ذلك يفسد الذوق السليم" وعليهِ اذا شئت اقتناء الكتاب فاستشر استاذك في صلاحيتهِ وخذ ما كان نافعًا ولو كان غاليًا وانبذ ما كان مضرًّا ولو كان رخيصًا او مجانًا او دُفع لك دراهم لتقتنيهُ

قال الفاضل الدكتور يوحنا ورتبات في نصائحهِ للشبان "اختاروا الكتب التي تقرأُونها فهي خير الجلساء اذا كانت مما يتضمن حكمة . لانها تزيدكم علمًا وتهديكم صراط الحياة المستقيم وتفعل فيكم فعل قدوة الصديق . وكما تحذرون جليس السوء ومعاشرة اللئيم ابعدوا عن الكتب التي تفسد النفس او التي لا خير

في قراءتها لما فيها من ركاكة العبارة والمعنى . وقد كثرت في هذه الايام ترجمة الروايات وعمد اليها الاحداث فلا بدَّ من التمييز بينها واختيار الادبي المفيد منها ونبذ ما كان مضرًّا بالاخلاق . فاعمدوا الى افضل ما كُتب في اللغات التي تعرفونها واقرأوها المرَّة بعد المرَّة الى ان ترسخ معانيها في ذهنكم وتتعلموا منها منهج العقل السليم وفصاحة العبارة وبلاغتها "

ومن المهم في المطالعة ان تقرأ بنوع اخص عن موضوع المسائل التي تدرسها فانك بذلك تكسب سعة المعرفة فضلاً عن فهم المقصود باختلاف النسق والعبارة . قال بعضهم "من اراد إحكام علم فقرأ احسن مؤلفاته" وخير الكتب ما كانت لغته فصيحة مع بلاغته اذ تعتاد وتألف العبارات الصحيحة فتنسج على منوالها . ولا تهمل تصفُّح المجلَّات على اختلاف مواضيعها فانها تحفظك بخلاصة ما يجدّ في عالم العلم من وقت الى آخر وكذلك جرائد الاخبار من دينية وسياسية اذ تطَّلع بواسطتها على الماجريات العمومية فتعرف ما هو حادث في العالم . وعلى هذه الكيفية تطلع وانت في مركزك على امور كثيرة مهمة ولذيذة فاغتنم وقت المطالعة لانك بعد خروجك من المدرسة قد لا يتيسر لك فرصة كهذه فيها تصل يدك الى مؤلفات وجرائد عديدة مفيدة

وحبذا لو اتبعت طريقة قد أُختبرت فائدتها وهي ان تدوّن في دفتر خاص نبذًا مستحسنة تقتطفها مما تطالعه فتدخرها الى

وقت الحاجة . قد شبه الشهير جون هانتر من يقرأ كتاباً ولا يدوّن ما بقي في ذاكرته منهُ بتاجر لا يكتب اسماء بضائعهِ ليعلم كم عندهُ من كل صنف وقال بعض الحكماء " اقرأ احسن المؤلفات واكتب احسن ما قرأت واحفظ احسن ما كتبت واورد احسن ما حفظت فتكون قد صفّيت الحقائق واتيت بالزبدة الخالصة المختارة " وهذه افضل طريقة لادّخار المعرفة وايصالها الى الآخرين

الباب السادس

في اللغات

اللغة اصوات يعبّر بها كل قوم عن اغراضهم . وهي خاصة من خواص البشر ومزية من مزايا الانسان التي امتاز بها عن غيرهِ من انواع الحيوان . وقد كان للبشر لاول عهدهم لغة واحدة ولسان واحد ثم تفرّعت اللغات وتعددت حتى زادت على الف لغة او فرع من لغة تختلف الواحدة عن الاخرى اختلافاً يمنع من التخاطب او التفاهم بين المتكلمين باثنتين منها . ومن اللغات ما مات واندثرت آثارهُ ومنها ما لم تزل حية في الكتب ومنها منتشرة ونامية في التآليف والمخاطبات . وبمقدار تقدم امة في المدنية والعمران وحب العلوم يكون تقدم لغتها في بلوغ حدّ الاتقان والانتشار

الفصل الاول

اللغة العربية

البحث الاول

وجوب الاهتمام بها

يدعونا الى الاهتمام باللغة العربية عدة بواعث نذكر منها اربعة :

الاول – طبيعي : فانها لغتنا التي وُلدنا فيها ورضعنا الفاظها مع اللبن وأشربنا محبتها منذ نعومة اظفارنا وتدرّجنا في النطق بها تدرُّجًا طبيعيًا سهلاً غير شاعرين بالصعوبة التي يقاسيها من يقصدون التعلم والتكلم بلغة غير لغتهم فحُبُّنا لها واهتمامنا بشأنها وغيرتنا على سلامتها وافتخارنا بكل ما يتعلق بها امور طبيعية تندفع اليها اندفاعًا من انفسنا دون شعور بشيء من التكلُّف فكأنّ ذلك طبع من الطباع المغروسة فينا

الثاني – وطني : ان اهلنا وعشراءنا ومن نقابلهم ونتعامل معهم في اشغالنا ومن نشاهدهم في تجوالنا في بلادنا نتفاهم معهم بلغتنا العربية المحبوبة وهذا التفاهم باللغة الواحدة يجعل بيننا ارتباطًا متينًا فنتعاضد ونتساعد في ما هو لخير بلادنا الواحدة

ولدفع الكوارث المضرّة بها . وبما ان اللغة العربية رابط متين من روابطنا القومية يجب علينا كوطنيين ان نكترث لها ونغار على حفظها سليمة نقية من شوائب الاغلاط وعلى تقدمها ونمائها مع تدرُّج العمران

الثالث — ديني : وهذا الباعث خاص باخواننا المسلمين الذين هم السواد الاعظم من الناطقين بالضاد . والحقيقة الناصعة ان للاسلام الفضل الاكبر على اللغة العربية لانهُ هو المعتني بها والحافظ على كل دقيقة من دقائقها . ولا يمكنك ان تفصل الدين الاسلامي عن اللغة العربية لان القرآن الذي هو اساس الدين عربيٌّ ولا يقبل مسلم في العالم بنقلهِ واستعمالهِ في لغة اخرى كما يتساهل اليهود والمسيحيون في التوراة والانجيل . فهذا الباعث القوي يدعو اخواننا المسلمين الى الاهتمام غاية الاهتمام باللغة العربية

الرابع — تاريخي : الانسان يميل بالطبع الى الوقوف على احوال السالفين من الاقوام ولكنهُ اشد ميلاً الى معرفة احوال قومهِ . فلكي نعرف تاريخ امتنا وشعبنا علينا ان ندرس عن ذلك في ما كتبهُ العرب عن انفسهم في لغتهم لان صاحب البيت ادرى بالذي فيهِ . وغير خافٍ ان اللغة العربية لم تخلق على حالتها الحاضرة بل نمت وتدرَّجت في سلَّم التقدم جريًا مع الحضارة العربية ولها تاريخ خاص في نشأتها وارتقائها . ونفس العربي الغيور تتوق الى الوقوف على شيء من ذلك

البحث الثاني

وضع قواعدها وضوابطها

لو بقي العرب مستقلين بانفسهم منفردين في بلادهم غير مخالطين بسواهم من الامم كانت سلمت لغتهم من شوائب كثيرة . ولكن بسبب اختلاطهم مع جيرانهم ومعاملاتهم التجارية ثم خروج الدين الاسلامي من جزيرة العرب وافتتاح دعاتهِ امصار القبط والسريان والفرس والروم وغيرهم ودخول جماهير من هولاء الاعاجم في الاسلام وتعلمهم العربية لغة الدين والحكومة المنتصرة أدخل الى اللغة الفاظًا واصطلاحات خارجة عن اصولها . على ان العرب لم يتغاضوا عن تلافي الخطر الطارئ فاوعزوا الى ائمة اللغة ان يضعوا لها اصولاً وضوابط . وعلى هذا النمط وُضعت العلوم العربية كالصرف والنحو والبيان وغيرها . قال ابن خلدون "ان اول من كتب في النحو ابو الاسود الدُّوَلي من بني كنانة ويقال انهُ فعل ذلك باشارة من الامام علي بن ابي طالب ثم كتب فيهِ الناس بعدهُ . وقد حكى ابو احمد العسكري ان الناس عبروا يقرأون في مصحف عثمان نيفًا واربعين سنة الى ايام عبد الملك بن مروان . ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق . ففزع الحجّاج ابن يوسف الى كتّابهِ وسألهم ان يضعوا لهذه الحروف

المشتبهة علامات . فيقال ان نصر ابن عاصم قام بذلك فوضع النقط افرادًا وازواجًا . وخالف بين مواضعها فوق الحروف وتحتها . وعبر الناس على ذلك زمانًا وهم لا يكتبون الاَّ منقوطًا . فكان مع استعمال النقط التصحيف ايضًا . فاحدثوا الشكل بالحركات وما يلحق بها "

البحث الثالث

تعلم اصولها

انهُ بناء على الاسباب المار ذكرها فشا بين الناطقين بالضاد اغلاط جمة في اصول لغتهم قراءة وكتابةً فصار عليهم ان يعتنوا بتعلم اصولها على اساتذة متضلعين منها . ونظرًا الى وجود الفوارق بين اللغة العامية المتفشية واصطلاحاتها وبين اللغة الفصحى صار واجبًا علينا ان نعرف الصحيح لنتبعهُ والغلط لنتجنبهُ . وهذا مؤدّى تحديد علم اللغة "هو ما يحترز بهِ عن الخطإ في كلام العرب لفظًا وكتابة" . وانني احسب من العقوق انصراف رغبة العربي الى درس اللغات الاجنبية والاكتفاء بما دون اليسير من لغتهِ . نعم لا احد يُشير باقتفاء آثار الذين ينفقون زهوة العمر ويقضون السنين الطوال في التبحر بمعرفة الشوارد والمذاهب العويصة وآراء البصريين والكوفيين فيها بل احراز ما يؤهل المرء ليصير مقتدرًا على القراءة

الصحيحة والكتابة الفصيحة . وهذا يؤخذ بدرجة اولى من كثرة مطالعة المقالات والتآليف والاشعار البليغة الخالصة في عروبتها فانها تحمل من تضلع منها على تحدّي مثالها والنسج على منوالها وأضف الى ذلك اتقان درس قواعد اللغة واصولها كما سبقت الاشارة . فلا برحَ بالك حتى تأنس من نفسك امتلاك ناصية لغتك والمقدرة على استعمالها ومراعاة اصولها في قراءتك وكتابتك : قال الفاضل الاستاذ جبر افندي ضومط في هذا الشأن ما يأتي "تعلّم لغتك وما يتعلق بها من الاصول والقواعد بحيث تتمكن من فهم ما يكتب حق الفهم فلا تفوتك اغراض الكاتب ولا تخفى عليك قوّة حجتهِ في اثبات او نفي ما يقصد اثباتهُ ونفيهُ ولا قوّة تخيلهِ في ما يتخيلهُ من التصورات السامية والمعاني البعيدة البديعة مما يحرّك النفس ويثير العواطف . واذا سموت الى اكثر من ذلك اي الى ان تصير تستطيع ان تعبر عما في نفسك اقوى تعبير وابلغهُ فافعل فان تأثير افكارك وتصوُّراتك في جيلك متوقف على اقتدارك في معرفة العبارة الدالة على ما في نفسك وعلى ان تكون تلك العبارة في ملكك وتحت مطلق تصرفك بحيث تستحضرها متى اردت وعلى اي صورة اردت من الصور البليغة المؤثرة في السامع او القارىء"

المبحث الرابع

الاجادة في قراءتها

للاستاذ جرجس هام

ان للقراءة اصولاً وحدوداً تجب معرفتها ومراعاتها والوقوف بالمعلمين عندها وهي

(١) **تحقيق اللفظ** : وهو اعطاء كل حرف حقهُ من المقطع وكيفية الصوت من الجهر والهمس والحركة والسكون . واظهار الحركات اظهاراً معتدلاً بحيث لا تُختلس حتى تخفى ولا تُفخم وتُشبع حتى تخرج احرفًا تامة

(٢) **الترسُّل** : وهو التمهُّل والتأني في القراءة الى ان يتمكن السامع من فهم ما يقرأهُ القارئ بدون ان يتجاوز فيهِ الى حد الافراط في التمطيط والتلحين حتى يضاعف الساكن وتتولد حروف من الحركات فان ذلك مكروهٌ يمجُّهُ السمع وينفر منهُ الاَّ ما كان من التلحين المعتدل في قراءة الكلام التعبُّدي في المعابد . فانهُ مستحبٌّ للتدبر والتفهُّم وهو اقرب الى الاجلال واشد تأثيراً في القلوب

(٣) **اللهجة** : ونريد بها تغيُّر الصوت برفعهِ وخفضهِ

وتفخيمه وترخيمه حسبما يقتضيه المعنى . فيقرأ القارئ الكلام على لهجاته ومقاماته بحيث يلفظ في التاكيد لفظ المؤكد وفي التهديد لفظ المهدِّد وفي الاستفهام لفظ المستفهم وفي الاشفاق لفظ المشفق وهلمَّ جرًّا فان ذلك يستصغي السامعين ويوقظ افكارهم ويدل على معرفة القارئ معنى ما يقرأه . وان كثيرين من الناس يقرأ القارئ منهم قصة او قصيدة مشتملة على المعاني العديدة المختلفة النوع والصورة فيخرجها جميعها بنغم واحد غير متغير يسوي فيه بين الافتخار والتذلل وبين التاكيد والاستفهام وامثال ذلك من اصناف الكلام وانواع المعاني فتملُّ انفس السامعين وتنزوي منه الاذهان حتى لا تنتبه ولا تستفهم معنى ما يقرأه

(٤) **الدرج** : وهو الجري في القراءة بلا تلجلج ولا تردُّد ويكون باتلاف الغير على صور الكلمات والادراك السريع لمعاني المفردات والجمل المركبة منها . ولا يتم للصغار الاَّ باعتاد دروسهم والتمرن على قراءتها مرارًا قبل أدائها امام المدرّس . والجهر اي رفع الصوت في التمرُّن على القراءة افيد للمتعلمين من الخفت اي خفض الصوت . لان العمل فيه اكثر والترويض ابلغ وفضلاً عما فيه من ايقاظ قلب القارئ وتنبيه ذهنه الى صور الالفاظ ومعانيها جميعًا

(٥) **الوقف** : وهو قطع النطق عند تمام المعنى المراد . وينقسم الى ثلاثة انواع تامّ . ويكون بقطع الصوت دفعة واحدة

قطعًا يؤذن بتمام المعنى ولا يقع الاَّ عند استيفاء الكلام لجميع متعلقاتهِ لفظًا ومعنًى . وكافٍ ويكون عند استيفاء الكلام لجميع متعلقاتهِ لفظًا لا معنى ويتم بقطع الصوت على الهجة تؤذن بوصلهِ بما بعدهُ . وحسن ويكون على الكلام التام الذي يتعلق عليهِ الوقف من الكلمة فيلزم السكون في كل حال الاَّ في القوافي المطلقة في الشعر فان الحركات جميعها تثبت فيها

وفي الجملة فان الاجادة في القراءة لا تتم الاَّ باخذها تلقينًا عن المدرّسين وتحدّيهم في تقويم اللفظ واظهار الحركات ودرج الكلام على لهجاتهِ وترويض اللسان على ذلك جميعهِ

الفصل الثاني

اللغات الاجنبية

لجناب الاستاذ داود افندي قربان

بقدر لغات المرء يكثر نفعهُ وتلك لهُ عند الشدائد اعوانُ
فبادر الى حفظ اللغات مسارعًا
فكلُّ لسانٍ بالحقيقة انسانُ

اهم ما يعنى بدرسهِ ابناء هذه البلاد من اللغات بعد درسهم الانكليزية والفرنساوية اللتان صار يُحسب تعلُّمها من الحاجات

الماسّة عند من يحب التوسع في العلوم والاطلاع على ما يتوفّق ابناء الغرب لاكتشافهِ من الحقائق العلمية والطبية او استنباطهِ من وقت الى آخر من الاختراعات النافعة مما لا سبيل للوقوف عليهِ في الكتب العربية لاسيما والمدارس التي يتهذّب فيها شبابنا اذا استثنينا المدارس الوطنية قد امست في هذا العصر اجنبية يجري منها معين العلم الى ادمغة طلبتها على الغالب في قنوات اللغة الانكليزية او الفرنساوية سواء تلقى اولئك الطلبة العلوم في بلادهم او في بلدان اجنبية. ومما يزيد اهمية اللغتين المذكورتين في عيون ابناء سوريا اتساع نطاق العلاقات التجارية بين بلادهم وبلاد الغرب وخصوصًا انكلترا وفرنسا وكثرة المهاجرين منهم الى الولايات المتحدة حبًّا للمتاجرة وطمعًا بالكسب مما جعلهم يرغبون رغبة شديدة في تعلم الانكليزية وزد على ذلك توظيف الحكومة المصرية والسودانية لكثيرين من السوريين ممن اتقنوا تلك اللغة وترقية بعضهم الى مناصب عالية

ولما كان المقصود من درس اللغات الفائدة كان لا بدَّ من اتقانها فلا يكفي ان يتعلم الطالب بعض العبارات والاصطلاحات الدارجة على الالسن في الاحاديث الاعتيادية لكي ينظم في سلك المتكلمين باللسان الافرنجي بل عليهِ ان يشمر عن ساعد الجد ويتعمق في الدرس والبحث المدقق عن اصول اللغة التي يأخذ في درسها حتى ينال منها اربهُ ويصبح قادرًا على استعمالها في مخاطباتهِ

ومكاتباتهِ . وقد ذكرت في عجالتي هذه بعض ملاحظات تتعلق بهذا الموضوع افادة للطالب المجتهد راجيًا ان يعيرها التفاتًا

الاولى : اذا شئت ان تتقن درس الفرنساوية فيوافقك ان تدخل مدارس الفرنسويين لانهم يعتنون بتدريس لغتهم اكثر من سواهم واذا حدثتك النفس باكتساب الانكليزية فعليك بمدارس الانكليز او الاميركان وخصوصًا الجامعة الاميركانية . هذا ومع اعترافنا بان كلًّا من المدارس المذكورة تعلم بضعًا من اللغات المشهورة نقول ان كل واحدة منها تعتني اعتناءً خاصًّا في تدريس اللغة التي هي لغة اربابها الخاصة

الثانية : يمتاز الناطقون بالضاد على من سواهم من الامم في كونهم قادرين على النطق باي لغة كانت من لغات البشر المعروفة كما ينطق بها اصحابها تمامًا كانَّ في تركيب حناجرهم سرًّا يمكنهم من تكييف اللفظ على حسب ما تقتضيهِ الحال وتدعو اليهِ الحاجة بخلاف الاجانب الذين يحاولون تعلم لغة العرب فانهم لا يقدرون ان يحكموا لفظها كأهلها بل يظلون يرتضخون لكنةً عجمية مهما طال امد درسهم لها . الّا انهُ يستثنى منهم من وُلدوا تحت سماء بلادنا والفت مسامعهم النطق بالعربية منذ نعومة اظفارهم . وبناءً عليهِ ليس لك عذر ايها الطالب العزيز اذا كان لفظك في اللغة التي اخترت درسها مكسرًا فابذل جهدك في اخذ اللفظ عمَّن يحسنهُ وكررهُ لذانك بصوت مسموع في غير اوقات الدرس القانونية

حتى تعتاد اوتارك الصوتية على النطق به بسهولة . فكثيرون من صغار الطلبة يتوهمون انهم يستطيعون تعلُّم مثالة القراءة في لغة اجنبية بمجرَّد النظر اليها بالعين كما يدرسون مثالة الصرف والنحو او التاريخ في لغتهم ولكنهم بعد ذلك يجدون انهم مخطئون . وانتبه لمواقع النبرات في الالفاظ المختلفة فان على مراعاتها تتوقف صحة اللفظ وحسنه وما يعينك على معرفة ذلك قاموس اللفظ فهذا لا غنى لك عنه فعليك ان تقتنيه من اول شروعك في تعلُّم لغة جديدة وتستشيرهُ كلما اشكل عليك التلفظ باحدى الالفاظ ولا سيما في درسك اللغة الانكليزية البعيدة في لفظها عن القياس

الثالثة : لا تكتفِ بقراءة المثالة المعينة لكل يوم وترجمتها فان ذلك لا ينيلك غايتك ولا يبلغك المرام من اللغة التي تتوخى تعلُّمها بل عليك ان تستعمل في الحديث ما يرد عليك من الكلمات الجديدة من يوم الى آخر لكي ترسخ في ذهنك وتصير ملكًا لك وفي وسعك استحضارها حين تريد استعمالها . ولا بأس اذا جاءت جملك في بادئ الامر مكسرة وهزيلة بك سامعوك فان الطفرة محال لكنك لا تلبث بعد التمرُّن مدة على هذا النسق ان ترى لسانك قد انطلق من عقالهِ وجملك مسبوكة في قالب حسن ولا سيما اذا عُنيتَ بدرس الفعل على اختلاف حالاتهِ وازمنتهِ . ولا تكتفِ بالالفاظ التي تجدها في كتابك الذي تدرسهُ وبان

يقطر معلموك اللغة في دماغك قطرةً بعد قطرة بل كلما خطر ببالك شيء تجهلهُ سواء كان من الاشياء المحسوسة او غيرها وَجَب ان تسأل عنهُ من يقدر ان يفيدك . ويحسن ان تشفع قاموس اللفظ المذكور آنفًا بقاموس عربي انكليزي فانهُ يفيدك كثيرًا . ويوافق جدًّا ان يكون معك دفتر تدوّن فيهِ ما تستفيدهُ جديدًا ثم تستعملهُ وتكرّرهُ حتى ينغرس في ذاكرتك . فان كثيرين من الطلبة المجتهدين ساروا على المنهاج فلم تمضِ بضعة اشهر الاَّ وقد احرزوا جانبًا مهمًّا من اللغة التي شرعوا في درسها فاحتذِ مثالهم وانسج على منوالهم

الرابعة : لا ترضَ بمجرَّد انك قادر على الترجمة من اللغة التي تتعلمها الى لغتك العربية لانك بذلك تكون كمن يمشي على رجلٍ واحدة . بل عليك ان تتمرَّن على الترجمة من لغتك الى اللغة التي انت آخذٌ في درسها . وبذلك تملك ناصية الانشاء فيها وتقضي لبانتك منها . واذا كانت ظروفك لا تساعدك على الدخول الى المدارس الكلية او الجامعة حيث تقف على جميع الاصطلاحات اللغوية وخلافها فاجتهد وانت في مدرستك المتوسطة ان تقتبس كثيرًا من تلك الاصطلاحات بواسطة القاموس العربي الانكليزي وبعض الكتب الاخرى كالطوالع السعدية والهدية الشرقية

الخامسة : اذا سنَّت المدرسة قانونًا يقضي عليك وعلى

رفقائك ان تتكلموا باللغة او اللغات التي تتعلمونها فلا يسؤكم ذلك ولا تحسبوهُ من جملة القصاصات المدرسية بل احسبوهُ انعامًا من المدرسة عليكم وبالنتيجة اطمعوهُ. وقد عرفت بالاختبار في غضون ممارستي الدرس والتدريس سنين كثيرة ان التلاميذ الذين كانوا يجتهدون في ان يستعملوا اللغات التي كانوا يتعلمونها في احاديثهم بعضهم مع بعض نالوا قصب السبق في مضمار التعلم وفازوا بالرغائب واما الذين كانوا يتهاونون فغادروا المدرسة غير قادرين ان يعبّروا عن افكارهم تعبيرًا صحيحًا

السادسة : اجتهد في اتقان التهجئة وهي في الانكليزية اصعب منها في سواها لانك اذا لم تستطع ان تتهجّأ لفظة فلا تحسن كتابتها ولا يُفهم المقصود مما تكتبهُ . ومما يساعدك على نوال مرغوبك الاملاء فلا تضجر ولا تتذمّر منهُ لانهُ يرسّخ صور الالفاظ في ذهنك على نوع لا يحصل من التمرين الشفاهي وحدهُ . واذا غلطت في كتابة بعض الكلمات واصلح استاذك غلطاتك فأعد كتابتها مرّة بعد مرة حتى لا تغلط فيها بعد ذلك

السابعة : اذا احكمت درس احدى اللغات الاوريّة هان عليك تحصيل غيرها لما بينها من لحمة النسب في اللفظ والمعنى . فالذي احكم الانكليزية يهون عليهِ تحصيل الفرنساوية او الجرمانية او الايطالية والعكس بالعكس . وبما ان كل لسان انسان فلا تندم اذا تعلمت بضعًا من اللغات الشهيرة كالتركية

والفارسية والانكليزية والفرنساوية والروسية والجرمانية . تعلَّم وعود صباك رطيب اذ تكون ذاكرتك في ابّان قوتها ومعظم نشاطها قبل ان تتراكم عليك هموم هذه الحياة وتساورك ارزاؤها فتكلّ ذاكرتك ولا يعود في وسعها ان تعي في خزانتها ما كانت قادرة على وعيهِ في زمن الصبا . وقد سمعت ان كثيرين احرزوا جانبًا من اللغات القديمة والحديثة بمجرَّد مطالعتهم الاسفار الالهية في تلك اللغات . فاذا كان لك أَرَب في تحصيل كثير من اللغات فاحذُ حذوهم بعد ان تكون قد اخذت مبادئ اللغات التي ترغب في تعلمها عن اربابها . والله الموفق الى سبل الرشاد

الباب السابع

الانشاء والخطابة ومتعلقاتهما

الفصل الاول

الخط

لجناب الكاتب الاستاذ نوفل اسطفان

تعلَّم قوام الخط ياذا التأدُّبِ فا الخط الاَّ زينة المتأدِّبِ

قال الفاضل صاحب دائرة المعارف "الخطُّ معرفة كيفية تصوير اللفظ بحروف هجائية" وقال العلامة ابن خلدون "الخط رسوم واشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة اذ الكتابة من خواص الانسان التي يتميز بها عن الحيوان وايضاً فهي تُطلع على ما في الضمائر وتؤدى بها الاغراض الى البلاد البعيدة

فتقضي الحاجات وقد دفعت مؤونة المباشرة لها . ويُطّلع بها على العلوم والمعارف وصحف الاولين وما كتبوهُ من علومهم واخبارهم فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع وخروجها في الانسان من القوة الى الفعل انما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع والعمران والتناغي في الكمالات والطلب "

وهذه الصناعة عملية كغيرها من الحرف والصنائع فكما لا يكتفي معلم النجارة مثلاً ان يشرح لتلميذهِ كيفية عمل باب مخدع بل يجعلهُ يمارس بيديهِ اولاً كيفية صقل الخشب وادخال المسامير ونشر الالواح واخذ القياس وتفصيل العوارض هكذا متعلم صناعة الخط لا يكفيهِ اخذ الشروح والقواعد واستظهار القوانين لاصلاح خطهِ بل عليهِ ان يمارس فعلياً هذه الصناعة تحت عناية معلم يشرح لهُ قوانينها ويمرنهُ عملياً على طرق تمكنهُ من بلوغ الارب . وان كان الخط صناعة عملية كما قدّمنا لا يخلو وضع بعض النصائح لمن يرغب في تحسين خطهِ من فائدة وان كانت يسيرة بجانب اخذ هذا الفن عملياً عن معلم ماهر

اولاً : ليكن الورق الذي تتمرن عليهِ متوسط الصقل اي لا صقيلاً كثيراً ولا خشناً كثيراً بل بين بين . والاحسن ان لا يكون من النوع المسطر ليعتاد المتعلم كتابة اسطر وكلمات مستقيمة على اي ورق قصد ان يكتب عليهِ فيما بعد

ثانيًا : ليكن الحبر عربيًّا وليس من الاجناس المستعملة للكتابة الافرنجية الذي مع تنشيفهِ على الورق لا يلائم الاقلام القصبية بل يجعلها لينة غير وافية بالمرغوب

ثالثًا : واما القلم فليكن شديد الصلابة تامّ النموّ حتى لا يمتص الحبر فيلين فيحتاج الى بريهِ مرارًا عديدة في اثناء الكتابة فضلاً عن صعوبة ضبط دوائر الحروف اذا كان رأس القلم رخوًا. بعضهم يميل الى جعل قطة القلم (عرجاء) اي ان يكون احد رأسي القلم اطول من الآخر وبعضهم يجعل الراسين في طول واحد والطرفين سواء ومرجع افضلية احداهما الى العادة لا غير اذا لم تكن الاولى اعمّ واكثر شيوعًا . واما الامر الجوهري فهو ان تكون بريهِ القلم طويلة الجلفة منسقتها والشق كافيًا ليجعل الحبر يجري من القلم الى الورق بسهولة وانتظام . قال عبد الحميد الكاتب المشهور لمسلم بن قتيبة وقد رآه يكتب خطًّا رديًّا ان كنت تحب ان تجوّد خطك فأَطِل جلفتك (اي مكان البرية من قلمك) واسنمها وحرّف قطتك وابنها قال مسلم ففعلت ذلك فجاد خطي

رابعًا : لتكن بداية التمارين على بعض الحركات الضرورية لليد كالدوائر والخطوط العمودية المستقيمة

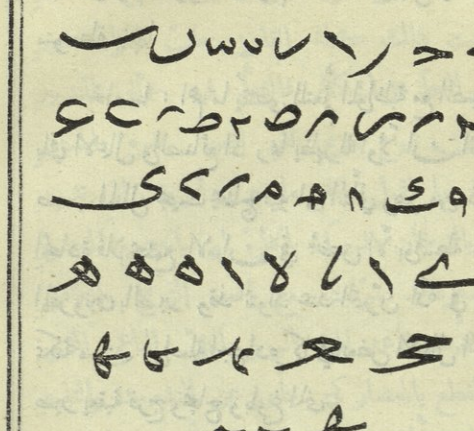

ثم يتدرّج الطالب الى كتابة كل حرف من الحروف الابجدية على حدة ولا يترك حرفًا الاّ بعد ان يتقن رسمهُ جيدًا كما هو مرسوم في القاعدة ثم ينتقل الى تمرين تركيب كل حرف مع غيره من باقي الحروف فتأخذ الباء مثلاً وترسمها مع الالف ثم مع الباء ثم مع الجيم فالدال فالراء الخ . ثم خذ الجيم وارسمها مع الالف فالباء فالجيم فالدال فالراء الخ . فلا يأتي الى نهاية الحروف الاّ ويجد ذاتهُ قد بلغ من حسن الخط شوطًا لا يبلغهُ بطريقة اخرى في ذات الوقت الذي صرفهُ على هذا النسق . واما بعض الدفاتر المطبوعة لاجل تعليم الخط فناقصة من هذه الحيثية اذ ينتقل المتعلم

فيها من رسم الحروف الى رسم الكلمات والجمل راسًا دون درجة متوسطة بينهما

خامسًا : اهم ما يُقتضى للمتعلّم المواظبة مع الصبر شأن صنّاع باقي الاعمال والصنائع اذ ربما يظهر له اولاً ان اتقانه للخط امر صعب المنال بحيث يحتاج فيهِ الى التأني وهو من ذوي الطباع الحادة فلا يجتمع الامران في شخص الاّ بواسطة المثابرة والحزم المقرونين بالصبر. وقد تتولد عند التمرّن لذّة في اثناء تدرجهِ تمكنهُ من مواصلة اجتهادهِ كما في بعض الاعمال التي تحتاج الى صبر يعقبهُ فرج ونجاح وبلوغ المنى

ولا بد لمن اعطي ميلاً فطريًّا الى هذه الصناعة وجرى بموجب هذه الملاحظات واستعمل الجد والمواظبة من النجاح اخيرًا في تحسين خطهِ ان لم يكن في اتقانهِ تمام الاتقان

وهذه قصيدة ابن البواب التي يذكر فيها صناعة الخط وموادّها

يا من يُريد اجادة التحريرِ ... ويروم حسن الخطّ والتصويرِ
ان كان عزمك في الكتابة صادقًا ... فارغب الى مولاك في التيسيرِ
أعدد من الاقلام كلّ مثقفٍ ... صلبٍ يصوغ صياغة التحبيرِ
واذا عمدت لبريهِ فتوخّهُ ... عند القياس باوسط التقديرِ
انظر الى طرفيهِ فاجعل بريهُ ... من جانب التدقيق والتحصيرِ
واجعل لجلفتهِ قوامًا عادلاً ... يخلو من التطويل والتقصيرِ

والشق وسّطهُ ليبقى بريهُ من جانبيهِ مشاكل التقديرِ
حتى اذا اتقنت ذلك كلهُ اتقانَ طبٍّ بالمراد خبيرِ
فاصرف لرأي النطّ عزمك كلهُ فالنطُّ فيهِ جملة التدبيرِ
لا تطمعنّ في ان ابوح بسرهِ اني اضنُّ بسرهِ المستورِ
لكنّ جملة ما اقول بانهُ ما بين تحريف الى تدويرِ
وألِقْ دوانك بالدخان مدبرًا بالخلّ او بالحصرم المعصورِ
وأضف اليهِ مغرة قد صُوّلت مع اصفر الزرنيخ والكافورِ
حتى اذا ما خمّرت فاعمد الى الورق النقيّ الناعم المخبورِ
فاكبسهُ بعد القطع بالمعصار كي ينأى عن التشعيث والتغييرِ
ثم اجعل التمثيل دأبك صابرًا ما ادرك المأمول مثل صبورِ
ابدأ بهِ في اللوح منتضيًا لهُ عزمًا تجرّدهُ عن التشميرِ
لا تخجلنّ من الرديّ تخطّهُ في اول التمثيل والتسطيرِ
فالامر يصعب ثم يرجع هينًا ولربّ سهل جاء بعد عسيرِ
حتى اذا ادركتَ ما أمّلتهُ اضحيت ربّ مسرةٍ وحبورِ
فاشكر الهك واتبع رضوانهُ ان الاله يحب كل شكورِ
وارغب لكنك ان تخطّ بنانها خيرًا تخلّفهُ بدار غرورِ
فجميع فعل المرء يلقاهُ غدًا عند التقاء كتابهِ المنشورِ

الفصل الثاني

الاملاء

جاء في دائرة المعارف ما نصهُ "الاملاء هو ان يتكلم المعلم في المدرسة او يقرأ شيئًا من كتاب فيكتبهُ التلاميذ اما لجمع بعض القواعد او لتعليمهم ضبط الكتابة والتهجئة وقد صار الآن في المدارس فرعًا من فنون التعليم"

ونريد بالاملاء هنا الفصد الثاني اي تعليم ضبط الكتابة والتهجئة . فالاستعداد المقتضي لك كتلميذ ان تهيئ دفترًا تحفظهُ نظيفًا من لطخ الحبر وترتّب سطورهُ مستقيمة متعادلة الابعاد . وقد اعتاد البعض ان تكون كتابة التلميذ على الصفحة اليمنى وبعد اصلاحها تُبيَّض على الصفحة اليسرى المقابلة . واذ يشرع المعلم في الاملاء جملة فجملة يكررها بقدر ما يرى لزومًا لذلك والتلاميذ يقيمقبونهُ . فكن في اثناء ذلك متيقظًا منتبهًا لئلا تفوتك كلمة او حرف من كلمة . ولتسهيل ذلك ليكن استعدادك تامًّا قبل الاملاء من تهيئة الدفاتر والاقلام والدواة والورق النشاف ونحو ذلك . وان تباطأت في استيعاب نطق المعلم احتجت الى مراجعتهِ بالسؤال واذا كان كثيرون في الصف من امثالك تزعجون المعلم

وتقلقون العمل . فاستغنِ ما قدرت عن كل سبب ازعاج واضاعة الوقت . وهنا احذّرك مما فاتهُ مرارًا انهُ افضل لك ان تفوتك جملة بدون كتابة من ان تأخذها عن رفيقك بينما لا يسمح المعلم بذلك . كن شريف المبدإ حتى في اقل شيء . واذا غلطت او تركت شيئًا مما أُملي عليك فلا تحوّل التبعة عنك فتلقيها على المعلم مدّعيًا انهُ هو قال هكذا . فان في ذلك عُجْبًا منك وتخفيضًا من مقام استاذك فتكون قد شهدت على نفسك انك غير قابل الاكتساب . واعلم انك قد تستفيد من اغلاطك ان تمعنتَ بها وكررت اصلاحها الان ما غلطت فيهِ يرسخ في ذهنك الى امد طويل فتتحفّظ من السقوط فيهِ مرّةً اخرى . قال بعضهم "الناس يتعلمون الحكمة من الخيبة اكثر مما يتعلمونها من النجاح لانهم كثيرًا ما يعرفون المفيد اذا عرفوا غير المفيد . ومن لا يغلط لا يتعلّم"

لابدَّ من ان المعلم يختار لكم قطعًا نفيسة فاحفظ دفتر املائك لانهُ يحتوي ما هو مفيد . ومتى تمرّنت كفايتك وقلّت غلطاتك او بلغت درجة التهجئة المضبوطة يرقونك الى درجة اعلى

الفصل الثالث

استظهار وتلاوة قطع منتخبة

قبلما تنتقل الى صف المنشئين من التلاميذ تمرن وقتًا في استظهار قطع منتخبة من كتب مختلفة وتلاوتها في محفل الخطابة. وهنا لا تتعرض لحسن الالقاء او الحركات والاشارات ونحوها فانك تجد ذلك في الكلام عن الخطابة. وما اشير بهِ عليك هنا هو هذا: اما ان يختار لك المعلم ما تتلوهُ او انهُ يفوّض اليك امر الانتخاب فان كان الاول فاقبلهُ كما هو ولا تجادل المعلم في حسنهِ وموافقتهِ لان خبرتهُ وسعة اطلاعهِ تجعلان منتقاهُ افضل من منتقاك. وان كان الثاني فلا ترضَ بما تصل اليهِ يدك كيفما اتفق بل فتّش وابحث قدر مكنتك واختَر من الكتب ما كان بليغ العبارة ذا معانٍ طلية مفيدة وافضل ما يكون ما جاء منها في موقف الخطابة لعلماء او قواد مشهورين. واضبط القراءة بالشكل الكامل. وليكن طول القطعة على قدر ما تستطيع اتقان استظهارهِ. وبعد اختيار القطعة واستحسان المعلم اياها اشرع في الاستظهار مترقبًا كل فرصة للمراجعة فلا تكتفِ بما يقتضي لدرس مثالة اعتيادية لان الخجل الناتج عن مراجعتك الالفاظ والتمخج وتكلّف

السعال والتمتمة والتوقف امور لا نريدها لك اذ يُسقط في يدك وتظهر عليك شارات التقصير فتُستهجَن تلاوتك فضلاً عن ان هذا يمنعك من الحرية في التلاوة. ومع ذلك اذا سقطت مرّةً او اكثر في ظروف صعبة كهذه فلا تقنط بل عاود الاجتهاد ولا ترضَ لنفسك الاّ بثناء معلمك واستحسان سامعيك

يميل التلاميذ في الغالب الى انتقاء القصائد اما لمحبة الرنّة الشعرية في التلاوة او لان استظهار القصائد اسهل او لرغبة خصوصية في هذا الفنّ. فانا لا ارى منع ذلك لكن لا تُفرِط فيهِ بل اكثِر من المنثور البليغ فانهُ بموقف الخطابة ألْيَق

وبعد ان تتقن هذا الفرع ترتقي ايضاً الى ما هو ارفع

الفصل الرابع

الانشاء

اننا نبسط الكلام في هذا الموضوع الخطير وان اقتضى بعض التطويل لانهُ يتضمن زبدة اختبارات وتحصيل التلميذ وهو محك لافهام الكتبة فعلى الطالب ان يفيهُ حقهُ من الاهتمام بشأنهِ

يطلب من التلميذ الذي ارتقى الى صف المنشئين ان يقدّم انشاء في اوقات قانونية على موضوع يعيّنهُ لهُ الاستاذ او يختارهُ

هو لنفسهِ . وهذا كواجب لا مفرَّ منهُ وكونهُ كذلك مفيد جدًّا لان التلميذ الذي دخل حديثًا المدرسة ولم يعتَدْ الانشاء يعسر عليهِ حصر افكارهِ في الموضوع وبسط الكلام فيهِ نظرًا لقلة بضاعتهِ وعدم استعدادهِ لاختراع الافكار وسبك الجمل على هيئة مقبولة . وسواءٌ صعب عليك الانشاء ام سهل يجب ان لا تتأخر عن تقديم ما يطلب منك في اوقاتهِ المعينة وان استعفيت او ابديت تقصيرًا يخشى ان لا تفلح في هذا الفنّ . الاَّ انك متى مارست الانشاء مدَّةً سهلت امامك عقابهُ وهانت صعابهُ وهكذا تتقدَّم درجة بعد اخرى في التحسين والاتقان

المبحث الاوَّل

الاستعداد للانشاء

" نظر بعض الحكماء في صعوبة تعليم الصغار الانشاء فاتفقوا على ان احسن طريق ان يأتي المعلم تلاميذهُ بكتاب فيهِ كثير من الصور ويريهم احداها ويسألهم عن اسمها واسماء اجزائها ويسمّي لهم ما لا يعرفون اسمهُ ثم يسألهم عن وصفها بالتفصيل "

وان كانت هذه الطريقة مخصوصة بتمرين الصغار فانها مفيدة للمبتدئين في الانشاء عمومًا . وعلى كل حال يجب على طالب

الانشاء ان يدرّب نفسهُ على الملاحظة الدقيقة في كل امر حافظًا في ذاكرتهِ ما يمرُّ بهِ من الحوادث والاحاديث والمشاهدات الى وقت الحاجة مفتكرًا انهُ ربما يكتب عن هذا الامر يومًا ما . ومن اكبر علل التفاضل بين الناس عدم تساويهم في الملاحظة قال المثل المسكوبي: "ان عديم الملاحظة يطوف الغابات ولا يرى فيها خشبًا يصلح للوقود" . وقال الجامعة : "الحكيم عيناهُ في رأسهِ اما الجاهل فيسلك في الظلام" . ولا يكتفِ طالب الانشاء بملاحظاتهِ الشخصية بل عليهِ ان يدرس ملاحظات الآخرين ايضًا . وذلك يتم بمجادثتهم ومعاشرتهم وحضور محافل الخطب والمحاكّات العمومية الحميدة المقاصد ويدرس مؤلفات العلماء المشهود لهم بطول الباع وسعة الاطلاع

المبحث الثاني

لغة الانشاء

لابدَّ للمنشيء من ان يكون لهُ المام كافٍ بقواعد لغتهِ او اللغة التي يكتب فيها عداها ليعتصم ما امكنت الانسان العصمة في كتابتهِ . فيجب عليهِ اولاً ان ينتقي الالفاظ الصحيحة الفصيحة العذبة الرقيقة او الجزلة حسبما يقتضي المقام . وان يتنكَّب عن الالفاظ الخشنة

الوحشية خلافاً لمن زعم ان الفصاحة في غريب اللفظ . ومن جهة اخرى اترك الالفاظ المبتذلة الركيكة فانها تذهب ببهجة المعاني الحسنة . ومتى اخترت اللفظ الحسن فاعتمد على فطنتك في تنسيقهِ وتركيبهِ على نمط لا تشوبهُ معهُ آثار التكلُّف ولا تظهر عليهِ سمات ضعف التأليف . وبعد اتقانك كل ما تقدم خذ ما ركَّبتهُ وضعهُ في مواضعهِ حسبما تقتضي مقامات الكلام . ولا تولع في اتّباع الاسجاع فتطربك رنَّاتها فانَّ فيها كلفةً وما جاء منها عفواً فمقبول والاَّ فاليك عنها الى النثر المُرسل الذي تتدفق فيهِ الافكار تدفُّق السيول . وعليك ان تصرف جلَّ اعتنائك الى اتقان ثلاثة مواضع من انشائك وهي المبدأ والتخلص من موضوع الى آخر والختام

قال موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي "اجعل كلامك في الغالب بصفات ان يكون وجيزاً فصيحاً في معنًى مهم او مُستحسَن . فيهِ الغازٌ ما او ابهام كثير او قليل ولا تجعلهُ مهملاً ككلام الجمهور بل رفعهُ عنهم ولا تباعدهُ عليهم جدًّا" . وقال آخر "ان البليغ من يحوك الكلام على حسب الاماني ويخيط الالفاظ على قدر المعاني" . وقيل لاعرابي "من ابلغ الناس" قال : "افهمهم لفظاً واحسنهم بديهةً" . وقال الامام فخر الدين الرازي في البلاغة "انها بلوغ الرجل بعبارتهِ كنه ما يقول بقلبهِ مع الاحتراز عن الايجاز المخلّ والاطناب المملّ"

البحث الثالث

كيفية الانشاء

هذا سرٌّ ليس باستطاعتي البوح به انما نوجد ملاحظات تحسن مراعاتها في الانشاء نأتي على بيان بعضها

اولًا : إختر من الوقت ما تكون فيه افكارك رائقة وعقلك منزّهًا عن شاغل يشغله وكن في ذلك منفردًا بنفسك ان امكن في محلٍّ تطيب فيه النفس وتنتعش الذاكرة . واحسن وقت من النهار اوله ومن الليل آخرهُ اذ تكون الافكار رائقة والطبيعة هادئة فتجري القريحة باختراع المعاني على اسلوب لطيف

ثانيًا : بعد ان تكون قد راعيت ما مرَّ ذكرهُ واخذت في الانشاء فان اعتاص عليك ابداء المعاني الحسنة بألفاظ صحيحة عذبة فلا تجبر نفسك على الانشاء لئلاَّ يجيء ركيكًا عريًّا من الطلاوة متقطعًا في معانيه متنافرًا في تركيبه . وقد لا تسمح الذاكرة بابداء شيء على الاطلاق . وهذا الامر غير نادر الحدوث بل كثيرًا ما يصيب مهرة المنشئين وحذاق الكتّاب . حُكي عن الامام الحريري انهُ لما انكر عليه بعض ادباء بغداد تصنيف مقاماتهِ

استحضرهُ الوزير جمال الدين عميد الدولة وزير المسترشد الى الديوان واقترح عليهِ انشاء رسالة في واقعة عيَّنها . فانفرد في ناحية الديوان واخذ الدواة والورقة ومكث زماناً كثيراً فلم يفتح عليهِ بشيءٍ من ذلك فقام وهو خجلان

ثالثاً : وان رأيت نفسك مرتاحة الى الانشاء واختراع الافكار فعليك ان تتصوَّر ما انت مزمع ان تنشئ عنهُ وترتب اقسامهُ على ورقة حافظاً ذلك كرؤوس اقلام تتكلم عنها في اثناء الانشاء . واتباع هذه الطريقة بقي من العربسة في الكلام وكم يشرد بدونهِ المنشئ عن الموضوع فيطيل حيث يجب الاختصار او يأتي الامر بالعكس

رابعاً : اجتنب السرقة فانها خلَّة ذميمة ضلَّ من اتَّبعها سبيلاً . ومن مارسها فقد الاعتماد على نفسهِ لاعتيادهِ الاتكال على افكار الغير ولا يخفى عملهُ على ذوي البصيرة . نعم لا يقدر كلٌّ على ابتكار المعاني الجديدة ولكن يمكن الانسان بمعانٍ وافكار اقتبسها الانسان من دروسهِ ومطالعاتهِ على اسلوب جميل بحيث تظهر كأنَّها افكار جديدة مبتكرة . بل ينبغي قبل الشروع في الانشاء ان يكون المنشئ قد طالع عدة تآليف ورسائل في الموضوع المقطوع التكلم عنهُ وجمع ما وافقهُ على هيئة جديدة حسنة وان رام نقل عبارة او قطعة برمَّتها فعليهِ ان يضع علامة او يشير الى ذلك تنويهاً بان هذه العبارة او القطعة المنقولة لغير الكاتب . وهذه

طريقة محمودة بين المنشئين ولا يُلام متَّبعها

خامسًا : بعد ان تنتهي من انشاء الموضوع أَعِد فيهِ نظر الاصلاح ولا تضنَّ عليهِ بملاحظة المنتقد واحسبهُ اذ ذاك انهُ تأليف غيرك عُرِض عليك لانتقادهِ واصلاحهِ وكرِّر ذلك مرارًا عديدة حسب الاقتضاء حتى يأتي انشاؤُك متقنًا سليمًا من انتقاد كل مناظر . ويجمل بالمنشىء ان يوجب على نفسهِ ما اوجبهُ بعض الادباء على الشاعر اي " ان يهذِّب كلامهُ وينقحهُ ويراجعهُ بالنظر والفكر فيسقط ما يجب اسقاطهُ ويصلح ما يتعين اصلاحهُ ويحرِّر الفاظهُ ويبين اغراضهُ ومعانيهُ بحيث لا يقال فيهِ لو كان غير هذا لكان احسن ولو زيدَ هذا لكان يستحسن " . ويناسب ان تعرض انشاءك على غيرك ولو كان دونك معرفة

فالعين تنظر منها ما دنا ونأى ولا ترى نفسها الاَّ بمرآةِ

سادسًا : ان العادة في المدارس بعد اكمال التلميذ انشاء الموضوع المعطى لهُ ان يعرضهُ على المعلم المنوط بهِ امر الإصلاح ليقف عليهِ ويرى مواقع الضعف فيهِ فيشير اليها ويُصلح الاغلاط اللغوية . وفي ذلك فائدة كبيرة للتلميذ اذ بواسطتهِ ترسخ الملاحظات اكثر مما لو أُعطيتْ شروحًا على الدروس اللغوية . ولذلك يجب ان تنتبه . لا تحتَجْ الى اصلاح غلطة من نوع واحد اكثر من مرَّة واحدة . واذ يعيبهُ لك المعلم عليك ان تبيِّضهُ مصحَّحًا

على دفتر خصوصي نظيف . والامانة تقتضي عدم تحوير شيء في الانشاء بعد وقوف المعلّم عليهِ فان الكبر والنفور من اصلاح الاغلاط حاجز يمنعك من الاستفادة في انشائك . نعم يحق لك ان تراجع المعلم وتستفسرهُ كل اصلاح لتعرف الاسباب وفي ذلك مضاعفة الفائدة . واحذران تكون من صف الذي لا يدري ولا يدري انهُ لا يدري فقد قيل فيهِ "ذاك جاهل فارفضوهُ"

البحث الرابع

التلخيص

التلخيص هو ان تعمد الى رسالة او مقالة فتدرسها بامعان وتدقيق وتقف على غوامضها ومقاصدها حتى تمتلك ناصيتهـا . وحينئذٍ تختار الاجود من مباحثها فتسبكهُ مقالة وجيزة تجمع فيها زبدة صفحات في اسطر قليلة . وهذا العمل وان كان لا يقتضي اشحاذ قوى العقل في ابتكار الافكار والمعاني يحتاج الى ذكاء عظيم في تمييز الغثّ من السمين وجعل المختار مما لخصتهُ ملتحمًا بعضهُ ببعض . وهكذا لا يفوتك معنًى مهمّ او مغزًى طليّ في ذاتهِ . ولكن اذا اخطأت الغرض فلفّقت اسطرًا اقتطعتها من كل وادٍ عصًا لا تأتي شيئًا خليقًا بالالتفات . والتلخيص يقتضي تمرينًا وعناء ليس دون التأليف الاصليّ . ولا يسوغ مطلقًا ان تلخص مقال

غيرك فتتحمله لنفسك ولو مهما كلّفك من العناء فانت باقٍ ملخّصًا لا مؤلّفًا والفضل للمتقدم . ولا يجوز للملخّص ان يمسخ او يحرّف او يحوّل او يفسد باي طريقة كانت شيئًا من المبنى الاصلي لان الامانة تنافي ذلك . ولله درّ ابي الطيب المتنبي حيث قال واجاد ما شاء

ورأس مالي سحرُ الكلام الذي منهُ يصاغ القريض والخُطَبُ
اغوص في لجة البيان فاختار م اللآلي منهـــا وانتخبُ
واجتني اليانع الجنيّ من القول م وغيري للعود يحتطبُ
وآخذ اللفظ فضةً فاذا ما صغتهُ قيل انهُ ذهبُ

البحث الخامس

التعريب

جاء في النشرة الاسبوعية الغرّاء ما نصهُ : قال الصلاح الصفدي والمترجمة في النقل طريقان :

احدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصيّ وغيرهما . وهو ان ينظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدلّ عليهِ من المعنى فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل الى الاخرى

كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه . وهذه الطريقة رديئة لوجهين احدهما انه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الالفاظ اليونانية على حالها . الثاني ان خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائمًا وايضًا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهي كثيرة في جميع اللغات

الطريق الثاني في التعريب طريق حنين بن اسحق والجوهري وغيرهما وهو ان يأتي الجملة فيحصّل معناها في ذهنه ويعبّر عنها في اللغة الاخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الالفاظ ام خالفتها وهذا الطريق اجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن اسحق الى تهذيب الاّ في العلوم الرياضية لانه لم يكن قيّمًا بها

قلنا يُختار الطريق الثاني في ما ليس من الاقوال الالهية التي هي الحجة في العقائد والاعمال فهذه الطريق الاول اولى بها

الفصل الخامس

(١) مقتطفات في الخطابة

ان الخطابة لا تليق بغير من ... الفاظه درٌّ ومعناها ذهب
او ناسجٍ طُرَفًا سداها حكمةٌ ... ووشيها علمٌ ولحمتها أدب[1]

(١) للعلامة ابرهيم الحوراني

الخطاب في اللغة توجيه الكلام نحو الغير للافهام . ثم نُقِل الى الكلام الموجه نحو الغير للافهام ... وهو من اعظم الآلات المدنية والدينية والعلمية فانهُ الواسطة المتأثير في العقول والقلوب فكأنهُ سوط يساق بهِ الى الاعمال او قيد يقيّد بهِ الناس عنها . وللخطاب في الاديان حوادث ذات اهمية . وقد اعتنى بهِ اعتناءً كثيرًا اهالي هذا العصر مرتجلاً ومكتوبًا ولاسيما المجالس العامة والمحاكمات والاجتماعات والجرائد (١)

(٢) منطق الخطابة

قال شيشرون : " حسن المنطق يتوقف على كل القوى الظاهرة والباطنة " . ولقد اجاد بذلك لان الفصاحة تقوم باظهار كل قوى الانسان العقلية والجسدية والخطاب الحسن يحتاج الى اجتماع العقل والجسد معًا فقد يكون الخطاب فصيحًا نظرًا للّفظ والمعنى ولا تأثير لهُ لقبح النطق . ويتضمن المنطق الحسن اربعة امور

(١) الصوت : قوام الخطاب وركنهُ الاعظم ويتوقف حسن المنطق على كمالهِ وترتيبهِ وتقويتهِ فالاصوات غير القابلة التقوية والتحسين قليلة وما كان من الاصوات قبيحًا ضعيفًا طبعًا قد يحسن

(١) دائرة المعارف

بالممارسة فانها تقوّي الصوت الضعيف وتحسن القبيح وتقوّم المعوج وتزيد الحسن تأثيرًا وفعلاً . ومن الشروط لتقوية الصوت وتحسينهِ ان يكون طبيعيًا بلا تكلُّف وان يحافظ على صفائهِ لان صفاءهُ ألبق بالخطيب من شدتهِ وان يعوّد الخطيب صوتهُ التغيير والتنويع

(٣) اللفظ : المقصود باللفظ هنا اظهار كل حرف ومقطع وكلمة وجملة اظهارًا كاملاً لمنع الالتباس عند السامعين

(٤) الاجهار : الاجهار في التكلم حسن ولا يقوم بمجرد الاظهار ورفع الصوت بل لا بدَّ لهُ من التنوُّع الكثير في الالحان والاصوات . والاجهار يكون في الكلمة والجملة والكلام واما النبرة فتكون في الكلمة ومقاطعها

(٤) الحركة والاشارة

الاشارة امر طبيعي في الانسان حين يتكلم بدليل ان الولد الصغير يتحرك ويشير في التكلم فمن اراد ان يرى الحركة الطبيعية في التكلم فليلاحظ حركات الاولاد لانها فيهم خلق بلا تكلُّف ومناسبة وموَّثرة . والحركات والاشارات تزيد قوة الكلام بالاجماع . والاختلاف في انهُ هل يليق تكثيرها او تقليلها في التكلم والسامعون يختلفون ذوقًا في هذا الامر . وكيف كانت الحال لابد من الحركة في الخطاب لانهُ ليس في الالف واحد يقدر ان يستغني

بقوة افكاره عن اظهار المراد بالحركة الجسدية ومن سجية اهل الشرق ان يشيروا ويتحركوا كثيراً في الكلام في مخاطباتهم المعتادة ومخاطباتهم ذات الشأن . والقانون البسيط في الامر هو ان تكون الحركات والاشارات بلا تصنع وتكلف كحركة الاولاد واشاراتهم كانها من طبع المتكلم وليس من مراعاة قوانين علمية بشرط انها لا تتجاوز حد الاعتدال . ومن كان يميل كل الميل الى الاكثار منها فليجتهد في ان يجعلها متوسطة موافقة للفكر والمعنى . ومن كان يميل الى تركها فليعوّد نفسه اياها بدون تكلف لانها ان لم تكن طبيعية فُضّل عدمها على وجودها (١)

(٤) كيفية الحركات والاشارات

انهُ يجب الهرب من الحركات غير المهذبة او التي تكون على نسق واحد . ففي حركة الايدي اعتيادياً ينبغي تحريك اليمنى واما اليسرى فينبغي تحريكها للاشارة الى الاشياء الموجودة شمالاً او المختلفة والمنفصلة والمتضادة والمتقابلة . ولا يجوز ان ترفع اليد الى ما فوق الراس ولا ان تبقى امام الصدر . وفي الفاتحة والعبارة الاولى يجب ان لا يتحرك الخطيب وفي الجملة الثانية يمكنهُ ان يبتدئ

---

(١) جلاء اللحظ في علم الوعظ للدكتور هنري جسب الاميركاني

بتحريك يديهِ فقط . وليحذر عند عدم تحريك اليدين ان يضعهما على خاصرتيهِ او يحولها وراء ظهرهِ . ثم ان حركة الراس يجب ان تقاس على حركة اليد وتميل حيث توجه اليد فعلها الاَّ اذا ابان الخطيب انهُ يشمئز من شيءٍ فحينئذٍ يجب ان تتجه حركة الراس الى عكس ما تتجه اليهِ حركة اليد . ومن عدم النظام اعوجاج الراس وتحريكهُ بكثرة او رفعهُ دائمًا او خفضهُ او احناؤُهُ نحو الصدر او اتجاههُ دائمًا الى موضع واحد . واما العينان فاغماضهما ينقص في الخطيب ومثلهُ انخفاضهما دائمًا او التحديق بهما نحو جهة واحدة . ثم ان الاعين يجب ان ترافق حركة الراس . واما الوجه فينبغي ان يختلف باختلاف المادة التي يكون فيها الكلام مثلاً انهُ يظهر الحزن في الاشياء المقترنة بالخوف . والرزانة في الاشياء المعتبرة والفرح في ما كان مفرّحًا . واخيرًا يجب ان يكون انتصاب الجسد باحتشام (١)

(٥) تهذيب النفس في الخطابة

اليك مثال امام الخطباء ديمستنيس اليوناني الشهير . فانهُ مال الى الخطابة اذ كانت واجبة على من اراد ادارة الامور

(١) روضة الواعظ ترجمة المرحوم الخوري انطون آصاف

في اثينا لكنهُ كان ضعيف الصوت والبدن وحركاتهُ غير موافقة فلما حاول الخطاب اولاً لم يحسنهُ فضحكوا بهِ والفي مثل ذلك كثيرًا الاَّ انهُ واظب على الدرس والتمرين والتهذيب لتجنُّب النقائص فقيل انهُ كان ينفرد اياماً في مغارة يزاول الخطابة وحلق راسهُ لكي لا يخرج لانهم كانوا يستحيون من ذلك وكان يضع في فمهِ الحصى عند التكلم فيتكلم بصعوبة فيضطرّ الى احسن الاجتهاد في اللفظ وبهذا احكم بيان الكلام . وكان احيانًا يخاطب البحر عند اضطرابهِ ليعتاد الضجيج فلا يسوءهُ لغط الجماعات وكان يزاول الاشارات والحركات لتكون موافقةً لكلامهِ ولم يقتصر على الاعتناء بهذه الامور بل كان يطالع احسن المؤلفات . قيل انهُ استظهر تاريخ ثوسِدِديس وقرأ على المعلمين المشهورين فبلغ المراد بالمواظبة والاجتهاد واصبح عالمًا فصيحًا فاق المتقدمين والمتأخرين فكان اذا قام في مجمع وخطب اصغوا اليهِ كل الاصغاء بسرور عظيم وتأثروا من كلامهِ تأثرًا غريبًا (١)

ويقاربهُ ما رُوي عن دزرائيلي الشهير انهُ لما دخل مجلس النواب وخطب فيهم الخطبة الاولى ضحكوا على كل جملة منها هزءًا بها ولكنهُ ختم خطبتهُ بهذه الجملة التي تُحسَب انباءً بما وصل اليهِ وهي قولهُ " اني شرعت في امور مختلفة مرارًا كثيرة ولم انفكّ

(١) النهج القويم في التاريخ القديم

عنها حتى نجحتُ فيها النجاح المطلوب فسيأتي وقت تسمعونني فيه برضًى". فقد جاء الوقت المشار اليه وصار كل اهل المسكونة يسمعون لقول هذا الرجل العظيم الذي قرن العزم بالحزم وفتش عن عيوبه واصلحها ودرس اطوار سامعيه ومارس الخطابة طويلاً وملأ رأسه بما يحتاج اليه من المعارف ففاز بامانيه وضحك له مجلس النواب بعد ان ضحك عليه وكان حينئذٍ اعظم الخطباء (١)

مصايد العقول في الخطابة

أنكر على وزير انكلترا شمبران خطيب من قومه مأتاهُ الذي جرّ الى الحرب بين انكلترا والترنسفال ووصف هذه الحرب بانها ظلم ودناءة فردّ الوزير عليه في موقف الخطابة وكان اعظم سبيل تخيّرهُ في الرد عليه انهُ اثار عليه كل نفس رزئت في حبيب لها في دار القتال بتنبيهها الى ان وصف الخطيب الحرب بانها ظلم ودناءة لا يليق بالابطال الذين اراقوا دماءهم الكريمة في ساحة القتال فانقادت للوزير نفوس جميع الذين صبّت عيونهم دمعًا سخينًا. كانت شبكة الوزير لصيد تلك النفوس وبمثلها يكون دهاء الخطباء (لسعيد افندي بستاني)

---

(١) سر النجاح ترجمة الدكتور يعقوب صروف

غريبة في الخطابة

من اغرب ما روي عن سحبان وائل انهُ كان اذا خطب يسيل عرقهُ ولا يزيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ. وقد خطب مرَّة امام معاوية منذ صلاة الظهر الى ان قامت صلاة العصر ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا ابتدأ في معنى وخرج منهُ وقد بقي عليهِ منهُ شيءٌ وما زال على هذه الحال حتى اشار اليهِ معاوية بيدهِ فاشار الى معاوية ان لا تقطع عليَّ كلامي فقال معاوية الصلاة قال هي امامك ونحن في صلاة وتحميد ووعد ووعيد فقال معاوية انت اخطب العرب قال سحبان والعجم والجن والانس (١)

انتقاد امرأة لخطيب

قيل ان احدى النساء عابت بعض الخطباء كثيرًا. فقيل لها على مَ تعيبينهُ. قالت على ثلاثة. الاول انهُ يقرأُ خطابهُ. الثاني انهُ لا يُحسن قراءتهُ. الثالث ان ذلك الخطاب لا يستحقُّ القراءة (٢)

---

(١) دائرة المعارف

(٢) النشرة الاسبوعية

الفصل السادس

تتمة الكلام في الخطابة

بعد استعدادك التام في تأليف الخطاب ومراجعته وتنقيحه وتصحيحه ودرسه والتمرّن الكافي في تلاوته مستقلاً او بملاحظة احد الاساتذة بحيث صار يمكنك القيام بكل ارتياح وحرية بدون تقيد وعربسة وحبذا لو تمكنت من استظهاره ولكن ليس ذلك بالامر الضروري الاّ انهُ يعتقك من تقييد النظر في الورق ويكسب منطقك وحركاتك طلاوةً . فبعد انتهاء كل ما ذُكر وحينونة وقت الخطابة انتصب بجرأةٍ ورباطة جاش وامشِ نحو المنبر دون خفة ولا ارتعاد . واذ تقف امام الناس صوّب نحوهم نظرًا ثاقبًا واحنِ راسك وأَعلى جسمك قليلاً لا عن تكبر وشمم ولا عن تذلل وانكسار . ولا تبعد الفسحة بين رجليك ولا تضيّقها اكثر مما يلزم للوقفة الطبيعية ويحسن ان تقدّم الرجل اليسرى قليلاً بدون ان يظهر اثر للتكلف على اي شيء يبدو منك . ولا تشرع تتوكأُ على ما امامك فان ذلك دليل الرخاوة في همتك . وفي هذه الحال لتكن نفسك منتعشة ومدفوعة بغيرة وجرأة وليكن ما تقولهُ طبق ما تعتقدهُ اذ يزيدك ذلك قوّةً في

التعبير. قال عامر بن عبد القيس "اذا خرجت الكلمة من القلب دخلت في القلب . واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان".
واترك الجبن نافضًا غبارهُ عنك لانهُ يورثك الانخذال ويذهب ببهجة خطابك ويحطُّ بمقام ما اجهدت نفسك في التعب عليه .
كما وان الخفة تحقّرك في عيون السامعين وتفقد مقالك الاعتبار الجدير به

اعتاد بعض الخطباء ان يتلطفوا كثيرًا متجاوزين حدَّ الاعتدال في اظهار التواضع فيصفون انفسهم بعدم المعرفة وذاكرتهم بالجمود وعقلهم بالقصور عن الادراك فيتجمّلون ما شاءوا في الاعتذار . ولكي يزيدوا الناس اعجابًا بذكائهم يطرّونهم بما يمكن اللغة التعبير عنهُ من الفاظ المدح والتبجيل الى غير ذلك مما لا طائل تحتهُ . اني ارى في نظري القاصر ان التقليل من ذلك ادعى الى القبول والاختصار انفع من التطويل

ويجمل ان تمزج خطابك بشيءٍ من النكات اللطيفة مخافة السآمة والملل ولكن لا بمقدار يجعلهُ سخيفًا ساقطًا . ان بعض التلاميذ يعتادون في بدء ممارستهم هذا الفن ابداء حركات غير ارادية في غير مواقعها وعلى نسق واحد فيجرون في تلاوتهم غير شاعرين بما يبدو منهم فتجنّب مثل ذلك . ومما يسقطك في عيون السامعين توقفك من وقت الى آخر للتفكر ان كنت تتلو عن ظهر قلبك .
لا تجهد نفسك من اول خطابك لئلا تفرغ قوّتك سريعًا فتعيي

اخيرًا ولا تقدر على اكمال الخطاب فابدأ بصوت معتدل ثم اخفض او ارفع حسبما يستدعي المقال . توجد امامك تجربة تخمد حاسات الغيرة فيك فاستعدّ لها لتقليل تأثيرها وهي فتور السامعين وانصراف انتباههم عنك فتجلّد واثبت جاريًا في كلامك ولا تعبأ بما يبدو منهم وربما بثبات جاشك واستمرار قوتك تعود فتسترعي اسماعهم وتجلب انتباههم . لا تعرض في كلامك بذم احد شخصيًا ولا تُشِر ولو تلميحًا الى شيء مخلّ بالآداب العمومية . اجتنب الكلام البذي خصوصًا في المناظرات واجتهد في تأييد الحق ليس غير كما تعتقدهُ انت . فلا يهمك ان تنتصر على مناظرك ولكن ليهمك جدًّا ان ينتصر الحقُّ وجلُّ ما يطلب منك في المناظرة ابداء كل ما يمكن تقديمهُ في الوجه الذي اخترتهُ او أُعطي لك

ولتكن مقاصدك مخلصة لدولتك ووطنك واخوتك في البشرية وراعِ افهام الناس في كلامك . وما هو من الاهمية بمكان تحلّيك بصفات حميدة تكسب كلامك قبولاً وتشهد على اخلاصك في ما تقوله . واذا استحسن الناس مقالك واظهروا استحسانهم بالتصفيق فلا تأخذك هزة الطرب فتبعث فيك خفة غير لائقة بل ابقَ رزينًا واحنِ راسك علامة الشكر واجرِ في خطابك كانهُ لم يكن شيء

واخيرًا اقول ان الاجادة متوقفة على كون الخطابة طبيعية لا صناعية وانقان الصناعة مفيد اذا خدم الطبيعة لا اذا استقلّ عنها

الفصل السابع

نظم الشعر

الشعر صعبٌ وطويل سلَّمُهْ اذا ارتقى فيهِ الذي لا يعلَمُهْ
زلَّت بهِ الى الحضيضِ قدَمُهْ يريد ان يعربهُ فيعجمُهْ

"الشعر كلام يقصد فيهِ التقفية والبناء على وزن مخصوص"

"وقرض الشعر علمٌ يعرَف بهِ كيفية النظم وترتيبهُ والاقتدار على انشائهِ بمقتضى قانون البلاغة". "وعلم العروض فنٌّ باصول يُعرَف بها صحيح اوزان الشعر من فاسدها" وضع لهُ الخليل بن احمد الفراهيدي خمسة عشر بحرًا وزاد عليها الاخفش بحر المتدارك. واصول هذا الفن واوزانهُ مذكورة في كتبهِ الخاصة. واما طرق الاجادة فيهِ فقد مرَّ معنا اهمها في فصل الانشاء فلتُراجَع هناك. الاَّ ان نظم الشعر يقتضي عنايةً اكثر لان سبلهُ وعرة لا يسلكها بسهولة الاَّ الحاذق اللبيب الذي أَلِفَ هذا الفن وتشرَّب الميل اليهِ قال ابرهيم الراعي

لا تقولوا الشعر سهلٌ انما الشعر سجيَّهْ

وقد كان للشعر شأن عظيم ايام كان الشاعر المجيد ياخذ على قصيدتهِ الدنانير الوهاجة والخلع السنية. اما الآن فكادت سوقهُ

تبور . الاَّ انهُ يوجد بعض الشعراء المجيدين ممَّن احكموهُ وبلغوا فيهِ مبلغًا عظيمًا . اما اذا نظرت الى عموم المتطفلين على موائدهِ فهنالك عدد لا يحيط بهِ حصر واكثرهم اتخذوا مهنة اللصوصية في ما جاء من منظومهم حسنًا ولكن اصحاب الذمة منهم الذين اقتصروا على ما تجود بهِ قرائحهم قد لا يأتون بما هو خليق بالالتفات .

قال ابو عثمان الصعيدي الخالدي

شعر عبد السلام فيهِ رديٌّ ومحالٌ وساقطٌ وبديعُ
فهو مثل الزمان فيهِ مصيفٌ وخريفٌ وشتوةٌ وربيعُ

وقال بعض الظرفاء

الشعراء في الزمان اربعَهْ فواحدٌ يجري ولا يُجرى معهْ
وواحدٌ يخوض وسط المعمعهْ وواحدٌ لا تشتهي ان تسمعه
وواحدٌ لا تستحي ان تصفعَهْ

وقال آخر

الناس مثل بيوت الشعر كم رجلٍ
منهم بالفٍ وكم بيتٍ بديوانِ

لا احب ان اخمد من همتك في الاشتغال بهِ ولكن انصح لك ان لا تضيع لاجلهِ وقتًا يمكنك ان تصرفهُ في ما هو اهم وافيد لمستقبلك . فاذا انست من نفسك ميلاً الى النظم فلا بأس لا تُمِت هذا الميل بل ربِّهِ واختلس الفرَص للممارسة . ويجب ان تراجع وتدرس وتحفظ قطعًا كبيرة من دواوين فحول الشعراء لكي تحذى طرقهم

واساليبهم ولا تخدّش اسماعك بالشعر الساقط . ومن المناسب اتباع اساليب الشعر العصري اللذيذ المفيد . ولا تباشر النظم الاّ متى شعرت بالارتياح اليهِ قال الفرزدق الشاعر الشهير "قد يأتي عليّ الحين وقلع الضرس عندي اهون من قول بيت شعر"

وقال آخر

انما الشعر بناءٌ ... يبتنيهِ المبتنونا
فاذا ما نسفوهُ ... كان غثًّا وسمينا
ربما واتاك حينًا ... ثم يستصعب حينا

واجعل الفاظهُ رقيقة عذبة قال الشيخ عبد العظيم بن ابي الاصبع انتخب للقريض لفظًا رقيقًا ... كنسيم الرياض في الاسحارِ
فاذا اللفظ رقّ شفّ عن المعنى م فأبداهُ مثل ضوء النهارِ
مثلما شفّت الزجاجة جسمًا ... فاخفى لونها بلون العقارِ

ولا تصرف كل عنايتك الى تحسين الالفاظ بل اجتهد في الاتيان بالمعاني الحسنة ولله در الشيخ ناصيف اليازجي حيث قال

وعمدة الشعر المعاني المعجبهْ ... عن حكمةٍ او ملحةٍ مستعذبهْ
واللفظ فيهِ خادم المعنى فلا ... تكن بتنميق لهُ مشتغلا

وقال بعضهم "احسن الشعر ما وضح معناهُ وحسنت معانيهِ والفاظهُ ولم يختلف في تركيبهِ عن النثر اي اذا اردت ان تحوّلهُ الى النثر لم تستطع ان تأتي بمعناهُ نثرًا بكلام مركب احسن من تركيبهِ". وما اشرنا اليهِ من انكار السرقة في الانشاء نشدّد عليهِ النكير في النظم

قال طرفة بن العبد البكري

ولا اغيرُ على الاشعار اسرقها غنيت عنها وشرُّ الناس من سرقا

ومما يساعد على امتحان الشعر ان يترنم به الشاعر قال حسان ابن ثابت

تغنَّ في كل شعرٍ انت قائلهُ ان الغناء لهذا الفن مضمارُ

وقيل ان اعذب الشعر اكذبهُ لان الشاعر يتكلف كثيرًا نسبة صفات لممدوحهِ لا توجد فيهِ مغاليًا في الوصف مكثرًا من الاطراء. وان هجا سلق بالسنة من نار وبالغ في السبِّ والمذمة وهكذا في سائر انواع النظم والصحيح الخالص منهُ قليل قال طرفة المذكور

وان احسن بيت انت قائلهُ بيت يقال اذا انشدتهُ صدقا

وما احسن ما قالهُ آخر

الشعر ريحان النفوس وانما ريحان روضتهِ الصحيح الجيِّدُ

وقد أنف بعضهم من الشعر فقال

لا تحسبنَّ الشعرَ فضلاً بارعًا ما الشعر الاَّ محنة ووبالُ

فالهجو قذفٌ والرثاء مناحةٌ والعتب ذلٌّ والمديح سؤالُ

على ان الشعر يحسب ريحانة النفوس ودواء الكروب ومن اعظم مهيجات الشجاعة والحماسة والكرم" وهو احد الفنون الجميلة. ولكنهُ لا يستحق هذه المنزلة الاَّ متى استكمل شروطهُ من جهة اللفظ والمعنى. فلا تتوهم ان اتقانك علم العروض يجعلك شاعرًا قد يوجد من هو اشعر منك ولا يعرف شيئًا من قوانين النظم. فكما

ان القواعد اللغوية لا تهب ملكة الانشاء كذلك حفظ قوانين النظم لا تصيّر الشاعر

الفصل الثامن

المراسلات

المراسلة للتلميذ من باب الانشاء العملي يكتسب بواسطتها تمرينًا مع قضاء الواجب المفروض . واول ما يجب عليك بعد دخولك المدرسة ان تكتب الى اهلك فتخبرهم عن اهم حوادث سفرك مطمئنًا اياهم عن بلوغك المدرسة بالسلامة ذاكرًا الصف الذي دخلت فيهِ والمشائل التي عينت لك شاكرًا لهم عنايتهم بك واهتمامهم بخيرك بارسالهم اياك الى المدرسة . هذا اول كتاب منك لاهلك وبعدهُ يجب ان تكتب لهم من وقت الى آخر لكي يبقوا مطمئنين عنك . انت تحب اهلك وترغب في ان تعرف عن احوالهم لتفرح لفرحهم وتحزن لحزنهم ولكن شتان بين اهتمامك بشأنهم واهتمامهم بشأنك . قلبك يميل نحوهم ولكن ابن هو من قلب الام الحنون الذي لا تبرح منهُ فيذكرك اناء الليل واطراف النهار لا تطيب لهُ لذّة ان لم تشاركهُ فيها فاشفق على ذلك القلب الحنون ولا تقطع او تُطِل اجل المكاتبة بينك وبين اهلك فانهم يحسبون لذلك الف حساب ويتقلبون على مجامر الصبر . وان حلموا ان قد اعتراك مرض ما يتمثل لهم الحلم حقيقةً فتضطرب

افكارهم ارحمهم ولا تحملهم هذا العناء بتاخير كتابك اليهم

ربما تحتجّ بكونك لا تعرف ان تكتب او تنشئ. هبكَ لا تعرف الكتابة مطلقًا فلا يمنعك ذلك من تكليف احد رفقائك ان يكتب لك ولكن لا تُطِل امد اعتمادك على الغير بل مرّن نفسك فان كان خطك رديئًا فلا بأس هو محبوب في اعين والديك. تهجئتك غير مضبوطة لا بأس لا تمنعك من الكتابة. لا تستثقل الانشاء فانك كما تستطيع التكلم في محادثتك الشفاهية عن احوالك هكذا اكتب في بدء الامر ومن ثم تتدرّج حتى تبلغ الدرجة المرضية. وللاستعانة وطلب الارشاد يليق ان تعرض مكاتيبك على المعلم ليصلح لك الاغلاط ويرشدك الى طرق الصواب. وفي بعض المدارس يحسب اطلاع المعلمين احيانًا على مكاتب التلامذة خصوصًا المبتدئين منهم من جملة القوانين المدرسية المطلوب اتمامها فان كانت الحال على هذه الصورة فراعِ القانون ولا تخف شيئًا بل اطلع المعلم على مـــا ترسله. ليس القصد من ذلك اطلاع المعلمين على الاسرار العائلية فان ذلك منافٍ للمبادئ الصحيحة بل لكونهم بمثابة والديك عليهم ان يرشدوك الى كل ما يؤول لخيرك ونجاحك. احذر حين تكون افكارك غير رائقة لسبب ما (الامر غير النادر الحدوث لكل تلميذ) ان تبثّ حاساتك في مكتوبك فتقلق افكار اهلك. انت بعد قليل تروق وترضى واما هم فيستمرّون في اضطراب الافكار حتى يرد عليهم مكتوب آخر

منك يطمئنهم فانت وهم في غنى عن انزعاج كهذا . انت مشتاق الى اهلك ولا لوم عليك ولكن لا تذكر لهم ذلك بافراط وتأوّه وانك لايقرّ لك قرار حتى تذهب اليهم او انك تستدعيهم لزيارتك على غير داعٍ . كل ذلك استغنِ عنهُ فانهُ يذهب براحة افكار اهلك والغاية من الكتابة اراحة الفكر لا ازعاجهُ

ارعَ الصدق في ما تكتب . لا تقل ان صحتي جيدة وانت لست كذلك ولا تخبر انك محبوب وناجح في راس الصف وانت دون ذلك لان هذا محض الكذب وبعد قليل يسألون الادارة عنك او انهاهي تكتب لهم فتخبرهم عن مركزك في المدرسة فتبتدئ تخجل . لا تعرّض في كتابك بذم المدرسة او المعلمين او احد التلاميذ فان ذلك من قبيل الكنود ونكران الجميل . حال كونك لا تريد ان يشيع احد مذمتك خارج المدرسة

قد حصرنا امر الكتابة بما يخص الاهل لانهُ هو الاولى والضروري ولكن لا نقتصر عليهِ بل اكتب بقدر ما يسمح لك الوقت الى اصحابك ومعارفك فالكتابة المتنوعة تكسبك تمرينًا اتمّ . وعلى هذا المنوال لا تنتهي السنة حتى ترى انك قد سرت شوطًا مهمًّا في التمرُّن على الكتابة . وحين تترك المدرسة في الفرصة يجب ايضًا ان تكتب الى رئيس المدرسة والمعلمين وتشكرهم وتخبرهم بما يعنُّ لك عن امورك فانهم يهتمُّون بالوقوف على احوالك وخيرك نظير والديك

الباب الثامن

الدرس الصناعي

الفصل الاول

الاشارة الى امهات الصنائع

اعلم ان الصنائع في النوع الانساني كثيرة لكثرة الاعمال المتداولة في العمران فهي بحيث تشذُّ عن الحصر ولا يأخذها العدُّ الاَّ ان منها ما هو ضروريٌّ في العمران او شريف بالموضع فنخصها بالذكر ونترك ما سواهـــا . فاما الضروريُّ فالفلاحة والبناء والخياطة والنجارة والحياكة واما الشريفة بالموضع فكالتوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب . فاما التوليد فانها ضرورية في العمران وعامة البلوى اذ بها تحصل حياة المولود وتتمُّ غالبًا وموضوعها في ذلك المولودون وامهاتهم . واما الطب فهو حفظ الصحة للانسان ودفع المرض عنهُ ويتفرَّع عن علم الطبيعة وموضوعهُ مع ذلك بدن الانسان . واما الكتابة وما يتبعها من الوراقة فهي حافظة

على الانسان حاجته ومقيدة لها عن النسيان ومبلغة ضمائر النفس الى البعيد الغائب ومخلدة نتائج الافكار والعلوم في الصحة ورافعة رتب الوجود للمعاني . واما الغناء فهو نسب الاصوات ومظهر جمالها للاعمال . وكل هذه الصنائع الثلاث داعٍ الى مخالطة الملوك الاعاظم في خلواتهم ومجالس انسهم فلها الذلك شرف ليس لغيرها . وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة وممتهنة في الغالب وقد يختلف ذلك باختلاف الاغراض والدواعي والله اعلم بالصواب[1]

الفصل الثاني

تدريس الصنائع

ان التدريس الصناعي يتمّ حسب الاصطلاح الجاري عمومًا بدخول الطالب تحت ادارة محترف مستعدّ في الصنعة المقصودة فيخدم في محلهِ الصناعي سنين متوالية يتنقل فيها على درجات الصنعة المتتابعة مع الحصول على اجرة مالية بمقدار ما تقتضيهِ الاحوال والاتفاق الى ان تساعدهُ التفادير على الاستقلال في محل يديرهُ هو ويجني ارباحهُ وتأتيهِ النوبة في تلمذة وتمرين الطلاّب كما تتلمذ وتمرّن هو في يومهِ وعلى هذا المنوال عاش وخدم ومات اسلافنا

(١) ابن خلدون

ويتمثل بهِ اكثر معاصرينا والحق يقال ان الصناعة المتناقلة على هذا الاسلوب لم تخلُ من التقدُّم والاتقان

قال الدكتور نثنائيل كلارك من مشاهير الولايات المتحدة "ان التهذيب العقلي وحدهُ لا يكفي ولا يناسب جميع الاحداث لمجرَّد هذه الغاية لان نتيجة ذلك محجنة في مصلحتهم الحقيقية ولان افضل الناس وانفعهم هم الذين تعلموا مع علومهم اعمالاً صناعية ولقد عرفت بان شهادة رؤساء المدارس تؤيد القول بان تلاميذ المدارس العلمية الذين يمارسون ايضًا اشغالاً صناعية يظهرون آدابًا افضل وشهامةً اشرف واستعدادًا اتمّ ممن سواهم وفضلاً عن انهُ بهذه الواسطة يتسهل القيام بقسم من نفقاتهم وبعض الاستغناء عن مساعدة الغير يكسبون من الرجولية والاختبار ما يمكنهم من القيام باعمال مهمة فيما بعد

وانهُ لمن الاوهام المقتضي اقتلاعها من افكار العموم ان لزوم التدريس الصناعي هو لاجل اهل الفاقة فقط وان ما يُصرَف في هذا العمل على اولاد الاغنياء يذهب ضياعًا فالشعب العبراني كان في زمان عزّهِ انموذجًا للعالم في حسن نظامهِ وجمال تدابيرهِ التي كان من جملتها قانون يقضي بتعليم كل ولد بدون استثناء صنعةً ما لعلمهم ان الثروة قريبة الزوال وان اشتغال العالم والمثري بالاعمال اليدوية يزيدها شرفًا ويكسبها فكاهةً ورياضةً وقد وضع قانونًا كهذا جملةً من كبار عصرنا حتى من

الأسر المالكة لانهم يأبون حصر معرفة اولادهم في الكتب فقط (١)

الفصل الثالث

كلمة الى تلميذ الصناعة

ان مدارس الصناعة حديثة العهد في بلادنا وقد شرع في احداثها وضمها الى الفروع العلمية جلّة من الافاضل الذين لهم اليد الطولى في نهضتنا الادبية ويؤمل كما هو القانون الطبيعي لكل تقدم حقيقي في المشروعات الحديثة تدرجها في مراقي الكمال والنجاح . وقد كنا نظن ان التلاميذ حيث تُضَم العلوم الى الصنائع نظرًا لنخفة العلم يأنفون من مد ايديهم لمسك ادوات الصناعة والاشتغال بها لكن الاختبار ارانا عكس ما توهمنا فقد وجدنا رغبة اكثر جدًا مما انتظرنا

اذا دخلت احدى مدارس الصناعة فلك ان تبدي رغبتك في الصنعة التي تفضلها على سواها من الصنائع الموجودة في المدرسة ولكي يتم مرغوبك من هذا القبيل يقتضي مخابرة رئيس المدرسة واستشارة الاهل وبعد المخابرة تُعيَّن في ما رُئِيَ انهُ

(١) من قلم الدكتور جورج فورد الاميركاني (سلاسل القراءة)

الاوفق . فاقبل بما تعيَّن لك وان كان مخالفًا لرغبتك لانهم بعد السير في مهنتك وقتًا ربما ينقلونك ان وافقت الظروف الى الصنعة المرغوبة لديك . هذا بشرط ان تمارس ما عُيّن لك اولاً بامانة واجتهاد والاَّ سددت بوجه نفسك باب الامل وبقيت متذمرًا متكلفًا تشتغل عن غير رضًا ورغبة واين يكون النجاح ممن يشتغل كذلك

ان النجاح في الصناعة متوقف على دقة الملاحظة فراقب المعلم كيف يمسك الآلات والادوات المصنوعة على اختلافها . الاَّ ان هذه الملاحظة لا تغني بالغرض اذ قد تظنُّ نفسك انك صرت تستطيع ان تشتغل مثل المعلم ولكن حين تجرّب ترى ان يدك لا تطاوعك على ذلك وحينئذٍ تدرك ان السر الاعظم هو في تمرين اليد مرارًا عديدة وعلى التوالي وكثرة الممارسة تربح المعرفة وتفوز بالنجاح . وقد لا ينجع فيك كلا الامرين ان لم تكن لك غيرة ورغبة ولذَّة في ما تعمله لان اليد المرتجفة انما تعمل للفشل ويد المجتهد هي التي تفوز . ربما تُعطّل الآلة وبعض المصنوعات بسببك فعليك ان تتحفظ ما امكنك التحفظ لكي لا تُتلف شيئًا . وان حدث فلا تأخذ تلفق اعذارًا كاذبة تخلصًا من تبعة الامر بل صرّح بشهامة بالسبب وعِدْ وعدَ حرٍّ بزيادة الانتباه والتيقظ . في ابتداء شغلك تعطى الاعمال البسيطة وتصرف وقتًا طويلاً في الاشتغال بها ومتى تمرّنت كفاءتك تعطى ما هو ارقى منها وقد لا يتيسر هذا دائمًا فتضطر

الى معاودة العمل في ما تعرفهُ فلا تستنكف منهُ لان فيهِ زيادة فائدة وتمرينًا اتم

اذا لم تغتنم الوقت للعمل في الصنعة لا تستفيد ما يستحق الذكر فأقبل على العمل بكل قوَّتك وانتباهك واعتنِ باتقان كل ما يسلم ليدك لتعمله بسيطًا كان او مركبًا فانك بذلك تؤهل نفسك لنجاح مؤكد ومركز اعلى . "حكى بعضهم انهُ رأى نجارًا يصلح كرسيًّا لاحد القضاة وكان يعتني باصلاحهِ اكثر من المعتاد فقال لهُ يا هذا مالك تعتني باصلاح هذا الكرسي اعتناء شديدًا قال لاني اريد ان اجلس عليهِ يومًا ما وهكذا كان لان ذلك النجار درس الفقه وجلس على ذلك الكرسي" . فهذا النجار السامي المقاصد رام ان يجلس على منصة القضاء ورأى ان السبيل الى ذلك الامانة والتدقيق في اتقان كل عمل تصل يدُ اليهِ

انظر ان كل ما يُطلب منك صنعهُ ينظر الى استقامتهِ وضبط اقيستهِ وحسن هندامهِ وفي ذلك من تمرين الاخلاق على السير في منهج الاستقامة وحب الكمال ما يستحق كل رغبة ونشاط . فكما انك لا ترضى الاَّ بما يُصنع تامّ التهذيب كذلك عوِّد طباعك واخلاقك فتكون الفائدة مزدوجة

الباب التاسع

التلاميذ الخارجيون

قد يأتي بعض التلاميذ المدارس الداخلية خارجيين اما لانهم من البلدة التي قامت فيها المدرسة او من جوارها . وفي بعض المدارس العليا والكليات يكون التلميذ خارجيًا ولو بعد بيته عن المدرسة . والجامعات الكبرى في اوربا واميركا حيث تضم المدرسة الوفًا من التلاميذ ومئات من الاستاذين تجعلها الضرورة لا تقبل طلبتها داخليين فيعيش الجميع لذواتهم مستقلين في لوازمهم ولا تُطالب المدرسة بسوى تلقين العلوم والتهذيب الادبي . نعم ان القانون ينظر الى الخارجي كما الى الداخلي والتعليم لكلٍّ منهما على السواء وفي سائر الحقوق المدرسية لا فرق بينهما . لكن توجد امتيازات للخارجي ليست للداخلي كما ان للداخلي تسهيلات ليست للخارجي

الفصل الاول

امتيازات التلميذ الخارجي

انك ايها التلميذ الخارجي في مركز تُحسد عليهِ اذ لا تضطرّ الى زيادة نفقة في دفع الرسم المدرسي المفروض على التلميذ الداخلي ووجودك بين اهلك قلما يري فرقًا في نفقات عائلتك . فهذا اول امتياز لك لانهُ ولو فرض عليك شيء من الرسم المدرسيّ فهو دون الطفيف لا يعبأُ بهِ . ان وجودك في ظروف كهذهِ اعظم بركة لك فيمكنك اكتساب المعرفة ولو كنت فقيرًا . كثيرون من سكان القرى والمدن البعيدة يشتهون ان يكون لهم ما هو ميسور لك يريدون ان يتعلموا وليس لهم مكنة التعلم لضيق ذات يدهم ليس لهم ما يقوم بنفقة التلميذ الداخلي . وايضًا مما تحسد عليهِ كونك لا تغيب عن اهلك فانت في كل يوم خلا الاوقات المدرسية لحضور الصفوف والاجتماعات الرسمية موجود في البيت تاكل وتلعب وتنام عند والديك وبين اخوتك لدى اقل عارض يزعجك تركض الى ابيك وامك وتشكو اليهما امرك . وهذه الحال السعيدة قد لا تدرك قيمتها تمامًا ولكن لو ابتعدت سنة واحدة عن البيت في مدرسة داخلية بعيدة عن بلدتك لعرفت قيمة ما انت

فيه . واضف الى ذلك ان لك ملء الحرية في التجوّل والتنزّه منفردًا او مع والديك واخوتك ومعارفك لانك حرّ غير مقيّد في الاوقات التي لا يكون لك فيها شغل ضمن المدرسة . وهذه الحرية التي لك تكسب نفسك انتعاشًا ولذّة

الفصل الثاني

تسهيلات التلميذ الداخلي

واما انت ايها التلميذ الداخلي فلا يملأ الحزن قلبك لانك محروم من امتيازات التلميذ الخارجي التي ألمعنا اليها . نعم انها لذيذة في ذاتها لكن ما وُجدت المدارس لمجرّد اللذّة هي ترغب في كل ما يجلب المسرّة لابنائها انما غايتها الجوهرية الافادة وتوفير اسباب تحصيل المعرفة واكتساب العلم والحكمة والادب وفي هذا انت ممتاز على رفيقك الخارجي الذي طوّبتهُ على حريته ووجودهِ في بيت اهلهِ . نعم انك لست حرًّا ليكون لك كل ما تريد ولكن المدرسة هيأت كل ما يمكنها من الوسائط الموافقة التي لا يحصل على مثلها كثيرون من الخارجيين . وترى بعض هؤلاء وان كانوا من نفس البلدة التي قامت المدرسة فيها قد يخرطون في سلك التلاميذ الداخليين ويدفعون الرسم المدرسي بتمامهِ ويخضعون

للقوانين التي على الداخليين تطلباً للتسهيلات التي لك .
ولنأخذ اهمّ شيء . ان الامر الجوهري في المدارس هو الدرس وذلك ميسور للداخلي اكثر من الخارجيّ لان للدرس اوقاتاً معينة بحيث يتيسر فيها الهدوّ والسكينة والمحافظة على كل ما يسهّل فهم المسائل وحفظها . بينما التلميذ الخارجي يلتزم ان يدرس في بيته بين اهلهِ فيسمع احاديث والديهِ وضوضاء اخوتهِ الصغار فامور كهذه وان كان شديد الرغبة في الدرس قد تصرف ذهنهُ عن موضوع درسهِ فتراهُ يدرس ولكن درساً متقطعاً . قلنا ان لدرس الداخلي اوقاتاً معينة وتلك الاوقات محدودة ايضاً بحيث ان التلميذ الكثير الاجتهاد في درسهِ القليل الحكمة في مراعاة صحتهِ لا يطلق لهُ العنان لان المدرسة تحافظ على صحة الجسم كما على انماء وتوسيع العقل فلا تسمح لاحد ان يدرس في الاوقات المخصصة للنوم مثلاً ولا تريد الدرس في اوقات الرياضة . واما الخارجي فان كان مجتهداً ولا وازع لهُ يكبح جماح رغبتهِ فانهُ يؤذي صحتهُ بعدم حكمتهِ وهو يزعم انهُ ذاهب وراء الحكمة . هذا اذا صح فرضنا الرغبة فيهِ والاّ فتحصيلهُ من المعرفة دون الطفيف . نعم ان للخارجي الحرية في التجوّل خارج المدرسة ولكن ذلك يعرّضهُ الى اقتباس العوائد الرديئة من الاولاد الاشرار وان اشترك مع الداخليين في سماع النصائح والارشادات يكون معرّضاً الى نسيانها وخسرانها لان الطبع البشري اميل الى اقتباس العوائد الرديئة

منهُ الى الجيدة . والتلميذ الخارجي وان ساوى الداخلي في اشياء كثيرة في المدرسة فهو مع ذلك يحسب نفسهُ غريبًا واما الداخلي فكابن في بيتهِ الى غير ذلك من التسهيلات التي اختص بها التلامذة الداخليون

الفصل الثالث

نصائح للتلميذ الخارجي

اريد ان اوجّه اليك ايها التلميذ الخارجي بعض النصائح لانك احوج اليها من الداخلي ذكرنا ان المساعدة التي لك دون الداخلي قد تكون تجربة لسوء سلوكك ولذلك اسألك ان تحفظ جهدك من معاشرة الاولاد الاردياء . لا اقول انهُ لا يوجد بين التلاميذ الداخليين من لهم صفات رديئة ولكن النظام المدرسي مراقب وصارم في معاملة اولئك الاردياء فمهما كانوا لا يضرُّون نظير من هم خارج المدرسة من عشرائك . واعلم ان لك فضلاً بتحفظك هذا لان التلميذ الداخلي وهو مُحاط بعيون مراقبة وظروف مناسبة بعيد عن التجربة قد يظهر اديبًا خوفًا من المؤاخذة واما انت فلكون لك تمام الحرية اذا اتيت السلوك الحسن خارج المدرسة يحسب ذلك منك فضلاً وبيّنة على شرف

مبادئك . ايضًا عليك واجب دائم قريب منك وهو حسن السلوك في البيت . ربما ترى اهلك نظرًا لمحبتهم يسترون كثيرًا من هفواتك ونقائصك ويتساهلون معك في امور كثيرة . ان هذا يضرك اذا قادك الى التمادي في النفور والعصيان وازعاج اهل بيتك . فعليك ان تكون شاهدًا دائمًا بفضل التهذيب المدرسي بمحافظتك على الآداب والواجبات البيتية . اكرم والديك وأطِعهما ولا تتعدَّ على احد اخوتك . وهذا علاوة على انهُ يظهرك تلميذًا وابنًا محبوبًا يسهل لك وسائط تحصيل المعرفة في البيت . اما الصعوبة التي المعنا اليها اعني عدم تيسر الهدوء المطلوب والجَلَد على الدرس فلتمهيدها اختر الحالة التي يمكنك فيها ان تكون منفردًا بعيدًا عن جلبة اخوتك وسماع احاديث اهل البيت ومن يزورهم . واذا رأى والداك رغبتك في ذلك يساعدانك على الحصول عليهِ . وان لم تكن تحت قانون فاجعل لنفسك قانونًا كالنظام المرعيّ عند الداخلين في مدرستك من جهة التجلد حين الملل ومقدار الوقت المعين للدرس . واما ما يصعب ان تراعيهُ واخاف ان أكفلك فيهِ فهو انك ترى في اثناء درسك او تسمع باشياء سارَّة ولذيذة في الغرفة حيث يكون والداك واخوتك وغيرهم هنا تستفزُّك عاطفة اللذَّة وتدفعك الى طرح كتبك والذهاب لمشاركتهم في سرورهم . نعم ان ضبط النفس في ظروف كهذه امر صعب ولكنهُ ان وُجِدَ احسبهُ بينة على عقل راجح

ونفس كبيرة . ايضاً حافظ كل المحافظة على المجيء الى المدرسة في الاوقات المعينة ولا تجرّب نفسك اذا غبت لغير داعٍ موجب الى تلفيق اعذار فارغة واخشى ان تحمل اهلك على الاعتذار عنك بمثل ذلك . ومما هو مهم ان تلازم المدرسة طول السنة لانك اذا واظبت على الحضور اشهراً قليلة ثم تركت المدرسة لاتكتسب الاّ قليلاً ومتى عدت سنة اخرى لا يغنيك ما اكتسبتهُ من معاودة نفس الدروس التي كنت فيها

البحث الرابع

تحذير لهُ ايضاً

كنت لا اريد ان ابيّن بعض عثرات تكون في المدارس الداخلية بسبب بعض التلاميذ الخارجيين لانني اخاف ان انبهك الى امور لا تزال تجهلها. ولكن هي الحقيقة لا غنى عن التصريح بها فاقول باسف ان بعض التلاميذ الخارجيين قد يكونون نظير ثغرات في سياج النظام المدرسي فيسهلون للداخليين مخالفة القوانين المدرسية . اعني ان عديمي السلوك الحسن منهم (ولا اريد ان تصدق هذه الصفة عليك) قد يجلبون الى المدرسة اموراً رديئة اقتبسوها من مدرسة الازقة المشهورة برداءة السيرة

فيقف الواحد منهم في مجتمع حافل من الداخليين كامام كبير او انهُ يخص بعض التلاميذ ليلقنهم مبادئ الرذيلة فتنطبع في اذهان اولئك المحجوزين عن مدارس الازقة . وهذا سم زعاف يسري من الخارج الى داخل جسم المدرسة اوكوبا مهلك يدخل مدينة محاطة بنطاق صحي ليفتك باهلها . ومما احذّرك منهُ مساعدة وتسهيل خرق النظام للداخلي مثلاً ان تأخذ منهُ مكتوبًا خلسةً بينما النظام المدرسي يحظر ذلك وان تشتري لهُ شيئًا يمنعهُ ذلك النظام وان تكون صلة علاقة بينهُ وبين احد خارجًا اذا كان ثَمَّ امر لا ترضاهُ ادارة المدرسة . رأيت اننا حرضنا عموم التلاميذ على عدم تشييع مذمة المدرسة او احد فيها خارجًا وهذا بالخصوص يجب ان تحفظ منهُ لانك يوميًّا تكون خارجها فاياك ان تنقل ما يشين اسم مدرستك . فاذا تكدرت من معاملة ما فلا يحملك ذلك على الطعن والافتراء فلا تؤاخذني ان قلت انك مخطئ في حكمك اذ تحسب نفسك مبرأً قد تُعدّي عليك . واذ تصل الى البيت تأخذ تشكو مظلوميتك الى والدتك وقلب الام معلومة حاسانهُ نحو ابن يذرف الدموع او يشكو ضيمًا . ومتى اتى والدك تشترك مع والدتك في ابلاغهِ الامر واخاف ان يكون والدك كقاضي جبّل اي انهُ يكتفي للحكم في القضية ان يسمع من الخصم الواحد فقط . وهكذا اذا كان والداك قليلَيْ الحكمة تصدر تلك المحكمة العائلية الحكم ضد المدرسة وتبرّئك ومن ثَمَّ ترفع حكمها

الى رئيس المدرسة للموافقة عليهِ وتنفيذهِ . فاذا كنت مقصرًا في درسك فلا تظهر لوالديك انك مجتهد وان المعلمين متحاملون عليك فينقصون من علاماتك . واذ يخجل اهلك ان يكاشفوا معلميك بذلك يخفون ما يعتقدونهُ غلطًا فتسيء ظنونهم في ادارة مدرستك . ارجوك ان لا تسبب امورًا كهذهِ غير مرضية وقد كان يغني عنها جميعها الاجتهاد وحسن السلوك والامانة

الباب العاشر

نسبة التلميذ الى الرئيس والمعلمين

الفصل الاول

مبادلة الولاء

قد انفصلت عن والديك اللذين تحبهما ولا حاجة الى حضّك على محبتهما . والآن صارت لك علاقة ونسبة جديدة الى الذين وُكِل اليهم السهر عليك والعناية بك . هم يحبونك ويرغبون كل الرغبة في ما هو لخيرك . انظر انهم يراقبونك يلاحظون حركاتك يخترعون الطرق التي بها يستطيعون ان يفيدوك ويكسبوك المعرفة . ربما تعترض انك ترى احيانًا فيهم وجوهًا مقطبة ليس عليها شارات الحنان الوالدي الذي اعتدتهُ وكثيرًا ما يؤاخذونك على هفواتك وزلاتك . هذا لا انكرهُ عليك ولكن افتكر انهُ لو كان الابتسام والبشاشة الدائمة يؤولان الى خيرك لما

رأيت في احدهم الاّ الطلاقة والبشاشة . ولكن لسوء الحظ ان الامر بالعكس اذ قد يضرُّونك اكثر ما يرضونك بذلك . وعليه ولو لم تستطع الآن ان تدرك كل مقاصدهم تيقن انهم يقصدون خيرك بالعبوس كما بالبشاشة ولذلك لا يمنعك تقطيبهم من محبتهم واذا رأوا فيك تلميذًا مدركًا قيمة محبتهم ومحبًّا لهم تضـــاعفت محبتهم واعتبارهم اياك

ان لبعض التلاميذ اوهامًا كثيرة من جهة المعلمين مثلاً اذا كنت في الصف وقت التسميع وانت نوبتك فاذا ارتبكت في الجواب واعتاص عليك تغتمّ وتغضب ويجب ان تحزن لان هذا يدل على اهتمامك بتحصيل المعرفة ولكن الذي انكرهُ عليك هو انك تتكدر من معلمك الذي لا ذنب له سوى انهُ يريد ان تعرف المثالة جيدًا . ولا بد من ان تكون قد اختبرت ذلك مرارًا وشاهدتهُ في غيرك . فاذا راقت افكارك وتأمّلت مليًّا تجد ان لا سبب يقف في سبيل محبتك لمدبّريك سوى ما يرسمهُ الوهم في مخيلتك فانفِ كل وهم واعطِ سعةً للمحبة . "قيل للاسكندر : ما بالك تعظم مؤدبك اكثر من تعظيمك لابيك ؟ فقال : ان ابي سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب حياتي الباقية" ولله درّ من قال

اقدّم استاذي على نفس والدي
وان نالني من والدي الفضل والشرف

فذاك مربي الروح والروح جوهر

وهذا مربي الجسم والجسم من صدف

ان اطرب نغمة لاسماع مدبريك هي التي يوقعها التلاميذ على قيثار المحبـــة المخلصة . ولا يذهب عنك اني لا انسب العصمة للمدبرين فهم بشر نظيرك ولكن اختباراتهم الطويلة تكسبهم معرفة وحكمة انت قاصر عن ان تبلغها الآن لذلك سلم الى محبتهم فلا ترى الاَّ التوفيق والنجاح باذن الله

الفصل الثاني

الاكرام

قد يُهمل التلميذ واجب الاكرام لمدبّريهِ وربما لا يكون ذلك عن رداءة قصد وسوء نية وانما عن جهل وبساطة قلب ولذلك احببت ان ابين لك شيئًا من واجبات الاحترام المنتظرة منك

حينما تقابل الرئيس او احد المعلمين حيِّهِ تحية واضحة تؤذن باعتبارك اياهُ ولا تجلس حتى يأمرك بذلك واذا دخل الى مكان فيهِ تلاميذ يجب ان يقفوا باحتشام وهدوّ منتظرين اشارتهُ ولا يجلسوا حتى يأذن لهم . وان كنت مسرعًا بمشيك وعرض لك

احد المدبرين في طريقك فخفف من سرعتك احترامًا لهُ ومتى جاوزتهُ فلا بأس من معاودتك الاسراع . واذا مرَّ بك وانت جالس فقف غير محوّل وجهك عنهُ وان كنت واقفًا لشأنٍ ما فاعطِ هيئة توْذن بالاكرام . اذا سُئلت من احدهم عن امر من الامور فافصح في الجواب وانفِ كل شبه عدم المبالاة وقلّة الاحترام . اذا انتدب احد المدبرين التلاميذ بدون تعيين لامر ما وخيّرهم في قبولهِ فلا تقل لا يخصني انا فرد بين جمهور من التلاميذ بل احسب نفسك المقصود بالذات واعرض ذاتك لاتمام مرغوب منتدبك . لا تحسب هذا من قبيل الطاعة لانك غير مقصود ولكنهُ من قبيل الاكرام واتمام ارادة المدبّر

وكما انهُ يجب اكرام المدبرين في حضورهم كذلك يبقى الواجب ذاتهُ في غيابهم . فاذا جرى حديث بشأن احدهم فلا تتكلم عنهُ بما يمسُّ كرامتهُ او يدل على احتقارك اياهُ . وان لاحظت شيئًا من مثل ذلك في رفقائك فانبههم ونبههم الى غلطهم واحملهم على الاقلاع عنهُ . هذا يدل على حسن طويتك اكثر من الاكرام الذي تبديهِ بالحضرة . واكرام المدبرين بكل ظروفهِ وانواعهِ مقبول وجميل ان لم يكن نتاج التكلف وحبذا هو اذا كان ابن المحبة المخلصة

ذكرنا ان المعلمين غير معصومين من الغلط فان صدر من احدهم قصور في امر من الامور فلا تشيع مذمتهُ مفتخرًا مشففيًا بسقطتهِ ذلك يدل على قلب اسود ينضح الكنود . واعلم انهُ اذا

احتقار معلم في عيون التلاميذ لا يستطيعون فيما بعد الاستفادة منهُ لا في المسائل ولا في النصائح وهذه الخسارة مرجعها عليك . يوجد في بعض المدارس بعض تلاميذ اشرار ينصبون فخاخًا لسقوط احد المعلمين لتحقيرهِ واذهاب اعتبارهِ هم يرتكبون ذلك ويبقونهُ مادة لاحاديثهم سنين طويلة . وعلى الغالب الاغلب ترى هؤُلاء من صف غير الممتازين بين التلاميذ

لا تفرض في نيتك على المعلم واجبات اكرام عليهِ ان يبديها نحوك فتوقّف اكرامك لهُ على اتمامهِ ما فرضتهُ عليهِ . قد تكون مغشوشًا في ما تصوّرتهُ وعلى فرض انك مصيب بعض الاصابة لا حق لك بمطالبة المعلم ولا يسوّغ القانون توقفك عن اكرام استاذك بسبب ذلك وما يسوغ للمعلمين في امور كثيرة قد لا يسوغ للتلاميذ ولا يُتساهل معهم بهِ . ومن قبيل الاكرام ان لا تزعج مدبريك بشكاوٍ زهيدة كثيرة الحدوث بين التلاميذ تستطيع صرفها من نفسك

اذا دُعيت او اقتضى ان تمشي مع احد مدبريك فأَعطهِ الجهة اليمنى وخذ ناحية عن يسارهِ مؤَخرًا عنهُ قليلاً وليكن حديثك معهُ باحترام ولا ترفع صوتك اكثر من اللازم . نعم لا يناسب ان تجيبهُ بقولك نعم على كل مسألة بدون ان تعتقد صحتها لترضيهُ بل راجعهُ في مثل ذلك بلطف حتى تدرك الحقيقة . هذا في الاحاديث الاعتيادية واما في الموقف الرسمي والواجبات

المدرسية المطلوبة منك فان الطاعة توجب القبول سريعًا والعمل حالاً وبعدئذٍ يكون باب المراجعة بلطف ان كان ثمَّ موجب وهذا نجعلهُ موضوع الفصل التالي ان شاء الله

الفصل الثالث

الطاعة

الطاعة عماد النظام المدرسيّ وبدونها يستولي الخلل وتؤول الامور باسرها الى الخراب . ولا نعني بذلك الطاعة العمياء بحيث لا يجوز للطالب ان يستخدم عقلهُ لا قبل ولا بعد فان المدارس ما وُجدت لتقييد حرية الطلبة وتربي الشبان اصنامًا جامدة او أدوات ميكانيكية عديمة الشعور . على انهُ يجب اولاً تنفيذ الامر الصادر بسرعة بدون تردد ولا توقف ولا احتجاج ولا استفهام ومتى نُفِّذ يسوغ بل من الواجب ان التلميذ المرتاب بصوابية امر احد مدبريهِ ان يأتي اليهِ منفردًا ويسألهُ بكل خلوص مبينًا لهُ الحال كما يعتقدها فاما ان يقنعهُ المعلم موضحًا لهُ الداعي واما ان يطيب خاطرهُ ويحفظ مرّة اخرى من مثل ذلك هذا على فرض انهُ لم يكن مصيبًا في امرهِ . فاحتدام الغيظ من مولدات الحمق وصفاء الفكر بينة سعة العقل

ان الطاعة بسرعة لها قيمة وتأثير مفيد فاذا طُلب منك اجراء امر ربما تتردَّد اولاً ثم اذ ترى ان لا مناص لك تلتزم بالطاعة الاغتصابية التي لا فائدة منها سوى تنفيذ ارادة المعلم فضلاً عن كونها لا تحسب طاعة مقبولة . ولتكن الطاعة ايضًا تامة من كل وجوهها فاذا طلب منك عمل كذا فلا تباشرهُ برخاوة متأفِّفًا فتعالهُ بعض العمل حتى اذا لم تراقبك العيون تنبذهُ جانبًا . ان عملاً كهذا يُعدُّ من باب العصيان لا من قبيل الطاعة . فعليك ان تعمل ما أُمرت بهِ من كل قلبك وتتممهُ باتقان كما ينتظر منك الآمر وفوق ما ينتظر فان صنيعك هذا يؤثر فيهِ ويجعل لك عندهُ اعتبارًا مقدَّرًا طاعتك حق قدرها

واعلم ان الطاعة ليست لاشخاص المعلمين بل للمركز الذي يشغلونهُ ومتى علمت ذلك لا تميز بين معلم وآخر في امر الطاعة . نعم ان طاعة الرئيس اولاً وسائر المعلمين ثانيًا ولكن لا يليق بوجه من الوجوه العصيان على احد منهم . فلا تقل هذا كبير وهذا صغير هذا عالم ماهر وذاك ادنى مني رتبةً ومعرفة هذا مساوٍ لي سنًّا او انهُ اصغر مني لان كل واحد منهم في مركز المعلم فمركزهُ يوجب عليك اطاعتهُ . أما رأيت في النظام العسكري ان القائد الحديث السن يأمر العسكري البسيط الشيخ فيلبي مذعنًا

لا تحمل المعلم على رفع مسألتك الى حضرة الرئيس في تنفيذ مطلوبهِ فان الرئيس يأمر باجراء طلب المعلم وبعدئذٍ يسوِّغ

السؤال عن القضية ان كان ثم موجب . انهُ لامر دنيء ان بعض التلاميذ تجاهم وقاحتهم على المجاهرة بالعصيان مفتخرين امام رفقائهم واذا تسنى لهم خذل المعلم طاروا فرحًا ومشوا متبختريين كانهم دحروا اعظم عدوّ لهم . ان هذا الأ بينة طيشهم وسوء طباعهم وسوف تريهم حوادث المستقبل سوء منقلبهم . لا تشكُ المعلم الى الرئيس الأ لامر كبير وظلم بيّن ومهما يمكنك ان تنهيهُ بينك وبينهُ فذلك خير واولى وان استدعت الظروف اطلاع الرئيس على القضية فقف عند حدّ الصدق في كلامك

ما اجمل الطاعة اذا اقترنت بالرضى والمحبة فانها يكسبانها بهجةً ورونقًا ويحدثان في النفس نشاطًا وغبرةً

ان للطاعة حدًّا اما طاعة الله فمطلقة بمعنى انهُ يجب علينا اطاعتهُ تعالى مهما امرنا . اما طاعة البشر ممن تجب علينا اطاعتهم فضرورية ايضًا الأ اذا عارضت امرهُ تعالى لانهُ يجب ان يطاع الله اكثر من الناس . اخيرًا اقول ان اطاعة المعلمين ليست لتكليلهم باكاليل المجد والظفر حاشا المقاصد المدرسية من ذلك بل ان الخير والفائدة مرجعها الى التلاميذ ومع ذلك عسر على التلميذ ان يدرك هذا فلا يفهمهُ تمامًا الأ بعد خروجهِ من المدرسة وما الفائدة حينئذ من هذه المعرفة فانتبه

الفصل الرابع

قبول القصاص والتأديبات

لا ادري كيف ابدأ بهذا الفصل لاحبيهُ اليك فانهُ من روية موضوعهِ تشمئزُّ نفس التلميذ منهُ . واظنهُ بعد وقوفهِ على كل ما يتضمنهُ يتغير شيءٌ من افكارهِ ويدرك فائدة ولزوم القصاص والتأديبات المدرسية . قد اخذت المدارس تقلل ما امكن التأديبات الجسدية للتلامذة مستعيضة عنها بعلامات منها تعرَف درجة التلميذ في حسن السلوك ولكن هذه العلامات قد لا تغني عن القصاصات الجائزة المصطلح عليها في المدارس

اعلم ايها الطالب ان غيرة الادارة على صالحك تلجئها احيانًا الى تأديبك وتوبيخك فلا تتذمر بل اقبل ما قضي بهِ عليك وما احسن قول الشاعر

وان من ادَّبتهُ في الصبا كالعود يُسقَى الماء في غرسهِ

وقول آخر

ان تأدبت يا بُنيَّ صغيرًا
كنتَ يومًا تُعَدُّ في الكبراء

وبمعنى هذا قال غيرهُ

من لم يرَ التأديب في زمن الصبا
شمخ الفلاح عليهِ في وقت الكبَر

انهُ هين على الانسان ان يرى ويعدّد عيوب وذنوب غيرهِ واما عيوب نفسهِ فلا . قال بعض الحكماء " اصعب ما على الانسان معرفة نفسهِ " . ولذلك يصعب عليك ان تدرك العدالة في مقاصتك وضرورة ذلك لخير التلاميذ ونجاحهم . كنت تودُّ لو اكتفى المعلم بتقديم النصيحة عوض التأديب ولكن اعلم ان المعلم لم يجرِ القصاص حالاً فانهُ كثيراً ما رآك تتعدّى القانون فاغضى عنك وتغاضى كان لا علم لهُ بشيء اتباعاً لقول الشاعر

ليس الغبيُّ بسيّدٍ في قومهِ لكنَّ سيد قومهِ المتغابي

واما انت فاستهنت بالذنوب الصغار وتماديت اكثر متقدماً الى ما هو اعظم ولم تحتمل بقول من قال

وجانب صغار الذنب لا تركبنَّها
فانَّ صغار الذنب يوماً تُجمَّع

واذ لم يفدك الانذار مرات عديدة واذ رأى ان النصيحة لم تنجع فيك عمد الى التوبيخ والتعنيف مراراً لاصرارك على تقصيرك في واجباتك واقترافك الذنوب . والتوبيخ ايضاً لم يجدِ نفعاً فاذا تكون العاقبة لو اقتصر على ذلك وتركك وشأنك لا شك ان سلّمت معي ام لم تسلّم انها تكون عاقبة وخيمة ورديئة . فادارة المدرسة تلبث في متابعة الوسائط الفعالة لارعوائك عن غيك

والحالة هذه لا ترى بدًّا من اجراء القصاص فانت الجاني على نفسك ليس غير حتى انها اذا اجرت قصاصات متتالية ولم تستفد منها تضطرُّ اخيرًا بكل اسف وحزن الى قطع العضو الفاسد لسلامة سائر الاعضاء اعني انها تطرد ذلك التلميذ الرديَّ الذي اصرَّ على غيهِ

لعلك ادركتَ شيئًا من ضرورة القصاص في المدارس للفائدة لا للتأليم . وبقي عليَّ ان اردَّ لك اعتراضًا : وهو اني لم ارتكب الذنب الفلاني وحدي فان كثيرين اشتركوا مثلي فيهِ والقصاص وقع عليَّ بالخصوص . اني اسلم معك ان حدوث امر كهذا قد يكون ولكن لا حق لك من قبل العدالة ان تقدّم هذا الاعتراض . أتُقرُّ انك مذنب ؟ فان قلت نعم اعود فاسألك ثانيةً وهل نوع ذنبك يستوجب القصاص الذي فُرِض عليك ؟ فان اجبت بالايجاب قلت لك اذًا جوزيت بعدل وماذا لك من غيرك ربما يكون السبب في ترك اولئك او تخفيف قصاصهم ان درجة ذنبهم اخف من درجة ذنبك او انهم ارتكبوهُ لاول مرَّة او ان الفاحصين وجدوا الدلائل عليك اقوى . ولا بدَّ من ان وقوع القصاص عليك يؤثر فيهم لاصلاحهم واصلاح سائر التلاميذ فتكون قد حصلت الفائدة العامة وهي الغاية من اجراء القصاص

بقي عذر آخر يقدمهُ بعض التلاميذ تخلصًا من القصاص

وهو باطل من نفسهِ ولا يقدمهُ الأسخيف العقل . وهو انما ارتكبت هذا الذنب لاني رأيت غيري قد سبقني اليهِ . ولا ادري متى كانت الخطيئة عذرًا للخطيئة وفضلاً عن عدم قبولهِ يُستَط مندمهُ في يدهِ . فالاحسن الاعتراف صراحة بالذنب وقبول القصاص بكل شهامة . قال احد العلماء : " ما في اللغة اصعب من قولك — غلطت — وكتب فريدريك الكبير الى المجلس الاعلى يقول : انكسرت في واقعة كبيرة وما سبب ذلك سوى غلطي . قال فلما سمع ان فريدريك اظهر عظمتهُ بهذا الاعتراف اكثر مما اظهرهُ بكل نصراتهِ . فلا تخشَ ان تعترف بغلطك لئلاَّ يتعذَّر عليك اصلاحهُ . فانك اذا اعترفت بهِ بينت انك احكم ما كنت حين غلطت " . ولا اقتضاء الى الوشاية بشركائك الاَّ اذا سُئلت عن ذلك حينئذٍ قل الحق بتمامهِ

بعض التلاميذ يعتذرون احيانًا بوجود مانع صحي يمنعهم من تحمل القصاص وهذا اذا كان حقيقيًّا يسأل واضع القصاص بلطف ولهجة مخلصـــة ابدالهُ بآخر لا يضرّ بصحتك مع عرض قبول القصاص اذا اصرّ المعلم على رأيهِ . حينئذٍ يلبي طلبك . وان لم يكن العذر حقيقيًّا فلا ترتكب الكذب والرياء فوق الذنب الاصلي . لا تبدِ في اثناء اجراء القصاص التذمر والتشكي او اقل حركة يتبين منها عدم الاحترام للنظام المدرسي . ويناسب انك بعد اتمامك ما فُرِض عليك قصاصًا ان تذهب الى من

فرضهُ وتشكرهُ واعدًا بخلوص بالعدول عن ارتكاب الذنب او التقصير مرَّة اخرى . وهذا مع صعوبتهِ يمثلك تلميذًا شريف المبدإ قابلاً الاصلاح والاستفادة من كل امر . قال احد الافاضل "من لا يقبل توبيخك وتأديبك بوداعة واحترام ومَنْ لا يذرف دموعهُ بالشكر والحمد لك لانك حسبتهُ اهلاً للتأديب لا يستحق ان يدعى لك ابنًا واما العبوس المتكرّه وقت الامتحان فليس هو باقلّ من عاصٍ متمرّد"

انهُ من الوقاحة ان يجاوب التلميذ حين فرض القصاص انا اعملهُ وازيد عليهِ لارى ماذا يكون . فانك بذلك تظهر الروح الرديَّ الكامن في القلب وتعرّض نفسك لتثقيل الجرم والقصاص فالك وللوقاحة انبذها عنك قصيًّا . ان والدَيك مع شدَّة حبهما لك لا يتأخران عن اجراء القصاص حين يريان لزومًا لهُ فبالضرورة اذا كانت ادارة المدرسة امينة لك يجب ان تقاصك حين ترى لزومًا ولا يَدُر في خَلَدك ان الادارة المدرسية او احد افرادها يفرح بقصاص التلاميذ فهي لا تسرُّ مطلقًا بألم التلميذ بل تحزن معهُ والذي يجبرها عليهِ انها لم ترَ غيرهُ طريقةً لاصلاحك. فخفف عنك ملامة الادارة في مقاصتك وكن تلميذًا قابلاً كل واسطة فيها خيرك وخير مدرستك . قال موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي "من لم يعرق جبينهُ على ابواب العلماء لم يُعرِق في الفضيلة ومن لم يخجلوهُ لم يجلهُ الناس . ومن لم

يبكتوهُ لم يسوّد " . وقال الشاعر

حبيبك من يغارُ اذا زللتا ويُغلِظُ بالكلام اذا اسأتا
يسرُّ ان اتّصفت بكلِّ فضل ويحزن ان نقصتَ او انتقصتا
ومن لا يكترث بك لا يبالي أحدثَّ عن الصوابِ ام اعتدلتا

الفصل الخامس

الخلوص والامانة

توجد علاقات كثيرة بينك وبين ادارة المدرسة فليكن شعارك في اتمام كل واجب الخلوص والامانة . فاذا شكوت لها امرًا من امورك او تعدّيًا وقع عليك فاكشف قلبك وابسط ما فيه ولا تلبس الحقيقة بالبطل . ربما يكون معك بعض الحق في شكواك فاذا اضفت اليهِ زوائد كاذبة أوهمت الادارة ان كل ما قلتهُ غير حقيقي واشكل عليهم التمييز بين الحق والباطل . وكذلك اذا شُكيت من احد فأبدِ ما عليك اولاً وما لك ثانيًا لا تعظّم ذنبهُ ولا تصغر ذنبك . لا تتظاهر امام المعلمين بمحبتك لهم وغيرتك على الاصلاح واجتهادك في واجباتك ومتى غابوا سلقتهم بالسن حداد منددًا في تصرفاتهم متذمرًا من اجراءاتهم . اذا أُعلنت علامات مثائلك وسلوكك فلا تسيء الظن في المعلم

بوضعهِ لك علامات تظن انك تستحق اعلى منها بل اقبل ما وُضع لك بخلوص نية . هذا واذا رأيت غبنًا فاحشًا يسوغ لك ان تراجع بلطف طالبًا الحقيقة لانهُ قد تحدث اغلاط في اخذ المعدّلات لاستحالة العصمة . لا تحرّش ببعض المعلمين بسؤالات خصوصية ثم تذهب الى غيرهم بنفس السؤالات حتى اذا رأيت اختلافًا او شبه الاختلاف قلت ان فلانًا قال كذا وانت خالفتهُ فتوقع مشاحنات بين مدبريك لا لزوم لها . اذا جرى لك حديث مع احد المعلمين فلا تسعَ لارضائهِ باطرائهِ وذم غيرهِ بالمقابلة فان ذلك فضلاً عن كونهِ منكرًا لا يسلك الاَّ على صغار العقول ولا اخال احدًا من معلميك من هذا الصف . اذا وُضع قانون وفرض على من يخالفهُ تغريم فلا تراوغ ولا تحاول تخلصًا من الغرامة . مثل المواظبة على حضور الجمعيات الادبية المدرسية والاتفاق على التكلم دائمًا بلغة اجنبية ونحو ذلك

خيرٌ لك ان تعيش فقيرًا عوزًا من ان تمدَّ يدك الى ملك غيرك لاختلاسهِ واذا سقطتَ بهذه الخطيئة فلا تدعها تغلبك الى النهاية بل بادر الى اعلام الرئيس او احد المعلمين بالقضية ذلك اشرف كثيرًا ان يكون قبل اجراء الفحص من قبل الادارة . ولا يسرّك ان ذنبك بقي مكتومًا وانك ربحت ما اختلستهُ . انك بعملك هذا تشبه من يُسرّ بخطيئة افعى سامَّة في عبّهِ فانها "وان لانت ملامسها عند التقلب في انيابها العطبُ" اذ لا تلبث ان

تلدغك فتنفث سمها في جسدك فتميتك هكذا كل اثم او ذنب تبالغ في اخفائهِ . فارعَ الامانة في اعمالك كلها وما يوكل اليك امرهُ خصوصًا وما تصل اليهِ يدك قال بعض الحكماء "احفظ الامانة تحفظك" . وقيل لبعض الافاضل "ما الفرق بين الامانة والخيانة . قال كالفرق بين رئيس ملائكة السموات واركون شياطين الجحيم"

اذًا اجتهد ان تربي فيك روح الاخلاص وارعَ الامانة والحق والاستقامة والله الكفيل بانجاح امورك

الفصل السادس

الاستشارة

قال المثل "من سبقك بيوم فقد سبقك بعقل" كم بالحري اذا قُرنت السنون بتحصيل المعارف ودرس كتب الحكمة فانها تزيد الانسان دربةً واختبارًا

لا بدَّ من ان تقع لك مشاكل مدة وجودك في المدرسة او انهُ يعرض لك امر تعجز عن حلهِ والتصرُّف فيهِ . عودك لم يزل طريًّا وباب الغش واسع وفريسة اهل الغش من كان عودهُ طريًّا نظيرك وبناء عليهِ يعوزك من تعتمد عليهِ في سرائك

وضرائك لتبثّ له افكارك وتستشيرهُ في ملماتك . ولا ارى في مركز مثل مركزك انسب من رئيسك ومعلميك فاختر منهم من تشكو اليهِ امورك طالبًا نصيحتهُ ورأيهُ فاذا فعلت ذلك تسلم من عواقب وخيمة . كثيرًا ما يُصاد التلاميذ الاغرار في فخاخ اهل المكائد ويسقطون في احبولة الاشرار لعدم استشارة اصحاب الخبرة والمعرفة

شاور سواك اذا نابتك نائبةُ
يومًا وان كنت من اهل المشوراتِ
فالعين تنظر منها ما دنا ونأى
ولا ترى نفسها الاَّ بمرآةِ

وخصائص من تشاورهُ ثلاث

وداد خالصٌ ووفور عقلٍ ومعرفة بحالك والحقيقه

وهذه الصفات اذا لزم ان يجمعها انسان فلا ارى اجدر بها من مديري المدارس . لا تتوهم ان الرئيس او المعلم ارفع من ان يلتفت اليك ويأخذ بيدك ليس الامر كما وهمت وان رأيتهُ في الموقف الرسمي مهيبًا فانفرد بهِ واطلب نصيحتهُ ترَ فيهِ ابًا رؤوفًا يغار على صالحك ويبادر الى مساعدتك وارشادك . واذا قدّم الرئيس او المعلم بوجه العموم او الخصوص نصائح علمهُ اياها الاختبار الطويل يجب ان تقدرها حق قدرها فلم يندم قط من قبِلَ نصيحة اهل الخبرة والمعرفة

بعض التلاميذ تقدَّم لهم نصائح جمَّة مكرَّرة حين يكونون عازمين على امر مضرّ لهم فيأبون قبول النصيحة واذ يسقطون يرون وجوب قبولها فيندمون ولات ساعة مندم

الفصل السابع

عضد ارباب المدرسة

لا تكن حقيراً في عيني نفسك ان فيك قوَّة لعمل الخير والصلاح كما في الرئيس والمعلمين وان تفاوتت الدرجات . فكما انهم يعضدونك ويساعدونك في ما أشكل عليك كذلك من قبيل المكافأة تقول انك قادر اذا قصدت ان تعضدهم وتساعدهم في تنفيذ نواياهم لخير المدرسة . وعليهِ ان الذمة تنتدبك لتمشي مع المعلمين كتفًا الى كتف في الاصلاح . فاذا وُضع قانون فكن من اول المراعين اتباعهُ المنشطين على حفظهِ . اذا وُجد تشويش بين التلاميذ اخاف ان يأخذك العُجْب اذا صرَّحت لك انك تستطيع صرف المشكل واصلاح ذات البين اكثر مما يستطيع ذلك المعلم لانك تعيش مع التلاميذ في النوم والدرس والطعام واللعب والمعاشرة وغير ذلك . فمخالطتك اياهم تكسبك خبرة فيهم اكثر من غيرك فضلاً عن انهم يكاشفونك بافكارهم بكل

حرية فتعرف من ابن تؤكل الكتف . لكن لا يسقك كلامي هذا الى غيرة زائدة تجعلك واشيًا تنقل كل هفوة الى ارباب المدرسة . ليس القصد هذا بل عليك ان تجتهد بقدر امكانك مع من يلف لفك من التلاميذ في الاصلاح وقطع دابر كل فساد منتدبين انفسكم لاتمام كل عمل خيريّ . اذا دُعي التلاميذ لعمل مروءة او خدمة عامة لا يكفي ان تقدم نفسك بل عليك ان تنشط التلاميذ الكسالى وتدبّ فيهم روح الغيرة فانك بصنيعك هذا تخدم المدرسة خدمة حسنة . فلا تكتف بما هو مطلوب منك قانونيا بل اجعل لنفسك قسمًا كبيرًا من المشروعات التبرعيّة

اني اسوق هذا الكلام الى التلاميذ عمومًا ولكني اخص به الكبار منهم الذين يستطيعون اكثر من غيرهم نشر اللطف والمروءة بين رفقائهم

الباب الحادي عشر

نسبة التلاميذ بعضهم الى بعض

الفصل الاول

اللفيف المدرسي

المدرسة تضمُّ تلاميذ من اماكن مختلفة لهم اخلاق وطباع وعوائد متباينة متفاوتي السن والهيئة والمقام متنوعين في حالة اليسر والعسر من طوائف عديدة بعضهم قديم وبعضهم جديد هذا مجتهد وذاك كسلان منهم اصحّاء ومنهم ضعفاء هذا يرفل بالحلل النفيسة وذاك يمشي والحائط مخافة ان ترمق العيون ثيابهُ الرثة . منهم لطفاء اذكياء ومنهم شرسون بلداء . الكل مع هذا التباين والتفاوت أُرسلوا الى المدرسة لغاية واحدة وهي اقتباس الآداب وتحصيل العلوم فالمدرسة ساوت بينهم درس واحد للجميع كلٌّ حسب درجة معرفتهِ معاملة واحدة للكل ازاء النظام المدرسيّ .

والمدرسة تخدم وتعتبر الجميع على حدٍّ سوى . فمن اي طبقة انت ؟

افرض نفسك من طبقة عالية فلا تنظر الى ذاتك بعجب وخيلاء محتقرًا من هم دونك . انت لم تفتخل بعد وما معك مما تفتخر بهِ انما هو من فضل والديك وما ادراك ان جسم ذلك الولد المرتدي بالثياب الرثة لا يضمُّ نفسًا ابية وعقلاً حاذقًا سوف يسمو بها الى أعلى من منزلتك فيكون مستحقًّا الاكرام دونك قال الشاعر

ان الفتى من يقول ها انا ذا
ليس الفتى من يقول كان ابي

وقال آخر

خذ بنصل السيفِ واترك غمدهُ
واعتبر فضل الفتى دون الحلل

او لنفرض انك من ذوي البأساء فلا تنظر الى التلاميذ المترفعين المتباهين بغنى اهلهم وسطوتهم فتحتقر نفسك . ان من يحتقر نفسهُ لا يهيِّئ ذاتهُ لمراكز عالية قال الشاعر

فنفسك أكرمها فانك ان تهُن
عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

ولا محل لان تحسدهم فتتمنى زوال نعمتهم ان الغنى نعمة من الله فجدَّ لتحصل مثل ما حصَّلوا

لا تقُل هذا التلميذ من مواطني عليَّ ان أراف بهِ وذاك اهلهُ اعداء اهلي لاحتقرهُ واضرهُ او ان هذا ابن مذهبي فاحبهُ وذاك عدوّي في الدين فابغضهُ هذا غني فاتملقهُ وذاك فقير فاحتقرهُ . كل هذه الافكار وساوس شيطانية وما يجب ان تدخلهُ معك وتحتفظ بهِ هو هذا اننا جميعنا اخوان تلاميذ مدرسة واحدة فلتكن معاملتنا الصدق والامانة والمحبة والمداراة. ولا يسوغ لي ان احكم على احد لاول مرَّة انظرهُ فيها بل اتربَّص حتى ابلوهُ وأعجم عودهُ فاعرف حلوهُ من مرِّهِ وحينئذٍ اما ان اكرم محامدهُ او اساءهُ على نبذ سوء طباعهِ

الفصل الثاني

التلميذ القديم والتلميذ الجديد

اي الاثنين انت ؟ الاول ام الثاني ؟ فان كانت هذه اول سنة لك في المدرسة يجب ان تكون يقظًا متحفظًا منتبهًا ملاحظًا كلَّ شيء حولك لتعرف كيف يجب ان تسلك وماذا تطلب منك ادارة المدرسة ان تعمله . لا تسارع الى مباشرة امر ولو ببساطة قلب لربما يكون غير جائز لك كتلميذ لان ليس كل ما يسوغ لك كولد في البيت يسوغ لك كتلميذ في المدرسة . تحفظ من

أن تُغَشّ لان المدرسة لا تخلو من وجود مَن فيهم هذه الصفة . راقب احبَّ تلميذ قدم الى الادارة وتمثل به لانهُ اضاف الى حسن الطوية اختبار التلميذ الامين اقتفِ آثارهُ واسترشد برأيهِ . لا تزال تجهل اموراً عديدة تحتاج الى وقت طويل لتعرف كيف تتصرَّف بدون ملامة . وكل ما يصدر منك عن بساطة قلب لجهلك القوانين لا يوصد دونهُ باب التساهل ولكن الذنب او التقصير الذي ترتكبهُ عن تعمد صعب التساهل بهِ . واعلم ان عيون الكل متجهة نحوك اول مجيئك فاعتبارك في عيونهم ومنزلتك في مستقبل ايامك في المدرسة متوقفان على ما يبدو منك هذه الساعات والايام الاولى فان كنت رزيناً مجتهداً اعتُبِرتَ في العيون وان كان بالعكس امتُهِنتَ ومن لنا بردّ منزلة الاعتبار لك . فاقتبس كل صفة حميدة واكتسب من كل حادث خبرة حتى اذا صح ان يُقتدَى بتلميذ فكن ذلك التلميذ

هذا نبديهِ لك ونطلب منك العمل بهِ ان كنت تلميذاً جديداً واما اذا كنت قد صرت قديماً فنطلب منك علاوة على الاستمرار والثبات في كل ما هو حسن ان تنظر الى رفقائك التلاميذ الجدد بعين المحبة . ان اختبارهم قليل يكادون لا يعرفون ماذا يعملون . هم يجهلون القوانين وكيفية معاملة الغير فانتدب نفسك ومدَّ لهم يد الصداقة باخلاص ولو رأيت منهم عدم الاركان اليك اول الامر لان من لم يختبرك لا تطالبهُ سريعاً بالثقة بك فاحتمل

ما يبدو منهم اولاً ولا تتركهم عرضةً للسقوط . أرشدهم الى كل واجب وحبّب اليهم كل صفة حسنة وبيّن لهم كيفية الدرس والطريقة الفضلى التي اختبرتها للنجاح . وارجو ان تحسب هذا من الواجب عليك نحو كل تلميذ جديد ايًّا كان بقطع النظر عن هيئتهِ وحالهِ ومذهبهِ فان كان لطيفًا سهل عليك اكسابهُ المبادئ الحسنة المطلوبة في المدرسة وان ظهرت عليهِ سمات الخشونة فحذّرهُ من التورُّط في الشرّ . ارشد التلميذ الجديد الى ترتيب امتعتهِ ووضعها في محلها وكتابة ثيابهِ او تنبيرها باسمهِ . واذا رأيتهُ مستوحشًا لغربتهِ عن اهلهِ فطيّب خاطرهُ وامسح دموعهُ فبحسن ملاطفتك تزيل قلق افكارهِ وتبعث فيهِ روحًا منعشًا . كثيرون يهجرون المدرسة لعدم وجود تلاميذ عقلاء غيورين يتلافون امرهم . اذا لزم للتلميذ الجديد شراء اغراض وهو غير مختبر فساعدهُ على ذلك . ولعل بعض التلاميذ لا يكترثون لعرض مساعدتك عليهم لا بأس اعمل ما عليك وما تطلبهُ الذمة والضمير الصالح ومن رفض يكون لومهُ على نفسهِ والاختبار يريهِ غلطهُ

الفصل الثالث

انتخاب الاصدقاء

التلاميذ جميعهم اخوانك نسبتهم اليك ونسبتك اليهم واحدة .

ولكن لا يمنعك هذا من الاختصاص ببعض اصدقاء تختارهم لانك ألفتهم واركنت اليهم اكثر من سواهم ورأيت فيهم صفاتٍ حميدة حبَّبتهم اليك . ولكي تنتقي من تعاشرهم على هذه الصفة عليك ان تتربَّص حتى يشهد الامتحان ويصير الظنّ يقينًا . فلا تَمِل قطُّ الى فاسدي الاخلاق ليكونوا اصدقاءك لان قرين السوء بعدي

واحذر موَّاخاة الدنيّ فانهُ
يعدي كما يعدي الصحيحَ الاجربُ

واختر صديقك واصطفيهِ تفاخرًا
ان القرين الى المقارن ينسبُ

وانما تُعرَف صفاتك من عشرائك
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينهِ
فكل قرين بالمقارنِ يقتدي

وان قادك سوء الحظ فسقطت في احبولة فاسد الاخلاق لا يلبث ان يقلب لك ظهر المجن بعد ان ينال ما يرجوهُ بمصاحبتك فيهجر ودادك كما قال الارجاني

تخيَّر من تصاحبهُ فكم من
وثوقٍ عاد آخرهُ وثاقا

اذا خطب الصداقةَ منك كفوٌ
فلا تطلب سوى صدقٍ صداقا

فقد صدئت قلوب الناس غشاً
وقد صُقِلَت وجوههم نفاقا

وجمال الوجه وحسن الطلعة لا يدلاّن بالضرورة على الاخلاق الكريمة قال المحزين الشاعر

وتلقى الفتى ضخماً جميلاً رواؤُهُ
بروعك في النادي وليس لهُ عقلُ

وقال العلاّمة السعدي الشيرازي "ليس كل حسن في الصورة صافياً في السريرة" وقال الثعالبي

لا تجملنّ دليل المرء صورتهُ
كم مخبرٍ سيءٍ من منظرٍ حسنِ

ووجود هذه الصفات في البعض لا يثنيك عن البحث الطويل في اختيار الاصدقاء لان الانسان لا يستغني عن خلٍّ وفيٍّ يطلعهُ على امورهِ ويستنير بخبرتهِ ويبث لهُ شكواهُ

ولا بدّ من شكوى الى ذي مروءةٍ
يواسيك او ينسيك او يتوجّعُ

ما احلى الرفقاء في المدرسة تمضي الحياة والانسان يذكر اولئك الخلاّن . عيناهُ تذرف الدموع ساعة وداعهم وقلبهُ يطفر فرحاً حين لقياهم

ولكن لا يستنتج من زيادة حرصنا في اختيار الاصدقاء

حملك على اساءة الظن في كل واحد سواهم وعدم الاركان مطلقًا الى غيرهم وقطيعتهم. كلاَّ. فالمبادئ المدرسية لا تنشئ تلاميذ على هذه الصفة. واذا امكن ليكن الجميع اصدقاءك. فعم محبتك ولك ان تختار من تشاء للصداقة ممن وجدت فيهم الاهلية

الفصل الرابع

التلميذ الناجح والتلميذ المقصّر

اي الاثنين انت ؟ ارجو ان تكون ناجحًا متقدمًا بين اترابك وكما اني ارجو لك ذلك ارجوهُ ايضًا لكل التلاميذ رفقائك ولكن

ما كل ما يتمنى المرء يدركهُ
تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

فالمدارس لا تخلو من وجود بعض التلاميذ المقصرين. وهنا افرض انك ناجح ثم نعود الى الفرض الثاني اذ احب ان اقدّم بالذكر ما يرغب فيهِ. اني اهنئك بنجاحك اشكرك على اجتهادك اغبطك على معرفتك قيمة الوقت الثمين واغتنامك فرصة وجودك بين وسائط جمة ميسور لك فيها اكتساب المعرفة والفضيلة. وكنت اريد ان يكون الجميع من رتبتك واملي فيك انك انت تريد

ذلك ايضًا لانهُ لا ينقص من قدرك اذا ساواك غيرك فالمجتهد الناجح محمود سواءٌ كان فردًا او بين افراد فلا يطمعك انفرادك بتحصيل هذا الامتياز فلا ترغب فيهِ لغيرك . ادارة المدرسة تحبُّك واهلك يسرُّون بنجاحك وانت في معرفتك وسلوكك المثال المطلوب للتلميذ الاديب المجتهد

لا يجملك اطرائي اياك على الانتفاخ والكبرياء فانك مهما بلغت من النجاح فلا تزال محتاجًا الى الحث لترتقي الى درجة ارفع وربما تكون مرضيًا من جهة وغير مرضيٍّ من جهة اخرى "فلِن وتواضع واتركِ العُجبَ والكبْرا" واحسب انك لم تعمل الاَّ اقل ما هو مطلوب منك . اياك ان تحتقر التلاميذ المقصرين او تفرح حينما يسقطون في الاغلاط . هم متأخرون عنك اما للكسل او لقصور في مداركهم فان كنت ابيَّ النفس فاحزن لتقصيرهم واجعل همك مساعدتهم لتحسين حالهم وتطييب خاطرهم وحثهم على الاجتهاد جيدان تعتذر عن قصور غيرك بالصدق وقبيح ان تفرح لسقوط المقصرين. فخذ هذا التلميذ المقصر جانبًا وانصح لهُ لكي يدرس مثائلهُ برغبة واجتهاد ومواظبة اشرح لهُ جهدك وأفهمهُ ما تعرفهُ مما يجهلهُ هو ولا تظن انك تخسر بذلك كلاَّ بل تثبت معارفك في ذهنك بخدمتك رفيقك وتأتي امرًا جيدًا . وبالاجمال افرض كل تلميذ مقصر انهُ اخوك وتصرَّف معهُ كما تتصرف مع اخيك فتكون قد خدمت الانسانية خدمة حسنة واكتسبت ثناء عاطرًا وذكرًا جميلاً

ولنَعُد الى الفرض الثاني اي انك مقصّر في ما يُطلب منك اول كل شيء ننظر ما هو السبب لتأخيرك واول ما اظنهُ الكسل الذي هو آفة تلامذة المدارس فاياك ان تدعهُ يستولي عليك. واذا لم يكن الكسل فلربما يكون النسق الذي اتبعتهُ في الدرس غير مناسب . تدرس كثيرًا ولكن بدون تروٍّ . هذا النوع من الدرس متعب ومملّ وعقيم الفائدة . اسأل استاذك والنجباء من رفقائك لعلك تستفيد منهم طريقة انسب من طريقتك . او انك حديث السن وقد ابتدأتَ في الدرس عن صغر فامتلأ عقلك بحيث كلّ فلا تستطيع ادراك ما هو فوق طورك . وهنا ملاحظة تجعلك ان لا ترغب في الصفوف العليا التي ينوء بك عبؤُها. او ان طبعك غير جيد تكثر الحركة وقت الدرس وتحب ان تتكلم مع جارك فتصرف اوقات الدرس بما هو غير مفيد فتضرّ نفسك والذين هم حولك . فاذا عرفت السبب لتأخرك فاقلع عنهُ . أما وعيت نصائح استاذك أو ما اثر فيك التوبيخ أما شعرت بثقل الفصاص . كم هو مخجل ان تُعَدَّ مقصّرًا يجرُّونك وراءهم في الصفوف ويا العظم مخجلك اذا عرف اهلك عن تقصيرك هذا . لم يدفعني الى هذه الكلمات القاسية سوى غيرتي على نجاحك . نعم ان انتقال التلميذ من درجة التقصير الى درجة النجاح ليس بالامر الهين خصوصًا اوّل مباشرتهِ ولكنهُ يهون بالمزاولة . فغَرْ من رفقائك المتقدمين وجارِهم في ميدان الدرس وان امكنك

ففتهم وكن مجلّيًا في مضمار هذا السباق ولا تلبث محتقرًا مخذولاً مهانًا . انني لا ارضى لك بذلك قط فلا ترضهُ انت لنفسك . فباشر مذ الآن بغيرة ونحن ندعو لك بالتوفيق والفوز والنجاح

الفصل الخامس

معاملة الضعفاء وخدمتهم

سبقت معنا الاشارة الى هذا الموضوع الذي يحسبهُ العقلاء من قواعد التمدُّن الحقيقي . وقد احببنا ان نفرد لهُ فصلاً للبحث فيهِ نظرًا لاهميتهِ لان كلمة ضعيف تشمل هنا ليس ضعيف الجسم والصحة فقط بل تتناول ضعفاء العقول وفقراء الحال وصغار السنّ ومن في اعضاء جسمهِ عيب من العيوب وقليلي الخبرة ومن تسلّطت عليهم عوائد رديئة تعذّر عليهم التخلص منها فهؤُلاء ضعفاء العزم واخصُّ الذين على فراش المرض ولا نعني التلاميذ المقصرين الذين اشرنا اليهم في الفصل السابق وكل من هو ضعيف وقاصر بوجه من الوجوه

انتَ المطالَب ادى النظام المدرسي بواجباتك الشخصية غير مكلف ان تتعب نفسك لخدمة غيرك : هذا مبدأُ العدل ولكنهُ ليس مبدأَ المروءة والشهامة واذا لم تزرع المدرسة مثل هذا المبدإِ

الحميد في ابنائها تكون مقصرة في اهم واجب عليها . وقبل كل شيء اسألك ان تراجع ما جاء في مت ٢٥ : ٣٥ و ٣٦ . ترى هناك اي نوع من الواجبات معتبر في عيني الديان العادل الذي كان وهو على الارض بالجسد يجول يصنع الخير للجميع ولم يأتِ ليُخدَم بل ليخدِم . يروى عن فكتوريا ملكة انكلترا المشهورة بالتقى والصلاح انها " ارسلت الى مستشفى الجنود دُثُرًا كثيرة من دُثُر الصوف البرلماني ليتغطى بها المصابون وكان احد تلك الدُثُر صنع يدَي الملكة نفسها ودثار آخر صنع الاميرة بياتريس ودثارٌ آخر صنع سيدات ذلك البلاط لكن الملكة خاطت حاشية كلٍّ منها فهذا الصنيع الذي اتتهُ زادها شرفًا اكثر من كل نصرات الحروب التي كانت لها في ايام ملكها كلها " . وحينما زار غليوم الثاني امبراطور المانيا السابق سوريا ورسا يختهُ في مرفإ بيروت قصد توًّا المستشفى البروسياني حيث مركز الضعفاء وبعدئذٍ الثكنة العسكرية حيث مركز القوة . وكل عظماء وفضلاء العالم يجلون خدمة الضعيف قال بعض الفضلاء " ان اردت ان تكون سعيدًا في كل يوم من ايام حياتك فاقصد كل صباح ان تسعد غيرك من اخوتك البشر " . وخلاف ذلك محبو الذات الذين لا يمدُّون ايديهم الاَّ لما يعود الى انفسهم بالربح واللذَّة يتركون الضعفاء وشأنهم يتقلبون على مهاد البأساء والذل . واعظم من ذلك بعض الجهلاء الذين انتزعت من قلوبهم كل شفقة ورحمة بحيث انحطُّوا عن درجة

البهائم فقام بعضهم يدوس بعضًا ويهضم حقوقهُ ويلقيهِ بعيدًا مزدريًا اياهُ كأنهُ مجبول من طينة غير طينتهِ . ماذا يجيب مثل هولاء حين يقفون عن يسار الديّان فيسألهم عمَّا فعلوا باخوتهِ الاصاغر الضعفاء

ربما تقول قد عرفت وجوب الاهتمام برفقائي الضعفاء فكيف اخدمهم وماذا عليَّ نحوهم لاقوم بهِ . انظر ذلك التلميذ الجديد الصغير يتعدّى عليهِ ذلك التلميذ الرديُّ تقدم بشهامة وخلصهُ ليس بان تُصلي حربًا عوانًا بل بطريقة لطيفة مؤثرة . هناك تلميذ فقير لابس اطمارًا بالية وحولهُ تلاميذ لا شفقة في قلوبهم يوسعونهُ هزءًا وشتيمةً وهو بينهم ذليل انتصر لهُ وانقذهُ من شرّهم ووبخهم بلطف على فظاظة طباعهم . هذا التلميذ يوجد عيب في بعض اعضاء جسمهِ هنالك تلاميذ يتغامزون ساخرين بهِ كأنهُ هو صوّر نفسهُ وبفعلهم القبيح هذا يسيئون الادب ليس الى هو وحدهُ فقط بل الى خالقهِ الذي صوّرهُ اجتهد لتجعلهم يعدلون عن هذه الخلّة الذميمة

ان من اضعف الضعاف لدى اللهِ قويٌّ يستضعف الضعفاء هذا التلميذ خارج من حضرة المعلم حزينًا اذ قاصَّهُ على تقصير او سوء سلوك . تلقَّهُ . خذ بيدهِ كفكف دموعهُ وطيّب قلبهُ وأرهِ ان القصد من القصاص خيرهُ وفائدتهُ . ويدخل في هذا الصنف ذوو الطباع الرديئة فاشفق عليهم وغض الطرف عن سقطاتهم

واحتملهم لانك بهذا التلطف تتمكن من استمالتهم واصلاح اخلاقهم

قد رأيناك كيف تنتصر لتخليص الضعيف واخشي ان تكون ممن يتعدّى على الضعفاء قال السيد له المجد "انظروا لا تحتقروا احد اولئك الصغار". وما ادراك انهُ سوف يقوم من هولاء الضعفاء رجال عظام قال احد الافاضل بهذا المعنى

"لا تستخفّ بصبيّ لانهُ رثّ الثياب فان إديسون المخترع الشهير كان اول دخولهِ مدينة بوستن لابسًا بنطلون كنان اصفر في ايام الثلج والشتاء ولم يبالِ بهزء الاولاد

لا تهن ولدًا لحقارة بيتهِ فان ابرهيم لنكلن رئيس جمهورية اميركا العظيم كان في حداثتهِ يسكن كوخًا حقيرًا

لا تعيّر ولدًا بجهل والديهِ فان شكسبير اعظم شعراء العالم كان ابن أُميّ

لا تعيّر ولدًا بحقارة مهنتهِ فان يوحنا بنيان مؤلف كتاب سياحة المسيحي كان تنكاريًا

لا تستهن بولد لنقص او ضعف جسدي فان جون ملتن الشاعر الذي طبق صيتهُ الاقطار كان ضريرًا

لا تحتقر ولدًا لبلادتهِ وقلة فهمهِ الدروس فان هوغرث المصوّر الانكليزي كان بليدًا قليل الفهم وهو تلميذ في المدرسة

لا تضحك بولد لعيّ او لكنة او حجمة فان ديستينس افصح خطباء اليونان كان مجمجمًا فاحسن اللفظ باجتهادهِ

ثم انك لا تقتصر من خدمة الضعفاء على انقاذهم من مضطهديهم بل داوم على ملاطفتهم ومعاشرتهم واسعادهم في كل ما يمكنك مما يحتاجون اليهِ . واهم ما استلفت نظرك اليهِ "خدمة المرضى" . هنالك تلميذ مريض نائم في سريرهِ منفردًا في غرفتهِ متألمًا من اوجاعهِ عيناهُ تذرفان الدمع وهو يدعو اباهُ وامهُ وليس من مجيب نعم ان طبيب المدرسة يعالجهُ والممرّض يخدمهُ ولكنهُ يحتاج الى رفيق ودود لهُ قلب حنون برقُّ لحالهِ ليفتح قلبهُ . واذا لزم لهُ خدمة يسرع الى قضائها عن طيبة خاطر . ما اطيب قلب تلميذ هذه حاسانهُ . اهل جيلهِ يطوّبونهُ . قال بعض الحكماء "الانسان المحسن البشوش مصباح من هم في ظلمات الاحزان والبلايا" وقال الشاعر

ولم ارَ كالمعروف اما مذاقهُ فحلوٌ واما وجههُ فجميلُ

باسف اقول انهُ يوجد تلاميذ فضلاً عن كونهم لا يتنازلون لخدمة رفقائهم الضعفاء قد يشمئزون ويتجنبون من يعودهم . وعلى كلٍّ ان عيادة المريض او خدمتهُ تكون باشارة ورخصة ادارة المدرسة وطبيبها لانهُ توجد امراض معدية يحظرون فيها عيادة المريض . فكل ما يمكنك ان تفعلهُ من اعمال الرحمة فافعلهُ بقوّتك والله لا يضيع اجر المحسنين

الباب الثاني عشر

الآداب المدرسية

١

"المحبة سلسلة ذهبية تربط الجميع معاً"

ان العاطفة التي تشعر معها بالارتياح حينما ترى الآخرين مسرورين في حال النجاح والتقدم وبالاسف والامتعاض حين تراهم كاسفي الوجوه في حالة الفشل والتأخر. العاطفة التي تدفعك الى زجّ نفسك بين اولئك القوم لوضع كتفك بجانب اكتافهم لرفع شيء مما ينوءون به من اثقال هذه الحياة او لاقتيادهم في سبيل السلامة حين تهددهم صروف الدهر بكوارثها تلك العاطفة ان رمت التصريح باسمها الكريم فقل هي عاطفة المحبة الشريفة . المحبة تحلي عيشك وعيش اخوانك بني البشر في حالَي السرور والكآبة ولما

سُئل المعلم العظيم سيدنا يسوع عن اية الوصايا هي العظمى في الناموس حصرها في محبة الله اولاً ومحبة الناس ثانيًا

اعظم محرّك لك يحثك على السير في سبل النجاح كتلميذ في المدرسة وكرجل في العالم هو المحبة . فاذا امتلكتها اصبح كل ما يصدر من ادارة المدرسة محبوبًا لديك موضوعًا في محلهِ المناسب تغار بكل قوتك لتنفيذهِ. هذه المحبة تجعل الدرس لذيذًا والقانون حريةً والامر مرغوبًا فيهِ . بالمحبة تخدم المدرسة ومن يحتاج الى خدمتك فيها عن طيبة خاطر. بالمحبة تغضي عن قصور رفقائك في واجباتهم نحوك ومعاملتهم لك . المحبة تجعلك تختلق اعذارًا لمن يسيء اليك . السلام لكِ ايتها المحبة . ملاك اللطف ورسول السماء وعنوان الاخوّة . بهجة القلوب . هنيئًا لمن امتلككِ فانهُ هو السعيد الذي تطوّبهُ الاجيال

٣

اللطف والوداعة والحلم

لو تجسمت هذه الصفات الثلاث لاتخذت اجسامًا نورانية لطيفة لان هذه الاجساد الكثيفة لا تليق بها نظرًا لدقة لطافتها . ما اسهل النطق بها على اللسان كأن الحروف شعرت بلطف ما تعبّر عنهُ فلانت وعذبت . الاسماع حين تبلغها تشعر بلذّة فائقة

وعلى الاجمال ان من اتصف بها يقال عنهُ ما قيل فيها ولسان حال الجميع اليهِ

كانك من كل الطباع مركَّبٌ
فانت الى كل الانام حبيبُ

فكن لطيفًا في حديثك ومعاشرتك وسائر واجباتك . وديعًا في معاملة الغير خصوصًا من هم دونك سنًّا او مقامًا . حليمًا ساعة الغضب قال الشاعر

من يدَّعِ الحلمَ أغضبهُ لتعرفهُ
لا يُعرَف الحلمُ الاَّ ساعة الغضبِ

قال بعض الحكماء "اطفئ نار الغضوب بالحلم واخمد لهيب الجهول بالعلم" . وقالوا "ما قُرِن شيءٌ بشيءٍ ازين من حلم الى علم"

فهذه ثلاث لآلئ ينتظم منها عقد بديع اذا فرطت منها واحدة ذهب رونق ذلك العقد فاحرص عليها جميعها

٣

الصدق زَين والكذب شَين

ما احسن الصدق في الدنيا لقائلهِ
واقبح الكذب عند الله والناسِ

اذا سقط الانسان في عيوب كثيرة ولكن بقي لهُ الصدق هان عليهِ النهوض من سقطاتهِ والتخلص من عيوبهِ . واذا تحلَّى المرء

بجميع الصفات الحميدة الاَّ انهُ اتبع الكذب فادتهُ هذه الصفة الذميمة الى التهوُّر في سائر الطباع الرديئة وسلبت منهُ كل فضيلة. جاء احد الرجال بابنهِ الى المدرسة وقال للرئيس : لا اظنك قادرًا ان تصلح اخلاقهُ لانهُ مملوءٌ شرًّا وفسادًا . فقال الرئيس هل يتكلم الصدق ويمكنني ان اثق بكلامهِ دائمًا . قال الرجل نعم فانهُ لا يقول الاَّ الحق ولو على نفسهِ . فقال الرئيس دعهُ واذهب فانك تجدهُ بعد قليل رجلاً فاضلاً

ومن البلية ان الكذاب لا يصدَّق وان صدق
اذا عرف الانسانُ بالكذب لم يزلْ
لدى الناس كذابًا وان كان صادقا

فعوِّد شفتيك ان تنطقا بالحق ولا تتخلق بهذا الخلق القبيح فانك متى عُرِفت بهِ اعرض الناس عنك متجنبين معاملتك فلا يثق احد بك وماذا يعمل من خسر ثقة الناس بهِ . الذنب خطيئة في ذاتهِ ولكن اذا قُرِن بالكذب يلدُ خطيئة اخرى فتكون الضلالة الاخيرة شرًّا من الاولى . فكن صادقًا في حديثك وفي اقرارك عن نفسك وعن غيرك في سرورك وفي حزنك وفي سكوتك في كلامك وفي صمتك

ولربما كذب امرءٌ بكلامهِ وبصمتهِ وبكائهِ وبضحكهِ

٤

"تكلموا تُعرَفوا"

قال الامام عليٌّ "تكلموا تُعرفوا فانَّ المرءَ مخبوءٌ تحت لسانهِ". وقال احد الفلاسفة "كما ان الآنية تُمتحَن باطنانها فيُعرَف صحيحها ومكسورها فكذلك الانسان يُعرف حالهُ بمنطقهِ". وقال الشاعر

ان الكلام لفي الفؤادِ وانما
جُعل اللسانُ على الفؤادِ دليلا

"اختار زينو الفيلسوف من الفضائل السكوت وقال انما اخترتهُ لاني بهِ اعرف عيب المتكلم واخفي عيوب نفسي". قال بعضهم "اذا شئت ان تحفظ لسانك من الزلل فاحرص على خمسة وهي ان تفكر على مَنْ تتكلم ومع من تتكلم وطريق التكلُّم ووقتهُ ومكانهُ". وسئل سقراط مرَّةً لماذا لا تتكلم كثيرًا فقال خلق لنا اذنان وفم واحد لكي يسمع الانسان اكثر مما يتكلَّم. وان كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب. وجاء في الامثال الصينية "الكلمة التي تتفوَّه بها لا يقدر على ردها مركبة يجرُّها ستة افراس". ومما جاء من اقوال الحكماء ايضًا "اقوى انسان من قدر على حفظ لسانهِ وطهارة جنانهِ" "لان المرءَ باصغريهِ قلبهِ ولسانهِ". فلا تنجِّس لسانك بالفاظ بذيَّة ولا تكثر الكلام من غير رويَّة ولا

تشتم من شتمك لان "من سبَّ اللئيم اذا سبهُ كمن عض الكلب اذا عضهُ"

جراحات السنان لها التئامٌ
ولا يلتامُ ما جرَحَ اللسانُ

واسأل الله ان يجعل حارساً لفمك ويحفظ باب شفتيك

مت بداء الصمت خيرٌ لك من داء الكلام
انما العاقل من ألجمَ فاهُ بلجام

فلا تهنْ احداً بكلمة ولا تكسر خاطر ذليل بشتيمة ولا تقبح بسيرة غيرك معدداً معائبهُ لان "قلع الاضراس خير من القدح في اعراض الناس". ولا تنطق باسم الله بالباطل ولا تستعمل الكلمات المقدسة في معرض الهزل والخلاعة بل زن كلامك بميزان الحكمة تسلم من شرور كثيرة

اغتنام الوقت

اذا مرَّ بي يومٌ ولم استفد بهِ
ولم اكتسب علماً فما ذاك من عمري

الوقت ثمين في حد ذاتهِ ولكن قيمتهُ تُدرَك في بيوت العلم باكثر وضوح. فان مرَّت دقيقة على مئة وعشرين تلميذاً بالبطالة تخسر

المدرسة افادة ساعتين كاملتين . اذا خسرت مالاً يمكنك ان تستردَّهُ واذا خسرت جاهًا امكنك ان تعيدهُ واما اذا اضعت وقتًا فيستحيل عليك ترجعهُ

امسِ الذي مرَّ على قربهِ
يعجز اهل الارض عن ردهِ

فترقَّب الفرص لئلا تفوتك قبل ان تستخدمها لفائدة ما . " قيل لرجل كيف اكملت كل هذه الاعمال في حياتك . فقال ابي علمني انهُ اذا كان عليَّ ان اعمل شيئًا وجب ان اعملهُ حالاً . فالسر العظيم هو ان تعمل ما عليك في الحال " فاغتنم الوقت لانهُ مال واثمن من المال . " قيل ان الفرصة عجوز هرمة قد تناثر شعر قذالها وتكاثر شعر ناصيتها فان ابتدرتها من قبل مسكتها وان تركتها حتى جاوزتك لم تقدر على مسكها انت ولا زفس نفسهُ "

ان امكنت فرصةٌ فانهض لها عجلاً
ولا تؤخر فللتأخير آفات

قال سنيكا "الوقت خزانة الفضائل" وقال لاواتر "اعظم القواعد الادبية اعتبار الله ثم الزمان" . وقال نابوليون "احسب كل دقيقة تضيع في حدائقك مصيبة في شيخوختك واياماك الآتية" . وقال هنري مرتين "الشريف من لا يضيع ساعة من وقتهِ"

وبما ان نظام المدرسة قد عيَّن لكل شيء وقتًا فاعمل كل امر في وقتهِ وبذلك ينمو عقلك وجسدك وكل قواك ولا

تفوتك فائتة واذا تهاونت في ذلك اضعت الوقت سدًى . وما احسن ما قال بعضهم " الاولاد والشبان الذين يتوقع الوطن اسعادهم هم الذين لا يضيعون فرصةً من فرص اكتساب المعارف وهم في المدارس "

٦

الاجتهاد والكسل

لو كان هذا العلم يحصل بالمنى
ما كان يبقى في البرية جاهلُ
اجهد ولا تكسل فلا تكُ جاهلاً
فندامة العقبى لمن يتكاسلُ

قلنا في ما مرَّ ان الكسل آفة تلامذة المدارس فاياك ان تدعهُ يستولي عليك لانهُ لا يجعلك منصرًا في مثائلك فقط بل يقودك الى الصفات الرديئة لان " راس الكسلان معمل الشيطان وفي عقل البليد شيطان مريد ". قال بعضهم " اجمعت العقول على ان الكسل اوسع ابواب الشرّ والفساد والخمول والموت الادبي والهلاك الابدي . ولذلك الكسلان لم يستحسن الحكيم ان يرسلهُ الى مدارس العلم بل ارسلهُ الى قرية النمل ليتعلم الحكمة " . والكسل

مضرٌّ للعقل والجسد معًا قال بعضهم "من الامراض الادبية ما يضعف العقل دون الجسد ومنها ما يضعف العقل والجسد معًا وهو الكسل فانهُ المانع الاوّل من نقوّي الاعضاء الجسدية اذ كل عضو لا يعمل يضعف حتى يصير قريبًا من العدم وهو المانع الاعظم من النمو العقلي فان كل عقل لا يعمل لا يعلم ويضعف على توالي ايام الكسل"

لا عذر لك على كسلك في المدرسة اذ لا ينقصك شيء. كل ما تحتاج اليهِ للمساعدة ميسور لك. ما اطول الوقت على الكسلان فانهُ يمرُّ ببطء كلي. عيناهُ تشخصان الى الساعة منتظرًا انتهاء مدة سجنهِ في غرفة الدرس ليغادرها الى ساحة اللعب. ان اعضاء جسم الكسلان رخوة لا يستطيع ضبطها مستقيمة بل يتركها منفعلة لقوة الجاذبية فتراهُ يلقي جسمهُ على اي شيء وصل اليهِ برخاء كلي كأنَّ لا عظم فيهِ بل ركّب من موادّ لزجة. اشير عليك ان تغادر هذا الالف الثقيل الوطأة مشمرًا عن ساعد الجدّ والاقدام. قال بعضهم "ان الاجتهاد من اعظم طرق النجاح فان من رام ان يعمل شيئًا فليعملهُ بكل قوتهِ وقدرتهِ وليوجه اليهِ كل قواهُ ومن عمل عملاً بغيرة ونشاط وثبات نجح نجاحًا عظيمًا ولا يتم عمل شيء بلا جدّ واجتهاد". فتوسم الخير في كل امر تفعلهُ ولو حال دونهُ اعظم المصاعب لان الامل يحيي العمل وينجحهُ. فيد الكسلان تورث الفقر ويد النشيط تستغني قال الحكيم "كل ما تجدهُ يدك

لتفعلهُ فافعلهُ بقوَّتك ". وقال ابن الوردي

اطلب العلم ولا تكسل فما
ابعد الخيرات عن اهل الكسَلْ

٧

الولد الظريف

اعني بهِ الذي يتمم كل ما يطلب منهُ في وقتهِ بامانة ومواظبة واتقان . ونستغني عن وصفهِ بايراد حادثة عن صبي ظريف كما وردت في النشرة الاسبوعية الغرَّاء وهذا نصها

" اعلن احد التجار انهُ يريد صبيًا مساعدًا لهُ في متجرهِ فجاء اليهِ نحو خمسين من الصبيان فاختار واحدًا منهم وترك الباقين فقال لهُ احد اصحابهِ عجبت من انك قبلت هذا الصبي بلا كتاب شهادة . فقال لهُ اخطأت يا صاح فاني رأيت منهُ كتب شهادات كثيرة منها انهُ قبل ان دخل مسح حذاءهُ واغلق الباب بعد دخولهِ واعطى ذلك الصبي الاعرج الكرسي الذي كان هو جالسًا عليهِ ورفع برنيطتهُ حين دخل واجاب على مسائلي بكل حشمة ووقار وشجاعة ورفع كتابًا كنت قد وضعتهُ على الارض عمدًا ووضعهُ على المائدة مع ان كثيرين من اولئك الصبيان داسوهُ

وكثيرون منهم صدموهُ باقدامهم . وصبر واقفًا الى ان جاءت نوبتهُ فلم يأتِ شيئًا مما اتوهُ من الزحام ولما خاطبتهُ نظرت ثيابهُ نظيفة وشعرهُ مرتبًا حسنًا واسنانهُ بيضاء كالثلج . ولما كتب اسمهُ نظرت اظفارهُ مقلمة نظيفة . أفلا تحسب هذه كلها كتب شهادة . هذا واني لأثق بشهادة عيني بعد ملاحظة عشر دقائق اكثر مما اثق بكل ما اتلوهُ من امثال تلك الكتب "

وقد صدَّر مترجم هذه النبذة هذا النبأ بقولهِ "الانتباه يا صبيان" فاصيخوا لندائهِ متمثلين بفتاهُ . قال الحكماء "شهادات الفعال خير من شهادات الرجال"

٨

واجبات خاصة بالبنات

لحضرة الاديبة الآنسة مريم زكا

من اخصّ واجبات البنت في المدرسة حسن اعتنائها بترتيب ثيابها وشعرها وسائر اشغالها مع المحافظة على النظافة التامة فيجب ان يُغسل الجسم كلهُ مرّة في الاسبوع والوجه والعنق يوميًّا وان يُمشط الشعر كل يوم ويرتب على طريقة مألوفة حتى لايكون محلولاً ولا منفوشًا اما زيادة التأنُّق في عقص الشعر وضفرهِ

فما لا يحسن في البنت الدئبة في دروسها . ويجب ان تتجنب تحسين الوجه الخارجي وتكحيل العيون وغير ذلك مما لا يليق بطالبة العلم . وليس من الضروري ان تلبس الثياب الفاخرة الثمينة بل يكفي ان يكون ثوبها نظيفًا بسيطًا مرتبًا ليس ممزقًا مخرقًا ما يدل على اهمالها . وايضًا لا تشغل افكارها بلبس الحلي كالخواتم والاساور وما شاكل . ومما يجب ان تعتني به ترتيب غرفتها ان كان لها غرفة خصوصية وترتيب فراشها وثيابها في الخزانة وكتبها ودفاترها واقلامها في مكتبتها ولوازم شغلها اليدوي في كيس خصوصي لذلك

ان امر الشغل البيتي والنظافة والترتيب منوط بالامرأة بنوع خاصّ فلذلك يجب على الابنة في المدرسة ان لا تستنكف من العمل وتأبى بكبرياء الخدمة المدرسية المعينة بل ان تبذل الجهد في اتقان العمل المفروض . فانها متى تعوّدت على النظافة والترتيب مع اتقان العمل منذ الصغر سهلت عليها المواظبة على هذه الواجبات متى صارت ربة بيت ورئيسة عائلة . ومما يجب عليها المحافظة على آداب المائدة المشهورة لان ذلك يدل على حسن تهذيبها وطيب اروماتها . وكذلك يجب عليها ايضًا الاعتناء باجتهاد والتمرّن على الصناعة اليدوية كالخياطة والتطريز واشغال الابرة المتنوعة وكل فن مستظرف لان ذلك يفيدها وتهمها في خياطة اثوابها وتزيين بيتها . فان بذل الدراهم لمشترى لوازم الاشغال

قصد التعلم افضل من بذلها في مشترى سلع قصد الزينة لان في ذلك ربحًا وان كانت ليست ممن تمكنهنّ الحال لضيق ذات اليد فلتشتغل لرفيقتها الموسرة لتحصيل الفائدة المرغوبة

يُطلق على جنس الاناث اسم الجنس اللطيف ويوصف بالكياسة والجمال فيجب على ابنة المدرسة ان تجتهد وتحافظ فضلاً عن زينة القلب على الكياسة واللطافة في سيرتها الخارجية وتصرُّفاتها المتنوعة ومعاشرتها . فان كانت في الكنيسة او مكان آخر حيث تُقام العبادة يجب ان تجلس بكل هدوّ ووقار واحترام فلا تلتفتِ بالنظر الى ثياب غيرها ولا تلتفت الى الوراء عند اقل حركة . وفي اوقات المدرسة المتنوعة يجب ان تتجنب رعونة السلوك كالنفور والعناد والاجوبة الفظة والاسئلة لغير داعٍ . ولتكن موقرة ومطيعة لمعلماتها ومعتبرة لرفيقاتها . وفي اوقات التنزُّه والفرص المعينة يجب ان تتجنب الالعاب العنيفة الخاصّة بالصبيان . وحين تشترك مع رفيقاتها بالمسرات والملاهي يجب ان ترفق بالصغيرة وتوطن النفس على اسناد الضعيفة وتجتهد في مخاطبة الجميع بالرقة واللطف . ومما يشين اللطافة الهزل القبيح والمزاح الكثير اللذان يفضيان الى سوء النتيجة ومثل ذلك استعمال الكلام الغير اللائق الذي يغض من كرامتها . ومما يجب عليها تجنبهُ وهو مناف للطف استعمال الاقسام وتعويد اللسان على الحلف على اختلاف صورهِ

ان حدّثت يجب ان يكون كلامها بالهدوّ وانخفاض الصوت لان رفع الصوت امر غير لائق بالبنات المهذّبات وكذلك الثرثرة اي كثرة الكلام والقهقهة عند حدوث اقل داعٍ او اشارة تصير امامها في الصف او خارجه . حين مقابلتها معلماتها او احد الزائرين ممن يؤذن لها بالتكلم معهم يجب ان تسرع بالتحية اوّلاً ثم ان كُلّمتْ او سُئلتْ شيئًا فلتصغِ الى تتمة الكلام ثم تجب بصوت واضح العبارة مع الرصانة والهدوّ التامّين ليس بالتصنّع والتعظم ولا تخفض الصوت واحناء الرأس كما يفعل البعض ولا بالضحك والقلوّي تغنجًا كما يفعل البعض الآخر . وكذلك لا يليق بها وهي ماشية التمايل غنجًا ودلالاً ولا التلوّي والالتفات يمينًا وشمالاً مما يدل على الخفة والطيش بل يجب ان تمشي باعتدال منتصبة القامة . ومما يجب على التلميذة في اوقات الفراغ ان تجتنب قص الروايات او الحكايات والاحاديث الفارغة مما يقف في سبيل تقدّم قواها العقلية . ولا يسوغ للابنة ان تكتب لغير اهلها وذوي قرباها الادنين وصديقاتها كما انهُ لا يجوز ان تقبل مكاتيب من غير من ذُكروا والاّ صدق عليها قول بعض البسطاء الذين يعترضون على تعليم البنات بانهنّ متى تعلمن الكتابة يراسلن غير من تجب مراسلتهُ . فعليكِ ايتها التلميذة ان تتسربلي بجلباب الرزانة والتعقّل وتحافظي على شرف اسمكِ من الانثلام لئلا تقعي في الندامة وبئس المصير . فالاجدر بكِ ان تنتهزي الوقت

وانتم في رياض العلم لاكتساب الفوائد واجتهدي في حفظ القوانين المدرسية لتنالي الفخر وتحرزي قصبة السبق والفلاح

قد ذكرت اولاً انهُ ليس من الضروري التزين بالحلي والثياب الثمينة على انهُ يجب التزيُّن بحلي الآداب وبشاشة المحيا والتخلق بالاخلاق الحميدة فحسن الخُلق اجمل وافضل من حسن الخَلق ورداء الحياء والوقار اكيس رداء وحلي المحبة والوداعة والحشمة والسير على سنن الفضيلة ودماثة الاخلاق وحب السلامة اجمل واثمن حلي تقلد الابنة بها جيدها وتفاخر اترابهـا . وحسن الطبع هذا هو الحسن والجمال الحقيقيان وهاك ما قالهُ احد الشعراء

فحسن وجهٍ ذاهب كالهبا
وحسن طبعٍ راسخٌ كالجبال
فجمّلي الطبع وحلي النهى
لتفقني الحسن العديم الزوال

فحذارِ حذارِ ايها الجنس اللطيف فان مسؤوليتكنَّ عظيمة وواجباتكنَّ خطيرة فانتنَّ عماد الامة وسبب سعادتها . ركن ترقي الوطن الحقيقي . اليكنَّ يشار بالبنان والجميع يرقبون سيرتكنَّ فلتكن بلا لوم ولا تثريب بعون الله

٩

الاعياء العقليُّ والثبات

مهما بلغت الرغبة من التلميذ فلا بدَّ من ان يأتيهِ وقت يُعجِز عقلهُ فيهِ ويكلُّ لان القوى العقلية تتعب كالقوى الجسدية . فيرى ذلك التلميذ ان هذه الواجبات تقتضي الكدح الزائد والمثابرة الدائمة يومًا بعد يوم واسبوعًا بعد اسبوع يضع رأسهُ على مخدتهِ مساء ليرتاح من هذا العناء فلا يفتح عينيهِ صباحًا الاَّ ويرى هذه الواجبات تستقبلهُ . فمهما كان عزمهُ شديدًا فلا بد من ان يكلَّ . يرى الكتب التي بيدهِ ضخمةً وعليهِ ان يمرَّ عليها جميعها في سنتهِ خصوصًا اذا تمثلت امامهُ السنون المقبلة فيرى الامر مستحيلاً على قواهُ الخائرة . وهذا قد يصيب اكثر التلاميذ رغبةً واجتهادًا . ولا لوم على من تخور قواهُ تحت هذه الاعباء الثقيلة انما يلام من استسلم اليها ورزح تحتها وحاول التملُّص منها . قال يوحنا هنتر "من توهين المصائب عزمهُ لا يفلح ومن يتغلب عليها ينجح" . وقال رو الشاعر ما معناهُ "ان الحكماء وأُولي العزم يغلبون المصاعب واما الحمقى والبلداء فيعتريهم الرعب حالما ينظرون المشقة والخطر وهم يخلقون المصاعب" . وقال الدكتور جنصن "ان عدم الجلَد على الدرس

من امراض الجيل الحاضر العقلية " وما صدق على جيلهِ يصدق على جيلنا

فرجال العزم الذين يُذَّخرون للشدائد هم الذين تتجدَّد همتهم في وسط اعظم المصاعب فيخرجون منها ظافرين مكلَّلين بالفوز والنجاح تبرق اسرَّتهم فرحًا ونشاطًا وحينئذٍ يرون تلك المصاعب التي شادها الوهم الخائر قد زالت شيئًا فشيئًا وتمَّ كلُّ عمل في وقتهِ على ما يرام . ونحن نورد لك مثلاً يذهب بملك ومع ذلك تعرف منهُ مقدار فعل المواظبة واحياء القوى الخائرة

" من امثال الصينيين في الصبر والثبات ان احد علمائهم اخذ يؤلِّف كتابًا في الحكمة الادبية فوقع في مشاكل كثيرة الجأتهُ الى ان يئس من اتمام الكتاب فتركهُ حزينًا كئيبًا . ثم اتفق انهُ رأى يومًا امرأة تشحذ عتلة (مخلاً) على صخرة فسألها عن علَّة ذلك فقالت اني احتجت الى ابرة فلم اجد فعزمت على ان اشحذ هذه العتلة الى ان تصير كالابرة . فقوي فيهِ الامل وحيي العزم والصبر والثبات وشرع يجتهد في حل المشاكل الى ان ألَّف كتابًا نفيسًا في الآداب فذاع صيتهُ في الآفاق وكان من مشاهير حكماء الصين "

١٠

غرفة الدرس

لما كان يقتضي التمعن ملياً في الدروس لفهمها وحفظها الهدوء التام كان من الواجب على التلاميذ المحافظة عليهِ بكل دقة وضبط . يوجد معلم او عريف معكم في وقت الدرس فلا تحسب وجودهُ ثقلاً يقيد حريتكم انما غايتهُ المحافظة على الهدوء التام ليستطيع العقل ان يجري بحرية في تفهم ما يدرسهُ . فالضرورة واللياقة تستدعيانك الى تجنب اقل حركة تزعج احداً في المدرسة مثل التكلم مع جارك القريب والاشارات والتغامز مع صديقك البعيد واخذ كتاب وترجيع آخر مراراً كثيرة على غير لزوم وضرورة وبدون اعتناء . ايضاً حركة الارجل وحكها على الارض وتقديم المقاعد والمكاتب وتأخيرها وتكثير الاستئذان على غير لزوم وصرف وقت طويل في هندسة وضع الكتب في وقت الدرس اللازم لحفظ المتائل

ان المحافظة على هذه الامور تحسبها مما لا يعبأ بهِ مع انها فضلاً عن الاستفادة العلمية تدل على اخلاق كريمة في متبعها واليك مثالاً لذلك . "اتى ولدٌ من احدى فرض بستون الى

تاجر مشهور في تلك المدينة يطلب شغلاً في متجرهِ فقال لهُ التاجر ماذا كنت تعمل ؟ قال : شغلت نحو سنتين بقطع الخشب ونشرها كوالدتي . فقال وما الذي لم تعلمهُ ؟ فاطرق الولد قليلاً عند هذا السؤال وقال : لم اكلم احدًا من تلامذة المدرسة في وقت الدرس مدة السنة كلها " . وماذا صار لهذا الولد الامين ؟ ان ذلك التاجر قبلهُ وعين لهُ شغلاً في متجرهِ

واعلم ان مكان الدرس يجب ان يكون محترَمًا حتى في اوقات الفرص فلا يليق ان يركض فيهِ التلاميذ بجلبة وصخب ولا يدخلوا اليهِ او يخرجوا منهُ بازدحام يدفع بعضهم بعضًا . توجد ساحة لاجل اللعب ولذلك لا تهن غرفة الدرس بلعبك فيها . واذا اقتضى الحال الكلام في غير وقت الدرس فلا يكن بصوت عالٍ اعتبارًا للمكان . توجد غرفة خصوصية للنوم فاكتفِ بها واستغنِ عن صرف قسم من وقت الدرس نائمًا . لتكن كتبك مرتبة على كيفية يتسهل لك معها تناول كل كتاب وقت الحاجة اليهِ . يوجد مكان ووقت للاكل فلا تجعل مكتبتك خزانة نقولات تاكل منها اختلاسًا من حين الى آخر . ان تكلُّف التضخم والسعال على غير لزوم بسبب ازعاجًا للموجودين خصوصًا اذا اشترك فيهِ كثيرون . وعليهِ انت لست وحدك تسبب الازعاج في غرفة الدرس بمثل هذه الحركات فلو كان الامر كذلك لهان احتمالهُ ولكن كثيرين غيرك قد يتشبهون بك وماذا يكون امر الدارسين

والمدرسة والحالة هكذا ؟ فاضبط نفسك وحرّض رفاقك لكي تحافظوا جميعًا على الهدوّ التام في ذلك المقام

١١

ساعة التسميع

يقتضي مراعاة الهدوّ والسكينة في الانتقال من غرفة الى اخرى ساعات التسميع . فلا تغتنم تلك الدقيقة لسؤال او حديث او اقل شيء يحدث قلقًا . ثم اذا سبقك المعلم فدخلت عليهِ فحيِّهِ باحترام وقف مع رفقائك كل في مكانهِ حتى يأمر لكم بالجلوس . واذا اتفق ان سبقتموهُ فقفوا معًا حين دخولهِ واجيبوا تحيتهُ بوضوح . لايهمك اين يتعين مكان جلوسك أقرب المعلم ام بعيدًا عنهُ في رأس الصف او آخرهِ لانهُ لو كان في الموضع سر لصنعنا لك كرسيًا من عاج يكسبك اعظم معرفة . وعليهِ انت في غنًى عن مزاحمة رفقائك في اختيار المكان فحافظ دائمًا على الموضع الذي يعين لك . وليكن كلامك وسؤالاتك كلها موجهة الى المعلم فلا تغتنم فرصة اشتغالهِ بغيرك لتتحادث مع جارك او تستفهم عن قضية تجهلها . من سوء الادب ان يضحك التلميذ في الصف لغير داعٍ وهذا يجوز اذا قصد المعلم ان يذهب بملل تلاميذهِ بنكتة ترويحًا لاذهانهم . كن كلك آذانًا مستوعبة نطق المعلم وشرحهُ .

حينما تُستدعى للتسميع في نوبتك انتصب باعتدال واحتشام وجاوب كما تعرف وانت رائق الفكر. لا تغضب اذا غمضت عليك مسألة ولا تبدِ اقل حركة تدل على سوء خلق فيك. واذا مدحك استاذك فلا تستولِ عليك الخفة والخيلاء. واذا انتهت نوبتك فاجلس كما وقفت كمن عقلهُ صاحٍ غير مضطرب. كن منتبهًا لكل مسألة سواء وُجهت اليك او الى غيرك وهكذا استمرّ الى آخر الوقت والاّ يبغتك المعلم بسؤال وانت في غيبوبتك فترتبك ويُشكل عليك الجواب فتجلس تخجل. ولدفع ذلك ولاستفادتك اكمل استفادة عليك بالاصغاء التام الوقت بطولهِ. قال بعضهم "الاصغاء هو الركن الذي تبنى عليهِ كل فوائد التعليم ولست اريد بالاصغاء مجرّد سكون جلبة الطلبة وكفهم عن اللهو. ولا اصغاء الذين الى جانب الموجه السؤال اليهِ. انما المراد الانتباه التام الاختياري لكل ما يلقيهِ اليهم المعلم فيعمدون الى استيعابهِ وذخرهِ في خزائن اذهانهم. فالمراوحة بين الاصغاء واللهو واصغاء الغبّ الصادر عن غير روية حينما يذكر ما يأخذ بمجامع افئدتهم لا يُعَدُّ اصغاء لانهُ لا يكون لهم عند ذلك مندوحة للتغافل عنهُ والخلاصة انهُ حيث لا اصغاء فلا تعليم"

ولا تنظر الى الساعة كثيرًا لتعرف متى ينتهي الوقت كانك متضجر من طولهِ. ومتى انتهى الوقت فاخرجوا بترتيب كما دخلتم

١٣

الاصطفاف

اتقان الاصطفاف امر رئيسي في النظام المدرسي في الخروج الى التنزه والرياضة والذهاب الى بيت العبادة والدخول الى الاجتماعات الرسمية ونحو ذلك . فاذا وُضعت مع احد في موضع معلوم حسب ترتيب المناظر فحافظ دائمًا على ذلك الموضع الاَّ اذا غيَّرهُ الموكول اليهِ امر الاصطفاف حين الاقتضاء . لا تلجئ الناظر الى صرف وقت طويل كل مدة في التنبيه والتوبيخ واستدعاء كلّ باسمهِ ليلزم مكانهُ بل حالما يدق الجرس او تعطى الاشارة بادر الى مكانك وقف فيهِ بهدوّ وسكون ونشاط . وحين تؤمرون بالمشي لتكن الخطوات ثابتة بترتيب فلا يسوغ ان تمدّ رجلك لعرقلة رفيقك او تدوس على رجليهِ او تمدّ يدك لتنحسهُ او تدفعهُ امامك او تبدي حركة ما مسببة للتشويش وتخريب النظام

يوجد امران ضروريّان في الاصطفاف وهما السكوت والانتباه . فلا تبدأ بحديث ولا تنهِ حديثًا قد بدأت بهِ سابقًا ولا تستدعِ احد لروْية شيء في الطريق . قد يبقى التلميذ صامتًا ولكن افكارهُ تشرد الى اماكن بعيدة فيحيد عن موازاة رفقائهِ وهو

لا يشعر بذلك . او ان يسبقهُ من تقدمهُ ويزحمهُ من تأخر عنهُ فلا يدري الاَّ والعيون شاخصة اليهِ لعدم انتباههِ. فاحفظ نسبتك الى رفيقك الماسك بيدهِ ماشيًا الى جانبهِ مساويًا لهُ والى من امامك مكوِّنًا مع الاثنين زاوية قائمة وابقَ كذلك حتى المكان المقصود . لا تكثر الالتفات يمينًا وشمالاً حاسبًا انك ماشٍ في برية منفردًا . ما اجمل الاصطفاف التام الترتيب وما اقبحهُ اذا استولى عليهِ التشويش وعدم النظام

١٣

المشي

يمكنك ان تحكم على اخلاق شخص من هيئة مشيهِ وفي الغالب ترى ان لكل شخص مشية مخصوصة. فاذا رأيتهُ يطفر بخفة واسراع غير معتدل على غير داعٍ استدللت ان معهُ نزقًا وطيشًا . واذا بصرت بهِ يمشي برخاوة منحنيًا تاركًا يديهِ وسائر اعضاء جسمهِ متهدِّلة حسبتهُ غير نافع للاعمال التي تستدعي الهمة والنشاط . واذا نظرتهُ وهو يمشي في عرض الطريق متكلفًا الانتصاب او مقدمًا صدرهُ قليلاً الى الامام يجعل ليديهِ ورجليهِ حركة خصوصية قلما يلتفت ذات اليمين او ذات الشمال ادركت انهُ مصاب بعجب وخيلاء . وان لاحظتهُ واذا هو يتسلل بجانب الجدران خشية ان تراهُ العيون

فاعلم انهُ ذليل لهُ نفس صغيرة . واذا شاهدتهُ ماشيًا مع رفقائهِ يتوكَّأُ عليهم منحنيًا على هذا ثم ذاك يعطي هيئة خاصة لضحكهِ وحركاتهِ فقل انهُ تلميذ منحنث

واما اذا رأيتهُ يمشي باعتدال حسبما تستدعي الحال التي هو ذاهب بشأنها بدون ابداء تكلف او اقل مظاهرة غير طبيعية يجبي من يصادفهُ ممن تجب تحيتهُ لا احد يلاحظ في حركاتهِ امرًا غير لائق فاحكم ان المدرسة تريد ان تنشئ تلامذتها على هذا النسق لانهُ تلميذ عاقل رائق عفيف مرتب محبوب

ومن المنكر في المشي ان يجرَّ الماشي رجليهِ كأنهُ يسحبهما على الارض فيسمع صوت حفهما فارفع رجليك في مشيك دفعًا لمثل ذلك . واذا تيسرلك المرور من وراء من هو اكبر منك فلا تمرَّ من امامهِ ولكن اذا اضطرتك الحال الى ذلك فاستأذن وتلطف بالاعتذار بكل لياقة

١٤

الاستئذان

ان ادارة المدرسة قد عينت بعد التروي والاختبار لكل عمل في المدرسة وقتًا وذلك على كيفية لا يتعب معها التلميذ . الاَّ انهُ مع كل هذا التدقيق قد يحتاج التلميذ الى الاستئذان لبعض شؤُون وهذا غير منكر في كل المدارس لكن بقدر ما يمكنك

قلل من الاستئذان ولا تلجأ اليهِ الاَّ لامر ضروري . فقد تكون مضطرًّا الان يؤذن لك واذ تنال الرخصة يتمثل بك الآخرون على غير لزوم واضطرار . والمعلم لا يعرف القلوب حتى يميز دائمًا بين من يجب الترخيص لهُ ومن يجب منعهُ . وعلى كل ينبغي حين تستأذن ان تكون مستعدًّا للرضى والقبول أُجيب طلبك اولم يجب . اسأل ببساطة قلب غير ملحّ وبدون ان تفرض الاجابة فاذا رُفض طلبك فلا تغضب ولا تجادل بل عد الى عملك كأن لم يكن شيءٌ

كل امر يقتضي لهُ في عُرف ادارة المدرسة استئذان لاتباشرهُ بدون رخصة راقبتك العيون اولم تراقبك . واقدام غيرك على عمل كهذا لا يُعدُّ اذنًا فيسوّغ لك الاقتداء بهم . ومما هو اقبح من ارتكاب الذنب ان التلميذ وهو يجري الامر المنهيّ عنهُ او الذي يتوقف اجراؤهُ على الترخيص اذا رأى معلمًا وقف وتلطف بالاستئذان لاتمام ما ابتدأ بهِ فكان لهُ خيرًا ان يقرّ بغلطهِ ويتوقف عن العمل مطلقًا . ان استأذنت احد المعلمين ولم يأذن لك فاياك ان تذهب الى غيرهِ فتستأذنهُ اذ ربما يأذن لك وهو يجهل السبب الذي منع الاول من الايذان فترتكب الغشّ القبيح وتأتي امرًا لا تحمد عقباهُ . اذا استأذنت لامر ورُخّص لك فلا تتجاوز الحدّ المفوّض بهِ لان ذلك يوجب عليك القصاص ويوصد امامك باب المسامحة مرّة اخرى

١٥

اللعب والرياضة

جُعل اللعب في المدارس لاجل إراحة عقول التلاميذ من عناء الدرس وتقوية الاعضاء الجسدية مع ما يلازم ذلك من الفرح والسرور. وقد مرَّ معنا في الكلام عن الصحة في المدرسة ضرورة ممارسة الرياضة حفظًا لوظائف الجسم الصحية. ومن اهم غايات الالعاب على اختلاف انواعها السرور ولذلك لا يجوز ان يحدث هناك تعدٍّ او تحيُّل او معاملة جفاء او خشونة او غير ذلك ممَّا يكدّر كأس الصفاء. كل من يشترك في اللعب يطلب ان يحوز قصب السبق. وهذه المناظرة ضرورية لانها تضرم روح الحماسة وبذل قصارى الجهد للفوز والغلبة. فلا يكدر صفاءك فوز غيرك سوف يكون لك ما صار لهم الآن واذا انصف الدهر كان تارةً معك وتارةً عليك. تحفظ ايضاً تضرَّ نفسك بتعرضك لخطر ما في الالعاب ايضًا لا تدفع ولا تلطم للضرر ولا تجرح حاسات الغير في اثناء ذلك ان التلاميذ الجدد لم يزالوا مغفلين بالنسبة الى مهارتكم فبشّوا في وجوههم واشركوهم وعلموهم كيف يُسرُّون معكم في العابكم. احذر الغبار صيفًا فانهُ يؤذي الرئات والعيون والوحل شتاء ايضاً تتلطخ به ثيابكم

واذا اردت ان اجمع خلاصة الامر اقول : خذ ملء حريتك ولكن لا تنسَ ان الالعاب ليست لمسرتك وحدك بل لمسرة رفقائك ايضاً فحافظ على تعميم السرور ونفي ما يكدّر كأس الصفاء او يؤذي احدًا

١٦

اللباس

جمال الفتى بالعلمِ لا بالمحاسنِ
وزينتهُ بالعقل لا بالملابسِ

قد مرَّ معنا ان السرَّ في آداب اللباس ليس ان تكون الثياب ثمينة نفيسة بل ان تكون نظيفةً مرتبةً كل قطعة في موضعها على نسبة قياسية مصطلح عليها . فان الفقير اللابس ثيابًا بسيطة ولكنها نظيفة مرتبة مُعتبَر في عيون الفضلاء اكثر من الغني اللابس افخر الحلل على هيئة ينكرها الذوق السليم . لست مكرِهًا ان تؤذي عضوًا من جسمك اتباعًا للزيّ ولا يقيد نفسهُ بعبودية الموضة المضرَّة الاَّ القليل الحكمة فأعرض عن الاقتداء بمثل هذا

واعلم ان هيئة لبس الثياب قد تدلُّ على اخلاق صاحبها فراقب طريقة كل شخص في لبسهِ تحكم منها على طباعهِ واخلاقهِ . لا تبالغ بالتفنُّن في كيفية وضع الطربوش واماليهِ الى احدى

الجهات فالاحسن والاكمل الوضع المستوي . انزع الغبار عن ثيابك كلما علاها بالشعرية (الفرشاية) الخصوصية لذلك واما الاحذية فلتكن نظيفة لامعة . هي معرّضة للاتساخ اكثر من سواها فنظفها وادهنها بالدهان المخصوص لها لتظهر كأنها في جدّتها

قد يُهمِل البعض الاعتناء اللازم في ترتيب ثيابه ولبسها على الذوق المرضيّ المألوف ادعاء بانهُ لا يريد ان يشغل افكارهُ بامور ليست تحت طائل او ليُستَدلّ بذلك على انهُ من الزهاد الذين لا يعبأُون بالامور الخارجية . فمن نحو هذا النحو يفرَط في هذا الواجب كما ان الذي يجعل همهُ الاعظم زيادة التفنن والتأنق في امر لباسهِ بحيث لا يطمئن ساعة على حفظ هندمة ثيابهِ حتى يعرض ذاتهُ مرارًا على المرآة يُعَدُّ مفرطًا وخير الامور الوسط اكتب اسمك او نمرتك التي تعينها لك المدرسة على كل قطعة من ثيابك التي تعدُّها للغسل في موضع لا تظهر فيهِ الكتابة وانت لابسها . ومتى أُرجعت قابلها بما كتبتهُ لتعرف ان كان قد فقد او أُبدل منها شيءٌ واطوِ كل قطعة باتقان وضعها كذلك في خزانتك او صندوقك . اياك ان تهمل هذا الترتيب فتضع ثيابك كيفما اتفق . تعلم واعتَدْ ان ترفأ ما يفتق او يمزق من ثيابك وعلى التوالي تتقن العمل وبذلك تستطيع متى اغتربت ولم يتيسر لك من يعتني بك ان تسد عوزك من هذا القبيل . معلوم انهُ توجد ثياب

مخصوصة لاجل النوم فلا تتكاسل بان تنام بما تلبسهُ اعتيادياً واكثر من يعرّض لهذا الغلط الكسالى من ذوي اللباس العربي البسيط وحين تنهض من النوم اغسل وجهك وسرّح شعرك جيدًا والبس ثيابك بعد ان تلاحظ نظافتها واخص ما ينظر اليهِ في لباسك الطربوش والحذاء فدقق في ملاحظة نظافتها وهندمتها . واما ما تغادرهُ من ثياب النوم او غيرها فلا تطرحهُ كيفما اتفق بل ضعهُ بترتيب في مكانهِ الخاص

لا تهتم ابدًا في لبس الثياب الفاخرة التي لا تحتملها مقدرة اهلك المالية اذ لا ينقص شيءٌ من اعتبارك في عيون اهل المدرسة لسبب بساطة ثيابك

ليس الجمال باثوابٍ تزيننـــا
ان الجمال جمالُ العلمِ والادبِ

قال الفاضل الدكتور بوحنا ورتبات في وصايا الشيوخ للشبان " ومن اخبار الانكليز ان برنس الشاعر كان ماشيًا يومًا في مدينة ادنبرج مع بعض الاغنياء فلقي رجلاً تدلُّ ثيابهُ الخشنة على انهُ من ارياف البلاد وعند اللقاء صافحهُ برنس مصافحة الصديق الحبيب وقف الغنيُّ متحيرًا مما رآهُ فقال الشاعر عجبت من هذه التحية ولكنك لا تعجب متى عرفت انها لم تكن لاثواب الرجل بل لما هو عليهِ من الصفات الرفيعة التي تعلو صفاتك علوًّا كبيرًا ".

قال الشاعر

لا تنظرنّ لاثواب على رجل
ان رمت تعرفهُ وانظر الى ادبه

١٧

النظافة

هذا باب واسع تضيق دونهُ هذه الاشارات الوجيزة التي التزمناها في هذا الباب فضلاً عن اننا ذكرنا في باب "الصحة في المدرسة" شيئًا بهذا الموضوع . وما نُجمِل القول فيهِ ان تحافظ دائمًا على نظافة وجهك ويديك ورجليك وسائر جسمك. تلامذة المدارس معرّضون لتلطيخ ثيابهم وكتبهم ودفاترهم وايديهم بالحبر فانك بينما تفعل ذلك بدون فكر توسخ ثيابك وما حولك من مكاتب ومقاعد وكتب واوراق ونحو ذلك . اشرنا الى وجوب نظافة الثياب وهنا نزيد لزوم نظافة فراش النوم وما يتعلق بهِ وعلى الاجمال حافظ على نظافة كل ما تستعملهُ . فلا تلطهُ بالكتابة على المكتبة التي امامك او ان تحفر اسمك عليها او على المقاعد . اذا دخلت اية غرفة من غرف المدرسة فانفض الغبار عن حذائك صيفًا وأزل الوحل شتاءً وقد اعدّت المدارس ما تستعين بهِ على ذلك . لا تكتب على اعمدة وجدران المدرسة اسمك ولا كلمات اخرى . لا تسمح للعناكب ان تنسج بيوتها في غرفتك واذا

تعدّت عليك فاخرب بيتها وبدّد شملها . اوراق كثيرة لا تلزم بعد استعمالها فلا ترمها حيثما اتفق لك بل احفظها لتضعها في صندوق النفايات او مكان آخر مناسب وما قلناهُ في الاوراق نقولهُ في قشور الاثمار ونواها ونحو ذلك . لا تبصق في غرف المدرسة ولا في معابرها وساحتها حيث يزدحم التلاميذ بل على ناحية والاحسن في منديل (محرمة) خصوصي تغسلهُ من وقت الى آخر . حبذا لو تبرّعت فازلت ما يلقيهِ غيرك من اوراق ونحوها فانك بصنيعك هذا تشهد بسلامة ذوقك وكرم اخلاقك وتعطي قدوة جيدة لغيرك . ومما يشين في امر النظافة اعتياد البعض ان يزيلوا اوساخ انوفهم بانامليهم فانهُ فضلاً عن ان ذلك يجهُ الذوق السليم يُعرّض متّبعهُ الى توسيخ كل ما يلمسهُ وانفة الآخرين منهُ . اذا أُنيط بك امر تنظيف ما في المدرسة فلا ترضَ الاَّ بالنظافة التامة . لا تحك عيدان الفوصفور (الكبريت) على الحائط فانها تترك اثرًا لا يشهد بسلامة ذوقك . فربَّ فيك ذوق المحافظة على النظافة في كل شيء . " قال احد المدرّسين في مدارس سويسرا لرئيس الجمهورية السويسرية ان توسيخ الكتاب بمنزلة اعدامهِ وعوائدنا الاقتصادية لا تسمح لنا بتلك الخسارة . وقال لهُ اذا قلبت الكتب المستعملة يوميًّا لم تجد منها شيئًا ممزوقًا او ملوثًا بلطخ الاقلام وتحافظ هذه المحافظة على ابنية المدرسة فترى موائد المدرسة كأنها تُغسل كل يوم وتجلى ولا يُشاهَد عليها اثر

للحبر وكذلك لا اثر لذلك في معابر المدرسة ومصاعدها والجدران عارية من آثار الاصابع والارض من قطع الورق"

١٨

المائدة

اجلس في مكانك المعين على المائدة بين رفقائك التلاميذ.

لا تظهر الشراهة بالاكل باسراعك وعدم ترتيبك

كم دخلت لقمة حشا شرهٍ
فاخرجت روحهُ من الجسدِ

لا بارك الله في الطعام اذا
كان هلاك النفس في المِعدِ

لا تدع شيئًا من فتات الطعام يقع على ثيابك او على غطاء المائدة وحافظ ما استطعت لكي لا يتلف بسببك شيء من متعلقات المائدة. لاتغمس اصابعك في الصحن وان وقع منك ذلك فلا تسيء الادب بمصّها. لا تعرّض في حديثك على المائدة بذكر ما تشمئزُّ منهُ النفوس. ان الحديث مباح للتلاميذ ولكن الجَلَبة والضوضاء ممنوعتان لانهما تزعجان جميع الآكلين. كما حذّرناك من الشراهة ننهاك عن التأنق الزائد بحيث تتظاهر انك في أعلى درجة من المدنية متكلفًا ذلك تكلفًا في حين ان ما تظاهرت بهِ

يبابن طبعك وكل ما زاد عن الحد نقص . لا تستأ من لون طعام يُقدَّم لك كما لهموم التلاميذ ولو كنت لا تميل اليهِ فانك باستيائك تسبب عثرة كبرى لغيرك . واما اذا رأيت في الطعام ما تنكرهُ طبعًا فحينئذٍ اخبر المعلم المنوط بهِ امر المائدة بلطف وبهجة صادقة على غير اطلاع احد من التلاميذ فاحذر ان تشيع ذلك بين رفقائك . يوجد في المدرسة تلاميذ من درجات مختلفة في حسن المعيشة البيتية ويسوءني ان اقول ان الذين يتذمرون على طعام المدارس هم في الغالب من الذين معيشتهم البيتية ادنى من سواهم لان اصحاب النفوس الابية يرضون عمَّا يقدَّم لهم ولو كانوا قد اعتادوا ما هو انفس منهُ

١٩

الاقتصاد

"الاقتصاد لغةً التوسط بين الاسراف والتقتير. قال الاصمعي سمعت بعض العرب يقول من اقتصد في الغنى والفقر فقد استعدَّ لنوائب الدهر . ويقال اقتصد في انفاق الدراهم فانها لجرح الفاقة مراهم وقال بعضهم

انفق بمقدار ما استفدتَ ولا
تُسرِف وعش عيشَ مقتصدِ

من كان في ما استفاد مقتصدًا

لم يفتقر بعدها الى احدِ"

واعلم ان المدرسة ليست معرضًا للتأنُّق والتفخفخة بل للدرس وتحصيل العلوم. انت تعرف مقدرة اهلك الذين تكلفوا مقدار كذا من المال لدفع الرسم المدرسي واجرة مجيئك وتهيئة معدّات لك من ثياب ونحوها وعلاوةً على ذلك اعطوك نقودًا لشراء كتب ونفقات اعتيادية غير هذه فلا تسرف بحيث تنفق بسرعة كل ما بقي معك فتحتاج الى ان تطلب غيرهُ من اهلك وربما يصعب عليهم ارسال دراهم لك تعوزهم لامور بيتية ضرورية. نعم انهم من فرط حبهم لا يدعونك في حالة العوز ولكن ليجملك حبك ايضًا على الشفقة عليهم قال الشاعر

لعمرك ليس امساكي لبخلي

ولكن لابني بالخروج دخلي

ومن طبعي السماحة غير اني

على قدر البساط مددتُ رجلي

وربما تقول ان اهلي اغنياء لا بأس دعني اشتري وانفق ما اشتهي. نعم اننا لا نحجز حريتك ولكن اقتصر على ما انت محتاج اليهِ ليس شفقة على اهلك بل على نفسك لئلاّ تعتاد التبذير فتفتقر اخيرًا قال بعض الحكماء "ليس ما نكسبهُ يغنينا بل ما نمسكهُ"

هذا ما نقولهُ من جهة الاسراف ومن وجه آخر نقول لا تبالغ

في الاقتصاد فيصير بخلاً مذمومًا اعني اذا كان بيدك نقود وانت محتاج الى امر ضروري فلا تحرم نفسك اياهُ لمحبتك الدراهم المودعة في صندوقك . المال وُجد لقضاء حاجات الانسان فهو خادم لا سيد فراعِ جانب الاقتصاد واحذر التبذير والتقتير

٣٠

الرزانة قبيل الفرص الكبرى

ان شدة انفعال التلاميذ قُبيل حمنونة الفرصة الكبرى التي يذهبون فيها الى بيوتهم قد تجاوز فيهم حد الاعتدال فلا يستطيعون ضبط انفسهم . وهنا يعرَف اصحاب العقول الراجحة . ان للفرصة ساعة محدودة فتناسَ كل ما يتعلق بها وبالسفر الى تلك الساعة وأتمّ كل ما يُطلب منك بكل تعقُّل وانتباه ورزانة كانك غير مبالٍ بما انت قادم عليهِ . بعض التلاميذ لان لهم زمانًا قليلاً بعد يهون عليهم دوس النظام المدرسيّ فلا يلازمون الهدوّ المطلوب اعتياديًا . الرئيس والمعلمون يريدون ان يودّعوكم بكل لطف ومحبة ولكنكم قد تضطرُّونهم محافظةً على النظام ان يقفوا في وجة تيار طيشكم ولو اقتضى اجراء القصاص : ومن يريد القصاص والقلوب تطفح سرورًا بقرب رؤية الاهل . من يستحسن التأديب والفراق على الابواب . لكن للضرورة احكامًا

وهذا متوقف على محافظتك على الرزانة والقيام بكل واجب حتى آخر دقيقة . ربما تأتيك دابَّة مركوب قبل الساعة المعينة فلا تزعج الادارة بالاستئذان للذهاب قبل الوقت المعين لانهُ اذا جاز لك صار جائزًا للجميع . من طبع المرء الطمع في كل شيء فساعة واحدة تحسبها ربحًا اذا اخذتها قبل غيرك مع انهُ لو قُدِّمت الفرصة يومًا كاملاً قد لا تحفل بهِ

حانت الساعة طِرْ يا قلبي فرحًا وامرحي يا نفسي نشاطًا . لا أَلومك على ذلك لكن رُق قليلاً ورتِّب امتعتك باتقان وأَعِدَّ كلَّ ما تأْخذهُ معك وما تبقيهِ في المدرسة اكمل اعداد ولا تذهب قبل ان تودِّع الرئيس والمعلمين والرفاق والمعارف ومتى تمَّ لك ذلك فاذهب بحفظ الله وعنايتهِ

٣١

العودُ احمد

ما اوصيناك بهِ في مجيئك الى المدرسة من جهة الانتباه والتيقظ نوصيك بهِ في الرجوع . ولكن شتان بين قلبٍ مغلق لفراق الاهل وقلب يطفح سرورًا بذلك الملتقى الانيس . تحفَّظ من شدة الحرّ وكل طارئ واعتنِ بالرفقة خصوصًا الصغار منهم . واذ تصل الى قرب البلد المقصود وتطلُّ من ذروة جبل عليهِ

ينفتح له قلبك وتكاد تطير حتى اذا امكنك تطوي الجبال بالاودية لتصل باكثر سرعة. وصل الخبر الى الاهل خرج الاحباء لملاقاتك ووجوههم مشرقة توّهل مترحبة بك. قربت من البيت. أتى الاب. خرجت الامّ. ضمّك القلب الوالدي اليهِ. شرع الاحباء في التسليم والترحيب. راعِ املك فانها تنظر اليك من وقت الى آخر غير مصدّقة انها تنظر حبيب قلبها في اليقظة. الجميع يجلونك ويكرمونك فلا تأخذك الخفّة فتظهر السيادة على اخوتك وكل من حولك بل اظهر كل تعقل وأدب وحشمة وأكرم كلاً حسب مقامهِ

بقي ان امحضك النصيحة بعد تهنئتي لك بسلامة الوصول وبهذا الملتقى البهيج انصح لك من جهة تصرّفك في اثناء الفرصة. ان "العلم ينفخ ولكن المحبة تبني" قال الشعبيّ "العلم ثلاثة اشبار فمن نال منهُ شبراً شمخ بانفهِ وظنّ انهُ ناله. ومن نال الشبر الثاني صغرت اليهِ نفسهُ وعلم انهُ لم ينلهُ. واما الشبر الثالث فهيهات لاينالهُ احد". وعليهِ اذا رأيت انك قد امتزت عن كثيرين من اترابك وربما عن اهلك فلا تتنفخ كبراً فان دلالة العلم الصحيح التواضع. قال بعضهم "اجهل الجهلاء المفتخر بعلمهِ المتكبر بذكائهِ" وقال الامام علي "شَين العلم الصَّلَف. ومما يشين العلم ايضاً ويلبسهُ ثوب الشنار استحياء بعض التلاميذ باهلهم البسطاء امام الناس واهانتهم حرمتهم فلا تكن عقوقاً من الصنف الفاسد المبدإ.

ولا تحتقر الذين كانوا عشراءك سابقًا اذ ترى نفسك اعلم منهم بل اِنْ جانبًا ولاطفهم تكسب محبتهم . فلا تغيّر معاملتك مع احد الاّ اذا كان هناك ما ينافي الآداب كالكلام السفيه ونحوهِ

لا تصرف كل الفرصة بالكسل والتراخي بل ساعد اهلك في اشغالهم لانك تعلمت ان العمل شريف . حبّب الى الناس ارسال اولادهم الى المدارس باظهار كل ادب وحشمة ولاروا في سلوكك فرقًا بيّنًا عمّا كنت عليهِ سابقًا . كم هو جميل ان تغتنم الفرص التي يمكنك فيها ان تفيد غيرك او تساعدهم قدر استطاعتك لا تنسَ ان تطالع وتدرس خصوصًا اذا كنت قد قصّرت في درسٍ ما وعليك ان تقدم امتحانًا فيهِ حين رجوعك الى المدرسة . عند ما يمدحك الناس لا تظنّ نفسك اعظم مما انت واشكر من مدحك بلطف وتخلص ما امكنك التخلص من كل مديح لانهُ قد يضرُّ اكثر مما ينفع . وكثير مما ذكرناهُ في اوائل هذا الباب تناسب مراعاتهُ في سلوكك في اثناء الفرصة فاعمل بهِ . ونرجو ان تنتهي فرصتك بسرور وتعود بسلامة وصحة جيدة لمعاودة دروسك حتى تنتهي من مدرستك

الباب الثالث عشر

التلميذ المنتهي

الفصل الاول

حسن الختام

تكلمنا في ختام الباب السابق عن الفرصة السنوية الاعتيادية والعودة منها الى المدرسة وفي عودتك هذه لا تحتاج الى من يرشدك او يدبّر امورك لانك صرت مختبرًا عارفًا الامور واحوال التلميذ . وهكذا سنة بعد سنة تزداد تقدُّمًا في المعرفة والخبرة الى السنة الاخيرة التي في نهايتها تبرح المدرسة ولا تعود اليها لاجل الدرس والتعلم . ويحسن ان نسوق اليك الكلام في ما يتعلق خصوصًا بهذه السنة الاخيرة

لا اعلم ماذا كان لما قدمته من التأثير في حياتك المدرسية السنين الماضية ارجو ان تكون قد استفدت ما يوخيرك ونجاحك.

اما في هذه السنة فيجب ان تنتبه اكثر وتراعي التحفظ التامّ في السيرة المستقيمة والاجتهاد حتى اذا كنت قد قصّرت في شيء من ذلك في حياتك المدرسية السابقة يمكنك هذه السنة ان تغطّي الماضي وترسم لك صورةً جديدةً جميلةً في اذهان من تعاشرهم من رئيس ومعلمين وتلاميذ وغيرهم وتبقي لك صيتًا حسنًا. فينبغي ان تعتني اكثر من الماضي بالنظر الى نفسك اولاً وبالنظر الى خدمة الغير وافادتهم ثانيًا لان السنين التي صرفتها في المدرسة زادت مسؤوليتك والمدرسة تأمل منك المساعدة في اصلاح وارشاد التلاميذ الذين هم اقل خبرةً منك. وبما انك قد كبرت وصرت متقدمًا في المدرسة ترى التلاميذ الذين يأتون بعدك من سنة الى سنة ينظرون اليك ليروا كيف ينسجون سيرتهم وتصرّفهم فربما يعثرون بسببك فيسقطون في زلة ما وهم لبساطتهم وجهلهم لا يدرون انهم قد خالفوا القانون فكما ان صلاحك مفيد لك ولغيرك كذلك خروجك عن جادّة الاستقامة مضرٌّ بك وبغيرك قال السيد له المجد "ويلٌ لذاك الانسان الذي بهِ تأتي العثرة". مهمٌّ ان يواظب التلميذ من اول وجودهِ في المدرسة الى نهايتهِ منها على الاجتهاد وحسن السيرة ولكن مهمٌّ بنوع اخص ان تتضاعف هذه المبادئ الحميدة في سنتهِ الاخيرة. ان حياة التلميذ تنطبع في اذهان اصحاب المدرسة ودفاترها الى سنين عديدة حتى متى سئلوا او راجعوا عن ذلك التلميذ قرأوا

حياتهُ المدرسية . ولو فرض ان التلميذ الغير المرضيّ حسَّن سلوكهُ بعد خروجهِ من المدرسة لا يستطيعون ان يغيروا او يمحوا ما اثبتوهُ عليهِ . ولذلك اجعل رسمك كما تريد ان يكون صالحًا سارًّا لك وللآخرين . انظر . ان الشعراء في نظمهم يصرفون جُلَّ عنايتهم الى المطلع والتخلُّص والختام فالختام احد المواضع الرئيسية التي يقتضي الاجادة فيها لانهُ آخر ما يبقى في الذهن ويحفظ في الذاكرة ونظير الشاعر ترى الخطيب والمصنف وكلُّ من يأتي عملًا مهمًّا . كنت في السنين التي مرَّت عليك ترجئُ التحسين من وقت الى آخر اما هذه السنة فالى متى التأجيل؟ اوَّكد انك بعد خروجك منتهيًا من المدرسة تندم لانك ما استدركت ذاتك وعنيت باصلاح ما ينقصك ولكن ما منفعة الندامة والوقت قد فات . فبما ان الوقت الآن حاضر ويوجد لك فسحة التحسين وسدَّ ما مرَّ من الخلل فاجعل سنتك هذه خير ختام لوجودك المدرسي حتى تستفيد وتذكر لسنين عديدة بما هو حسن . يسوءني ان اصرِّح بوجود بعض تلاميذ منتهين ولكونهم منتهين قد تكرمهم ادارة المدرسة بنوعٍ اخص وهم لا يدركون لذلك معنىً فيشمخون بانوفهم ويرون انفسهم اكبر ما هم ظانين انهم يستطيعون بسهولة التعدي على النظام ولا يؤاخذون . فاذا كانت الادارة لا تراقبك كالسابق وقد خوَّلتك بعض الحرية فاجعل تصرُّفك مصدِّقًا الظنَّ فيك مظهرًا اياك تلميذًا امينًا الى

النهاية . واعلم ان الذي يجعل في رجال الاعمال الصبر والمواظبة واحتمال ما يعترضهم من الصعوبات انما هو الامل بحسن الختام والرجاء بجودة النتيجة ولولا ذلك ما كانوا يستطيعون اكمال ما يشعرون به . ولو عرفت ادارة المدرسة من الاول خيبة الامل في بعض التلاميذ ما اطالت اناتها عليهم من سنة الى اخرى بل كانت قد بترتهم من بين سائر الاعضاء النافعة التي يؤمل منها الفائدة . فالرجاء كله معلق في النهاية هذا رجاء اهلك وادارة مدرستك . فلا تخيب الامل فيك ولي ثقة انك تكون كذلك

البحث الثاني

الامتحانات النهائية

الامتحان بري حقيقة الانسان فاما ان يجوزه فائزًا فيمدح واما ان يسقط خاسرًا فيخجل . لا يستطيع التلميذ في الايام الاخيرة التي يتلوها الامتحان ان يستعدّ كما يجب ان لم يكن قد تأسس جيدًا في بحر السنة والسنين التي قبلها . وعليه لا تؤخر اجتهادك الى نهاية السنة بل ابتدئ به من الاوّل لان مضاعفة الجد اخيرًا ربما تعوّض شيئًا ولكنها لا تفي بالمطلوب . ما كتبه مستر غلادستون الى ابنه في هذا الصدد "انبهك الى امر مهمّ جدًّا وهو ان الاستعداد

الحقيقي لا يكون قبل الامتحان بحشو الدماغ بحقائق الدرس بل بترويض العقل المستمرّ على فهم الحقائق . عوّد عقلك التفكّر والبحث حتى اذا جاء امتحانك كنت على اهبةٍ له لا تحتاج الى مراجعتهِ بساعاتٍ قليلة " فضلاً عن ان الجهاد العقلي الزائد قد يضرُّ بالعيون وسائر اعضاء الجسم قال بعضهم " يؤثّر التعب العقليُّ الكثير في الجسم تأثير السمّ فيهِ وهذا التأثير يعمُّ كل الجسم ولا سيما العضلات " وربما احدث اختلالاً في الشعور ايضًا . فيكون مثَل من يفعل ذلك مثَل من يجيع معدتهُ وقتًا طويلاً ثم يملأها فوق طاقتها من الطعام فيضرُّها وهو يقصد منفعتها . على ان الفائدة تحصل من تقسيم الدرس على قدر الوقت فيتم كل قسم في وقتهِ . وهذا هو النسق المرعي في المدارس . وما قولك في من لم يهمهُ امر الدرس اولاً ولا يهمهُ اخيرًا . مالنا ولهذا فان خيبتهُ تكفيهِ خجلاً

الآن ملأت عقلك من المعرفة . قد سرت شوطًا مهمًّا في درس مبادىء العلوم الرئيسية . قد صرت تفهم عن اشياء كثيرة مما يقع تحت نظرك . فيطلب منك ان تقدّم امتحانًا في ما درستهُ . والامتحانات المطلوب منك تقديمها امّا خطيّة واما شفاهية والنوع الاوّل يرجح خصوصًا للمنتهين نظيرك ولا فرق في الاستعداد بين الاول والثاني . نعم ان الثاني فيهِ بعض التساهل بشيء من الاستفسار ولكن قد يحدث فيهِ غبن اذ ربما وجهت اليك اصعب

مسألة ولغيرك اهون مسألة فتظهر معرفتهُ جيّدة ومعرفتك قاصرة حال كونها متساويين في الدرجة اذا لم نقل انك تفوقهُ معرفة والاول اي الامتحان الخطي وان كان فيهِ شيءٌ من الصعوبة اعدل لان نفس المسائل تعطى للجميع على السواء وعليهم ان يجيبوا خطًّا عليها كلها . هنا لا ينفعك كتابك ولا الذين كنت تتوكَّأ عليهم في التحصيل . لا يقف معك في هذه الضيقة سوى ما اذَّخرتهُ في عقلك وخزنتهُ في ذاكرتك . تكلمت معك مرارًا في تجنب كل شبه غش وهنا اعيد التحذير راجيًا ان لا تختم مدة وجودك في المدرسة بما يشين اسمك ويلبسك العار الذي لا يمحى . بعض التلاميذ يكونون قد ساروا كل السنة حسنًا في التسميع اليومي واذ يأتي وقت الامتحان تخونهم الذاكرة فلا يجيبون سوى اجوبة سقيمة متقطعة فيعجبون من ذلك ويشترك اساتذتهم في الانذهال والسر في المسألة ان الوهم يستولي عليهم اكثر من اللازم فتظلم الدنيا في عيونهم اذا لم تتبادر الاجوبة الى اذهانهم فيزيدون إشكالهم اشكالاً وتغلق على قلوبهم ابواب المعرفة فيخسرون اهمَّ ساعة من وجودهم المدرسيّ . فلا تعلّق على هذا الامر كبير اهمية فترتعد فرائصك لدى الممتحنين بل هدّئ روعك واملك حاساتك وروّق بالك وأطلق الحرية لافكارك لتبقى صافية لا تشوبها شائبة وتدبر كل مسألة بامعانٍ كافٍ . واذا اعتاصت عليك واحدة منها فلا تشغل كل وقتك فيها بل دعها وتقدم

الى ما بعدها وعندما تنتهي أعِد النظر فيها لربما تفتح لك اغلاقها فتتوفق الى معرفتها . وبعد ان تحفظ لمراعاة كل ما ذُكر وتنتهي من جلسة الامتحان ذيّل ما كتبتهُ باسمك وقدمهُ الى الممتحن . واني ارجو لك ولكل رفقائك في الصف حسن الختام باجتيازكم الامتحانات فائزين لكي تتأهّلوا لنيل الشهادات العلمية مستعدين لخدمة الوطن العزيز

الفصل الثالث

الاحتفال النهائي بتوزيع الشهادات

هذا المشهد من اسمى المشاهد للتلميذ المنتهي واساتذتهِ وسائر ذويهِ . هذا هو اليوم الذي تطالّت اليهِ الاعناق من ساعة افتكرت بالمجيء الى المدرسة . هذا هو المشهد الذي يكلّل فيهِ الظافرون في مضمار السباق العلمي في المدارس

هذه الليلة تقف بابهى بزّة امام جمع حافل تتلو عليهم الخطبة النهائية التي اعددتها لهذه الساعة . فلا يهولنّك الموقف اصعد على منبر الخطابة بقدم ثابتة وقلب جريء . انظر ان العيون كلها مصوّبة نحوك النظر . الوجوه طافحة بالسرور كانها تشاركك بهجة الفوز والنجاح . سِر بكل حريّة وطلاقة الى آخر خطابك حسب الملاحظات التي المعنا اليها في بابها . ومتى انتهيت يضجّ المكان بتصفيق اكفّ الحضور

قد انتهى كل شيء . التلاميذ المنتهون ألقوا خطبهم وتلا الخطيب الرسمي المدعو للخطابة خطابتهُ وقد تخلل ذلك توقيع الحان مطربة على الآلات الموسيقية وما بقي سوى توزيع الشهادات . يقف الرئيس او من ينيبهُ عنهُ وامامهُ اوراق الشهادات واعينكم وعيون الجميع شاخصة اليها . هنا الرئيس يقدّم لكم بعض النصائح فعوها في افكاركم وسيروا بموجبها لانهُ يرشدكم الى كيف يجب ان تتصرفوا في العالم الفسيح المزمع ان يستقبلكم . ويحذركم من استعمال المعرفة التي حصلتم عليها لما هو غير مفيد ويريكم ان مسؤوليتكم اصبحت اعظم مما كانت قبلاً وان هذه الشهادة اما لكم للمدح واما عليكم للتوبيخ والدينونة . وانكم "تخرجون من هذه المدرسة الى مدرسة لم تختبروها ولم تعلموا من مبادىء دروسها الأما لا يُعتدُّ بهِ وهي مدرسة العالم الكبرى التي يختلف اهلها في العقول والاطوار والعوائد ولا تنتهي دروسها كل مدة الحياة" ثم يسلمكم الشهادات ويدعو لكم بالنجاح والتوفيق . فاحنوا لهُ اجلالاً لمقامهِ وخذوها من يدهِ شاكرين . وافصحوا بالشكر لكل الذين يقبلون عليكم بالتهنئة والتبريك : وها نحن نشترك مع الجمع المحتفل في تهنئتكم راجين لكم كل خير وفلاح

الخاتمة

مدرسة العالم الكبرى

الفصل الاول

معرفة مفتقرة الى اختبار

بعد ان تعود الى البيت وتنزل على الرحب والسعة يتوافد اليك المسلّمون من اقرباء ومعارف فيطرحون عليك اسئلة مختلفة ويتعجبون لانك لا تسرع في الجواب حسبما ينتظرون . تراهم يراقبون حركاتك وما يبدو منك لكي يعرفوا كيف يكون اولاد المدارس اذ يتوهمون ان المدارس تعلم كل شيء حتى اذا خرج منها التلميذ كان كاملاً لا ينقصهُ امر من الامور . ولكن فاتهم ان المدارس لا تعلّم الاختبار وانهُ يقتضي لهذا "مدرسة العالم الكبرى" وصرف سنين طويلة يقضيها الانسان في وسط احوال وظروف مختلفة بين عسر ويسر سرّاء وضراء معاشرة اناس مختلفي الرتب

والمشارب ومداخلة باعمال الناس وسماع احاديثهم واصطلاحاتهم لان جلّ ما ألفهُ التلميذ في المدرسة معاشرة رفاق هم من اترابهِ لم يبلُهم الزمان ولا حنكتهم التجارب ولم يُخنِ عليهم الدهر ولذلك ترى كثيرين من منتهي المدارس يجلسون في المجتمعات صامتين لا يعرفون كيف يفتتحون الحديث ولا كيف يجيبون على الاصطلاحات الدارجة في التخاطب . حكي عن امير انهُ سلم ابنهُ الى استاذ ماهر في علم التنجيم ومعرفة الاسرار فبعد ان اتقن الفن احضرهُ ابوهُ الى الامتحان فخبّأ حجرًا كريمًا في يدهِ وسأل ابنهُ ليعرف ما الذي خبّأهُ . وبعد اجراء ما اعتاد اجراءهُ اجاب على الفوران في يدك حجرًا . ثم عاد فسألهُ ثانية وما هو نوع المحجر ؟ اجاب حجر رحى فاغرب الاب في الضحك وقال ألا تميّز ان حجر الرحى لا يضبط في اليد حقًّا انك تعلمت العلم ولكن ينقصك التمييز. ان هذه وان كانت غير حقيقية فلها مغزًى مفيد وهو ان المدارس انما تهيّئ التلميذ وتعدّهُ للتقدم بتوسيع قواهُ العقلية ولكنها تكسبهُ ما يعتدُّ بهِ من الاختبار الذي انما يُدرَّس ويكتسب في مدرسة العالم الكبرى

نتعجّب اذ ترى بعض البسطاء ماهرين فوق ما تظنُّ في العمليات الحسابية حسب ماجريات المحاسبة الدارجة بينهم واذا كُلّف اليك نظيرها اخذت القلم واللوح او الورق وصرفت وقتًا طويلاً لاستخراج النتيجة وربما تغلط ولا تعرف انك غلطت لانك

انما تعتمد على قلمك وهم يعتمدون على عقولهم واخبارهم الطويل

يقتضي ان تميز مقامات من تخاطبهم حتى تعطي كل انسان ما يليق به في الخطاب والمعاملة والاَّ حُسبت مغفَّلاً في عيونهم . قليلون هم الذين يدرسون قيمة ما حصلتهُ من العلوم وانما يحكمون عليك من تصرُّفك معهم . نعم انهُ لا يناسب ان تجاري الجميع في اصطلاحات المبالغة الفاحشة والاحاديث غير المهذَّبة وكل ما يشين المتكلم والسامع فاقتصر على اقتباس كل عادة ادبية ولا تخل عليهم بما تستطيع افادتهم بهِ

فمتى اضفت الى علومك اختبار الاحوال تنال الاعتبار الجدير باهل العلم

الفصل الثاني

لا ترضَ البطالة مهنةً ولو كنت غنيًّا

قد مضت الايام الاولى بعد وصولك الى البيت وخمدت حاسات الشوق وعادت الامور الى مجراها الاعتيادي . بقي عليك ان تختار احد امرين اما ان تكتفي بهندمة ثيابك والتنقل من مكان الى آخر والتبختر في متنزهات البلدة وصرف الوقت بالبطالة والملاهي واقتفاء البطالين في عوائدهم الرديئة واقتباس اخلاق

لا يليق ان تُنسب اليك . واما ان تسعى الى العمل في مهنة ما مفيدة . ان ذويك نظرًا لعظم محبتهم لك قد لا يريدون ان يذكّروك بوجوب العمل وربما ان محبتهم هذه تعمي اعينهم عما هو لخيرك فيرون كل ما يبدو منك آيات باهرة مفتخرين بمعارفك وآدابك وامتيازك عن اقرانك . ربما تعترض بقولك ان والدَيّ من الاغنياء الموسرين وسوف يصيبني قسم وافر من الميراث وابي واخوتي يديرون اشغالنا وهم في غنًى عني ومتى لزمت مساعدة امدُّ يدي لمساعدتهم . اعلم ايها الصديق انهُ عار على الشاب بعد بلوغهِ سن الادراك وتقديم وسائط الاكتساب لهُ نظيرك ان يعود فيعتمد على اهلهِ في امر معيشتهِ . صار عليهِ ان يجدَّ لنفسهِ ويحصّل خبزهُ بعرق جبينهِ . لا ترضَ ان يتفضّل احد عليك حتى ولا اهلك لانهم عملوا كل ما عليهم ان يعملوهُ فكافئهم ان استطعت او على الاقل ارفع اثقالك عن عاتقهم . هم لا يبدون لك شيئًا من هذا القبيل ولكن دع نخونك تحثك عليهِ . ان البطالة عار عليك وعلى علومك وعلى مدرستك هي مفسدة للاخلاق قال الدكتور تلماج : "اكثر الرذائل مواليد البطالة" . قيل لاحد اهل الثروة وقد رآهُ دائبًا مثابرًا على العمل "على مَ لا تفتأ تجهد النفس بمواظبة العمل ولك من الاموال ما يكفي مئة نفس الف سنة" . فقال "اواظب على الاعمال دفعًا لرذائل البطّال" قال الشاعر

ان الشباب والفراغ والجدَه

مفسدةٌ للمرء اي مفسدَهْ

وقال بعضهم " ماذا استفدت من العلم اذا كنت لم تستفد منهُ انهُ من لا يعمل لا يأكل وان العاقل الحكيم من اكل خبزهُ بعرق جبينهِ. واي عار في قدوم النجارة او في مخرطة الخرّاط واي عيب في مكوك الحائك ومحراث الفلاّح والنورج . ألم يكن ابوك آدم فلاّحًا وابنهُ هابيل الصديق راعيًا وبولس الرسول عامل خيام وبطرس الرسول صيادًا والمسيح نفسهُ نجارًا فالى مَ لا تنتبه . ومن الاوهام المقتضي نسخها انهُ عار على ابناء المدارس ان يحصلوا مقتضيات المعاش بعمل الايدي . ومن اقوال بعض آباء الكنيسة : من اشقى اهل الارض عالم فقير يأبى تحصيل اسباب المعاش بالصناعة وهو قادر عليهِ "

وبما ان للعمل والبطالة تأثيرًا في الاخلاق كما مر اقدم لك ملاحظة من جهة حسن السلوك . انك لما كنت بالمدرسة كان اربابها يراقبونك والقوانين توقفك عند حد الآداب . اما الآن فقد أُلقي حبلك على غاربك وصارت امورك منوطة بشخصك . الآن تُعرَف صفاتك الحقيقية فدعها تشهد ان الفضيلة خلقية فيك واجعل العقل سيدًا لا عبدًا للشهوات قال ارسطوطاليس " اذا اقبلت الحكمة خدمت الشهواتُ العقولَ واذا ادبرت الحكمة خدمت العقولُ الشهواتِ "

الفصل الثالث

ماذا عليكنّ ايتها المنتهيات

الآن قد كمل زمان جهادكنّ المدرسيّ ونلتنّ الشهادات المصرّحة باجتيازكنّ الامتحانات المدرسية مرضيات اولياء المدرسة وقد صرتنّ موهلاتٍ لخدمة عظيمة . المسئولية عليكنّ كبيرة فهلاّ افتكرتنّ بها. واجبات مهمة مقدّسة واجبات اصلاحية خدمات لا يستطيعها رفقاؤكنّ التلاميذ لان طباع الجنس النشيط لا تلائم في بعض واجبات تقتضي حنان وشفقة الجنس اللطيف . كان يمكنني ان اكتفي بما وجهته من الكلام الى التلاميذ المنتهين نظيركنّ لان مراعاته تجمل بالفريقين لكن الواجبات المهمّة التي اختصصتنّ بها لم تسح الاّ بافراد بحث خصوصي لها

نعم انني اشعر معكنّ بقلة الوسائط وانسداد ابواب كثيرة في وجوهكنّ حال كونها مفتوحة للجنس النشيط وتعذّر امتلاككنّ الحريّة كالشبان في التجوّل المستقلّ والانفراد في الاعمال خصوصاً في بلادنا الشرقية وتقاليدها القديمة المرعية عند الرفيع والوضيع . لكن هل هذه العوائق عذر لكنّ لتنقطعنَ عن العمل وتبقينَ في بيوتكنّ لا تمددنَ ايديكنّ الى شيء . وان كان ليس غير ذلك

فاني ارى في البيت مجالاً واسعًا لكِ ايتها التلميذة المهذَّبة . أترَين ان بنت المدرسة يترفَّع قدر علمها وذكائها عن ان يمدِّيدها الى الاشغال البيتية . ولكونها لم تألف في المدرسة سوى مسك الكتاب والجريدة والقلم والدواة وان كان اكثر فالابرة والبكرة والقماش تخشى ان تخسر نعومة يديها فتذهب بغضاضتها اذا اشتغلت بهما في الاعمال البيتية الخشنة ولسان حالها يقول : ان بنات المدارس ما تعبنَ في الدرس سنين طويلة ليكنَّ طبَّاخات وخبَّازات وكنَّاسات الى غير ذلك من الاعمال المزعجة طبعهنَّ اللطيف . ما اجمل وما افيد التهذيب المدرسيّ اذا استُخدم في اعمالنا الاعتيادية فانهُ يزيدها كمالاً واتقانًا . قال بعض الافاضل "من الاوهام المقتضي نسخها انهُ لا يليق بفتيات العلم ان يطبخنَ ويعجنَّ ويكنسنَ البيت ويغسلنَ الصحون والقدور الى غير ذلك من اصلاح شأن بيوتهنَّ"

ان البنات لا يُلمْنَ اذا اعتنينَ بحفظ جمالهنَّ ولكن اذا جعلتِ هذا العمل غايتكِ القصوى بحيث اتخذتِ مسحة الجمال التي وهبها لكِ الله معبودًا توقدين على مذابحهِ البخور العطر صباحًا وظهرًا ومساء افسدتِ الغاية وقبَّحتِ الجمال وارجو ان لا تقتدي ببعض اللواتي يبدلنَ صورة الله بما صنعتهُ ايدي البشر

ان المليحة من كانت محاسنها
من صنعةِ اللهِ لا من صنعة البشرِ

من لطيف ما جاء في الامثال اليابانية قولهم "خيرٌ للشابة العذراء ان يكون قلبها اجمل من وجهها"

هل ترين انهُ ينقص جمالكِ بعض الحليّ من فضة وذهب وحجارة كريمة وثياب ثمينة وظريفة ؟ ان الامور المذكورة تعطي بهجة خارجية ولكنها لا تغني عن جمال النفس الداخليّ واظن انهُ متى امتلكت الفتاة الجمال الداخلي الحقيقي تشتغل بهِ عن الافراط بهذه القشور غير النافعة الاَّ لفتح باب واسع للاسراف وتثقيل عاتق الاهل . قال الرسول بطرس "ملاحظين سيرتكنّ الطاهرة بخوف . ولا تكن زينتكنّ الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولباس الثياب . بل انسان القلب الخفي في العديمة الفساد . زينة الروح الوديع الهادىء الذي هو قدام الله كثير الثمن" (١ بط ٣:٣و٤)

والفتاة العاقلة ايتها السيدات من اختارت ان تقضي حياتها اديبة شريفة صناع اليدين على ان تختار قرين سوء ينغص راحتها. ان طريق الحكمة والاستنامة نهايتها سلامة فاسلكنها بامان

طوبى لكنّ ايتها السيدات اللواتي كرّستنّ انفسكنّ لاشرف الخدمات النافعة ان كان خدمات مدرسية او عائلية في بيوت والديكنّ او بيوت ازواجكنّ ان تهذيب الصغار من اشرف الاعمال ولا جدال انكنّ اقدر من سواكنّ عليهِ . ايضاً خدمة

الضعفاء في المستشفيات والملاجىء الخيرية . ان طبعكنّ اللطيف يوحي اليكنّ مواهب سامية في هذه الخدمات التي تقصر دونها مقدرة الرجال. وارجو ان اختياركنّ النصيب الصالح واقتفاءكنّ آثار اللواتي تعطر التاريخ بذكر مناقبهنّ الحميدة ينشر للعلم عبيرًا يفوح بين الجميع فيقبلون على تعليم بناتهم فينشأ جيل مصلح . ملح يصلح فساد العالم . نور يجلو دجى الجهل والغباوة . حقًّا انكنّ تستأهلنَ كل اكرام واعتبار والله لا يضيع اجركنّ بل يبقي لكنّ صيتًا كذلك التي دهنته بالطيب فخلّد ذكرها الطيب مدى الاجيال

الفصل الرابع

مراكز العمل كثيرة لكن الجديرين بها قليلون

ما اكثر المراكز التي تئنّ من ثقل وطأة الذين يشغلونها لانهم لا يفونها حقها . فكن بمعرفتك وصفاتك واختبارك اهلاً لان تطلبك المراكز العليا قبل ان تطلبها . طريقة الاستقامة مفروشة احيانًا باشواك الصعوبات ولكن نهايتها الفوز والنجاح . وطرق الغش والاحتيال فيها شيء من الاختصار والسهولة ولكن عاقبتها وخيمة . لا بأس اذا سعيت جهدك وخبت اولاً لا تيأس ثابر على

السعي بامانة وسرٍ مستقيمًا ولابد من ان تفلح اخيرًا . العالم محتاج كل الاحتياج الى عملة امناء اصحاب معارف وجدّ في العمل نظيرك فكن كما يؤمل منك وسدّ شيئًا من الفراغ في مراكز الفضلاء ومتى تيسر لك عمل وشرعت به فلا تطمع بالربح العاجل باي وسيلة كانت محللة او محرّمة فانك تسقط في الهوة التي حذّرناك منها

كن امينًا صادقًا دومًا ولو
متّ فالاعمال لا تمضي سدى
والزم الذمةَ والشيمة وال
حق فانصرهُ وجاهد ابدا

تعلق باذيال الفضيلة الى آخر نسمة من حياتك فانها هي التي توّهلك الى أعلى المراكز ولو طال الزمان "فالارتقاء في سلم النجاح عمل بطيء والنتائج العظيمة لا يبلغها الانسان دفعة واحدة فعلى كل واحد ان يقنع بالارتقاء المتدرّج"

الفصل الخامس

العلم قوّة وليس مهنة لربح المال

كثيرون يطلبون العلم وهمّا منهم انهُ احسن وسيلة لربح المال وفاتهم انهُ مجرّد تقوية وتدريب وتوسيع القوى العقلية في

الانسان وهو في ذاتهِ قوَّة ويمكنك ان تستخدم هذه القوَّة لشؤون مختلفة . تستطيع ان تتخذها لمقاومة الفضائل والآداب . تستطيع ان تستخدمها في الغش والاحتيال . يمكنك ان تضرَّ بها جسدك وعقلك ونفسك فتجرَّ اضراراً كثيرة لك ولغيرك بسوء استعمالك هذه القوَّة . واذا عكسنا الامر فاستعملنا العلم آلة صلاح للخير نستطيع بواسطتها ان نحيي موات الآداب وننمي بزور الفضائل ونقوم باعمالنا ونصلح من هم حولنا . قال امين الدولة بن التلميذ

العلم للرجل اللبيب زيادةٌ
ونقيصةٌ للاحمق الطيَّاشِ
مثل النهار يزيد ابصار الورى
نوراً ويعمي اعين الخفَّاشِ

قلنا ان البعض يتوهمون ان العلم مجرَّد واسطة لاكتساب المال ولذلك اهم ما يطلبونهُ منهُ الحساب ومبادئ اللغة وشيئاً من لغة اجنبية والخط . واما العلوم الطبيعية والرياضيات العليا وغيرها من العلوم التي توسع المدارك فقلما يهتمون بها قائلين ماذا تفيدنا وماذا نحصّل بواسطتها وباي حرفة نتوفر ارباحنا بها . حاشا للعلم ان يبيت خادماً للمال فانهُ اشرف من ان يحط الى هذه المنزلة . ومن انجاس الحقوق ان نضعهُ في هذا الموضع الدنيء . فعلينا ان نطلب العلم لانهُ شريف بذاتهِ . على ان صاحب العلم

يُحسن ادارة تجارته وصناعته وزراعته وكل مركز يشغله اكثر من سواهُ نظرًا لاتساع مداركهِ ومهارتهِ في فنون كثيرة . قال بعضهم " ان العلم اذا اعتبر واسطة للتقدُّم فقط ضاع فيهِ الزمان والتعب . على اننا لا ننكر ان العقل المثقف يعين على التقدُّم ولا نقدُّم بدونهِ "

الفصل السادس

افتقار الوطن الى الشبان المهذَّبين

الشبان عماد الوطن وبهم قوامهُ فاذا تهذَّب الشبان وعملوا في خدمة بلادهم رقوا بها الى الامام درجات . ولكن اذا تهذَّب شبابنا حتى صرنا نفتخر بهم واوشكنا ان نقطف من ثمارهم فاذا نستفيد اذا عاجلتنا يد التغرُّب فسبقتنا الى اجتناء منفعتهم . انظر ان خيرة شبان بلادنا هم في بلاد الغربة اذا لم نقل انهم اتخذوها وطنًا فاذا تكون العاقبة اذا دامت الحال على هذا المنوال . اننا لا نشدّد اللوم على جميع الذين هجروا اوطانهم لان بعضهم ذهبوا عن اضطرار وتركوا قلوبهم معلقة في مسقط رأسهم

لا ادري اذا كان قد عنَّ على بالك من جملة ما افتكرت بهِ في اعمال مستقبلك ان تهاجر من وطنك . ان كان غايتك

منفعة نفسك تأخر او تقدم وطنك لا يهمك امرهُ لا ينفع ان نوجه اليك الكلام ولكن اذا كان صدرك عوامل وطنية تجعلك تضحي صالحك في سبيل خدمة الوطن نشكو اليك امرنا . انهُ اذا ترك الوطن كل شبانهِ المهذبين اصبح فقيرًا لا يضم الاَّ العاجزين الخائري القوى . واذا اقنعك الكفاف مما تستطيع تحصيلهُ في وطنك ووطنت النفس على خدمتهِ يمكنك ذلك بوجوه كثيرة . ومتى قام هذا الجيل المتهذّب معًا قاموا بوطنهم من حضيض التأخر الى ذرى المدنية والتقدم لان انقى دم الحياة ينبض في عروق الشبان . فكن مثالاً للوطني الحر في الخدمة العمومية وتضحية المصلحة الذاتية . واخدم بلادك ودولتك التي تتفيأُ ظلها كن امينًا لها ولابدَّ من ان تنجح وتنال المكافاة عاجلاً او آجلاً

الفصل السابع

لا تُهمل الدرس الذاتي

"قيل ان احد الطلبة ذهب الى استاذهِ واستأذنهُ بالانصراف بناء على انهُ اكمل دروسهُ فاجابهُ الاستاذ اني ارى عجبًا في ما تقول لانني انا اراني قد ابتدأت في دروسي الآن" فلا تدع هذا الوهم

يستولي عليك اي تظن انك قد حصلت كفاءتك من المعرفة فلا تطلب الاستزادة. ان ما حصلتهُ في المدرسة يقتصر على مبادىء العلوم الهامة ولذلك يجب ان تضيف اليهِ من وقت الى آخر. فضلاً عن ان العلوم بواسطة الاكتشافات والاختراعات وتآليف نوابغ العلماء على تقدُّم حتى انك ترى آراء جديدة في كل آونة. فاذا وقفت عند الحد الذي صرت فيهِ لا تخسر فقط ما جاء بعدهُ بل تميل الى نسيان ما معك فتصدأ المعرفة في ذهنك. واما بالاستزادة فانك تحيي الموجود وتنميهِ وتسير مع عالم العلم مقتفيًا خطواتهِ. قال موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي "لا تظن انك اذا حصلت علمًا فقد اكتفيت بل تحتاج الى مراعاتهِ لينمو ولا ينقص". وان كان يمكنك فاقتنِ مكتبة على قدر طاقتك واشترك ببعض الجرائد الاخبارية والمجلَّات العلمية التهذيبية فانها تثقف العقل وتجلو صدأ الاهمال وتوقفك على امور كثيرة جديدة. قال بعض الحكماء "من الجنون ان يعتقد الانسان بانهُ يعرف كل شيء ومن العقل ان يدرس دائمًا لزيادة معارفهِ. وقال آخر "اشترِ كتبًا مفيدة واقرأها لان الكتاب المفيد من اثمن الاشياء في العالم. ان لم يكن لك ما تشتري فاستعِر كتبًا من الآخرين ولكن ردَّها كما كانت. لا تترك كتابًا قطُّ حيثما يلحق فيهِ ادنى ضرر" نعم انهُ ليس لك وقت للدرس بمقدار ما كان لك في المدرسة

ولكن ادرس على قدر ما تسمح لك الظروف بحيث لا تخسر من اوقات العمل اللازمة . فاذا كنت تاجرًا فلا بأس من ان تكون عالمًا وكذا اذا كنت صانعًا او فلاحًا او اميرًا

واذا ما اخترت خدمة التعليم ونعم الخدمة الوطنية هي فيكون من بعض واجباتك معاودة الدرس . اسمح لي ان اقول لك كلمة بمناسبة ورود لفظة معلم وتعليم . ان كان قصد المعلم ربح المال والذهاب وراء الغنى فما له وللتعليم فانهُ ليس هو الباب لبلوغ هذه الامنية واما اذا كان وطنيًّا بحتًا يفضل خدمة بلادهِ على الربح الشخصي فلا توجد طريقة انفع للخدمة الوطنية من تثقيف وتهذيب الجيل المقبل . قال بعض الفضلاء " لو عرف الناس النفع من معلمي المدارس واساتذتها لرفعوا شأنهم كثيرًا فان المدارس اول ابواب التقدم والتهذيب . وذلك معظمهُ متوقف على المدرسين. قال الامبراطور بيدرو : لو لم اكن امبراطورًا وددت ان اكون معلمًا في مدرسة " . فاذا عرفت ذلك واخترت هذا العمل الشريف يتفتح امامك باب واسع لتزيد على معارفك معارف جمَّة وربما يتيسر لك الاطلاع على المكاتب الواسعة ان كنت في مراكز عالية . وخلاصة مقالنا في هذه النبذة ان لا تقف عندما عرفتهُ بل اضف اليهِ كلما تسنَّت لك الفرصة

الفصل الثامن

"خير الناس من نفع الناس"

ان الذي استلفت انظارك اليه اولاً من هذا النفع هو ان تفتح ابواب المعرفة للجهلاء . ان ذلك خدمة وطنية محضة ولعمر الحق انها من اشرف الخدمات . الجهلاء لم يذوقوا لذّة المعرفة ولم يدركوا ثقل نير الجهالة واما انت فصرت قادرًا ان تميز الامرين . توجد عقول حاذقة ذكية ولكن عوامل الخشونة تغشّي صفاء تلك العقول النبيهة فتقدّم واجلُ شيئًا من تلك الغشاوات بتسهيل طرق اكتساب المعرفة لاولئك الجهلاء . (لا اعني بقولي جهلاء الصفات الادبية كلّا بل درجة المعرفة العلمية (وعلى الاقل حبّب اليهم الدرس والمطالعة في الكتب المفيدة التي يستطيعون ادراكها مستقلين . وما اجمل ان تسعى بفتح مدرسة ليلية للشبان الذين لم يتعلموا في صغرهم فانك بذلك تخدمهم خدمة تذكر . قال الامام علي ابن ابي طالب "ما أتى الله تعالى عالمًا علمًا الاّ اخذ عليه الميثاق ان لا يكتمه . وما اخذ الله على الجهال ان يتعلموا حتى اخذ على العلماء ان يعلّموا"

هل توجد مدرسة في بلدتك ؟ ان كانت فبث روح الرغبة

في الوالدين لكي لا يسمح احد لاولاده ان يكونوا خارج المدرسة . وما نقولهُ عن الصبيان نقولهُ بنوع اخص عن البنات . واذا لم توجد مدرسة في بلدتكم فابذل اقصى الجهد في فتح مدرسة باي واسطة ممكنة لان الجهل يعمي الابصار . اذا رأيت تلاميذ نجباء فخابر ذويهم في امر ارسالهم الى المدارس الداخلية . وعلى هذا النمط ترى انك قد اتيت خدمات جليلة وانت فرد في ذلك المكان . فلا تحتقر نفسك ان فيك قوّة اكثر مما تظن وما اشهر الاعمال التي شرع ونجح فيها الافراد . كن مصباحًا وهّاجًا يهتدي بهِ الضالون الى محجة الصواب . قال بعض الحكماء " خير الناس من نفع الناس " وجاء في رسالة عبد الحميد بن يحيى الكاتب الشهيرة " ان الخلق عيال الله واحبهم اليهِ ارفقهم بعيالهِ " وقال الشاعر

واسعد العالم عند اللهِ
من ساعد الناس بفضل الجاهِ

وقال آخر

إرحم أُخَيَّ عباد الله كلهمُ
وانظر اليهم بعين اللطف والشفقه
وقِرّ كبيرَهمُ وارحم صغيرهمُ
وراعِ في كل خلقٍ وجه من خلقه

وعلى الاجمال كن بركة عظيمة لبلادك واعمل الخير مع الجميع وأخلص نيتك لحكومة بلادك وحض الآخرين على ذلك ودم معافًى مدى الحياة والرب ينجح مساعيك الحميدة وسوف تسمع من فمه الطاهر "نعمًا ايها العبد الصالح والامين كنت امينًا في القليل فاقيمك على الكثير ادخل الى فرح سيدك"

انتهى بحوله تعالى

DATE DUE

CA:371.8:H917kA:c.1
الحلو ،نسيم مترى
رفيق التلميذ تحصيل الحكمة خير من ا
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01084498

A.U.B. LIBR

CA:371.8:H917kA

الحلـو ٠

كتـاب رفيـق التلميـد تحصيـل الحكمـة خيـر مـن اللالـىء ٠

CA
371.8
H917kA

CA
371.8
H917kA
C.1